(٧٢) سورة الجن مكية
وآياتها ثمان وعشرون

● **سورة** الجن مكية وهي تعالج أصول العقيدة الإسلامية «الوحدانية ، الرسالة ، البعث والجزاء» ومحور السورة يدور حول الجنِّ ، وما يتعلق بهم من أمور خاصة ، بدءاً من استماعهم للقرآن ، إلى دخولهم في الإيمان ، وقد تناولت السورة بعض الأنباء العجيبة الخاصة بهم ، كاستراقهم للسمع ، ورميهم بالشهب المحرقة ، واطلاعهم على بعض الأسرار الغيبية ، إلى غير ذلك من الأخبار المثيرة .

● **ابتدأت** السورة الكريمة بالإخبار عن استماع فريق من الجن للقرآن ، وتأثرهم بما فيه من روعة البيان ، حتى آمنوا به فور استماعه ودعوا قومهم إلى الإيمان ﴿ قل أوحي إليَّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً .. ﴾

● **ثم انتقلت** للحديث عن تمجيدهم وتنزيههم لله جل وعلا ، وإفرادهم له بالعبادة ، وتسفيههم لمن جعل لله ولداً ﴿ وأنه تعالى جَدُّ ربنا ما اتخذ صاحبةً ولا ولداً . وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططاً .. ﴾ الآيات .

● **ثم تحدثت** السورة عن استراق الجن للسمع ، وإحاطة السماء بالحرس من الملائكة ، وإرسال الشهب على الجن بعد بعثة رسول الله ﷺ ، وتعجبهم من هذا الحدث الغريب ﴿ وأنّا لمسنا السماء فوجدناها

ملئت حَرَساً شديداً وشُهُباً . وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجدْله شهاباً رصداً ..﴾ الآيات .

● **ثم تحدثت** السورة عن انقسام الجن إلى فريقين : مؤمنين ، وكافرين ومآل كلٍ من الفريقين ﴿وأَنَّا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تَحَرَّوْا رَشَداً . وأَمَّا القَاسِطُونَ فكانوا لجهنم حطباً﴾

● **ثم انتقلت** للحديث عن دعوة رسول الله ﷺ ، وعن التفاف الجن حوله حين سمعوه يتلو القرآن ﴿وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لِبَداً . قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً﴾ .

● **ثم أمرت** الرسول عليه السلام بأن يعلن استسلامه وخضوعه لله ، ويفرده جلَّ وعلا بإخلاص العمل ، وأن يتبرأ من الحول والطول ﴿قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً . قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً . قل إني لن يجيرني من الله أحدٌ ، ولن أحد من دونه ملتحداً﴾

● **وختمت السورة** ببيان اختصاص الله جل وعلا بمعرفة الغيب ، وإحاطته بعلم جميع ما في الكائنات ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً . إلا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خَلفه رَصداً ..﴾ الآيات .

سورة الجن

[٩٧٣] ك.. أخرج البخاري والترمذي وغيرهما عن ابن عباس قال: ما قرأ رسول الله [ﷺ] على الجن ولا رآهم ولكنه انطلق في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعوا إلى قومهم فقالوا: ما هذا إلا لشيء قد حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا هذا الذي حدث فانطلقوا فانصرف النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله [ﷺ] وهو بنخلة وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عجباً فأنزل الله على نبيه: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾(١) وإنما أوحى إليه قول الجن.

[٩٧٤] وأخرج ابن الجوزي في كتاب صفوة الصفوة بسنده عن سهل بن عبد الله قال: كنت في ناحية ديار عاد إذ رأيت مدينة من حجر منقور في وسطها قصر من حجارة تأويه الجن فدخلت فإذا شيخ عظيم الخلق يصلي نحو الكعبة وعليه جبة صوف فيها طراوة فلم أتعجب من عظم خلقته كتعجبي من طراوة جبته فسلمت عليه فرد علي السلام وقال: يا سهل إن الأبدان لا تخلق الثياب وإنما تخلقها روائح الذنوب ومطاعم السحت وإن هذه الجبة عليّ منذ سبعمائة سنة لقيت فيها عيسى ومحمداً عليهما الصلاة والسلام فآمنت بهما فقلت له: ومن أنت؟ قال: من الذين نزلت فيهم: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾(٢).

[٩٧٥] وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة عن كرزم بن أبي السائب الأنصاري قال خرجت مع أبي إلى المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله [ﷺ] فآوانا المبيت إلى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملاً من الغنم فوثب الراعي فقال عامر: الوادي جارك جارك فنادى

---

[٩٧٣] (١) سورة الجن: الآية (١).

[٩٧٤] (٢) سورة الجن: الآية (١).

منادٍ لا نراه يا سرحان، فأتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم وأنزل الله على رسوله بمكة: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾(١) الآية.

[٩٧٦] وأخرج ابن سعد عن أبي رجاء العطاردي من بني تميم قال: بُعث رسول الله [ﷺ] وقد رعيت على أهلي وكفيت مهنتهم فلما بعث النبي [ﷺ] خرجنا هراباً فأتينا على فلاة من الأرض وكنا إذا أمسينا بمثلها قال شيخنا: إنا نعوذ بعزيز هذا الوادي من الجن الليلة فقلنا ذاك فقيل لنا إنما سبيل هذا الرجل شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله من أقربها أمن على دمه وماله فرجعنا فدخلنا في الإسلام قال أبو رجاء: أني لأرى هذه الآية نزلت فيّ وفي أصحابي: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾(٢).

[٩٧٧] وأخرج الخرائطي في كتاب هواتف الجان حدثنا عبدالله بن محمد البلوي حدثنا عمارة بن زيد حدثني عبدالله بن العلاء حدثنا محمد بن عكبر عن سعيد بن جبير أن رجلاً من بني تميم يقال له رافع بن عمير حدث عن بدء إسلامه قال: إني لأسير برمل عالج ذات ليلة إذ غلبني النوم فنزلت عن راحلتي وأنختها ونمت وقد تعوذت قبل نومي فقلت: أعوذ بعظيم هذا الوادي من الجن فرأيت في منامي رجلاً بيده حربة يريد أن يضعها في نحر ناقتي فانتبهت فزعاً فنظرت يميناً وشمالاً فلم أر شيئاً فقلت: هذا حلم ثم عدت فغفوت فرأيت مثل ذلك فانتبهت فرأيت ناقتي تضطرب والتفت وإذا برجل شاب كالذي رأيته في المنام بيده حربة ورجل شيخ ممسك بيده يدفعه عنها فبينما هما يتنازعان إذ طلعت ثلاثة أنوار من الوحش فقال الشيخ للفتى: قم فخذ أيتها شئت فداء لناقة جاري الإنسي فقام الفتى فأخذ منها ثوراً وانصرف ثم التفت إلي الشيخ وقال: يا هذا إذا نزلت وادياً من الأودية فخفت هوله فقل: أعوذ برب محمد من هول هذا الوادي ولا تعذ بأحد من الجن فقد بطل أمرها قال فقلت له: ومن محمد هذا؟ قال: نبي عربي لا شرقي ولا غربي بعث يوم الاثنين قلت: فأن مسكنه؟ قال: يثرب ذات النخل فركبت راحلتي حين ترقى لي الصبح وجددت السير حتى تقحمت المدينة فرآني رسول الله [ﷺ] فحدثني بحديثي قبل أن أذكر منه شيئاً ودعاني إلى الإسلام فأسلمت قال

---

[٩٧٥] (١) سورة الجن: الآية (٦).

[٩٧٦] (٢) سورة الجن: الآية (٦).

سعيد بن جبير وكنا نرى أنه هو الذي أنزل الله فيه: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾(١) الآية.

[٩٧٨] وأخرج عن مقاتل في قوله: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾(٢) الآية قال نزلت في كفار قريش حين منع المطر سبع سنين.

[٩٧٩] وأخرج ابن أبي حاتم من طريق أبي صالح عن ابن عباس قال: قالت الجن يا رسول الله إئذن لنا فنشهد معك الصلوات في مسجدك فأنزل الله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾(٣) الآية.

[٩٨٠] وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: قالت الجن للنبي [ﷺ]: كيف لنا أن نأتي المسجد ونحن ناؤن عنك أو كيف نشهد الصلاة ونحن ناؤن عنك؟ فنزلت: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾(٤) الآية.

[٩٨١] وأخرج ابن جرير عن حضرمي أنه ذكر له أن جنياً من الجن من أشرافهم ذا تبع قال: إنما يريد محمد أن يجيره الله وأنا أجيره فأنزل الله: ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾(٥) الآية.

* * *

---

[٩٧٧] (١) سورة الجن: الآية (٦).
[٩٧٨] (٢) سورة الجن: الآية (١٦).
[٩٧٩] (٣) سورة الجن: الآية (١٨).
[٩٨٠] (٤) سورة الجن: الآية (١٨).
[٩٨١] (٥) سورة الجن: الآية (٢٢).

سورة الجن

وهي عشرون وثمان آيات مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ ﴾

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ **وفيه مسائل:**

المسألة الأولى: اختلف الناس قديمًا وحديثًا في ثبوت الجن ونفيه، فالنقل الظاهر عن أكثر الفلاسفة إنكاره، وذلك لأن أبا علي بن سينا قال في رسالته في حدود الأشياء الجن: حيوان هوائي متشكل بأشكال مختلفة، ثم قال: (وهذا شرح للاسم). فقوله: (وهذا شرح للاسم) يدل على أن هذا الحد شرح للمراد من هذا اللفظ وليس لهذه الحقيقة وجود في الخارج، وأما جمهور أرباب الملل والمصدقين للأنبياء فقد اعترفوا بوجود الجن، واعترف به جمع عظيم من قدماء الفلاسفة وأصحاب الروحانيات ويسمونها بالأرواح السفلية، وزعموا أن الأرواح السفلية أسرع إجابة إلا أنها أضعف، وأما الأرواح الفلكية فهي أبطأ إجابة إلا أنها أقوى. واختلف المثبتون على قولين: فمنهم من زعم أنها ليست أجسامًا ولا حالة في الأجسام بل هي جواهر قائمة بأنفسها، قالوا: ولا يلزم من هذا أن يقال: إنها تكون مساوية لذات الله لأن كونها ليست أجسامًا ولا جسمانية سلوب والمشاركة في السلوب لا تقتضي المساواة في الماهية، قالوا: ثم إن هذه الذوات بعد اشتراكها في هذا السلب أنواع مختلفة بالماهية كاختلاف ماهيات الأعراض بعد استوائها في الحاجة إلى المحل فبعضها خيرة، وبعضها شريرة، وبعضها كريمة محبة للخيرات، وبعضها دنيئة خسيسة محبة للشرور والآفات، ولا يعرف عدد أنواعهم وأصنافهم إلا الله، قالوا: وكونها موجودات مجردة لا يمنع من كونها عالمة بالخبريات قادرة على الأفعال، فهذه الأرواح يمكنها أن تسمع وتبصر وتعلم الأحوال الخبرية وتفعل الأفعال المخصوصة، ولما ذكرنا أن ماهياتها مختلفة لا جرم لم يبعد أن يكون في أنواعها ما يقدر على أفعال شاقة عظيمة تعجز عنها قدر البشر، ولا يبعد أيضًا أن يكون لكل نوع منها تعلق بنوع مخصوص من أجسام هذا العالم، وكما أنه دلت الدلائل الطبية على أن المتعلق الأول للنفس الناطقة التي ليس الإنسان إلا هي، هي الأرواح وهي أجسام بخارية لطيفة تتولد من ألطف أجزاء الدم وتتكون في الجانب الأيسر من القلب ثم بواسطة تعلق النفس بهذه الأرواح تصير متعلقة بالأعضاء التي تسري فيها

هذه الأرواح، لم يبعد أيضًا أن يكون لكل واحد من هؤلاء الجن تعلق بجزء من أجزاء الهواء، فيكون ذلك الجزء من الهواء هو المتعلق الأول لذلك الروح ثم بواسطة سيران ذلك الهواء في جسم آخر كثيف يحصل لتلك الأرواح تعلق وتصرف في تلك الأجسام الكثيفة، ومن الناس من ذكر في الجن طريقة أخرى فقال: هذه الأرواح البشرية والنفوس الناطقة إذا فارقت أبدانها وازدادت قوة وكمالاً بسبب ما في ذلك العالم الروحاني من انكشاف الأسرار الروحانية فإذا اتفق أن حدث بدن آخر مشابه لما كان لتلك النفس المفارقة من البدن، فبسبب تلك المشاكلة يحصل لتلك النفس المفارقة تعلق ما لهذا البدن، وتصير تلك النفس المفارقة كالمعاونة لنفس ذلك البدن في أفعالها وتدبيرها لذلك البدن، فإن الجنسية علة الضم، فإن اتفقت هذه الحالة في النفوس الخيرة سمي ذلك المعين ملكًا وتلك الإعانة إلهامًا، وإن اتفقت في النفوس الشريرة سمي ذلك المعين شيطانًا وتلك الإعانة وسوسة.

والقول الثاني: في الجن أنهم أجسام ثم القائلون بهذا المذهب اختلفوا على قولين: منهم من زعم أن الأجسام مختلفة في ماهياتها، إنما المشترك بينها صفة واحدة، وهي كونها بأسرها حاصلة في الحيز والمكان والجهة وكونها موصوفة بالطول والعرض والعمق، وهذه كلها إشارة إلى الصفات، والاشتراك في الصفات لا يقتضي الاشتراك في تمام الماهية لما ثبت أن الأشياء المختلفة في تمام الماهية لا يمتنع اشتراكها في لازم واحد. قالوا: وليس لأحد أن يحتج على تماثل الأجسام بأن يقال: الجسم من حيث إنه جسم له حد واحد، وحقيقة واحدة، فيلزم أن لا يحصل التفاوت في ماهية الجسم من حيث هو جسم، بل إن حصل التفاوت حصل في مفهوم زائد على ذلك، وأيضًا فلأنه يمكننا تقسيم الجسم إلى اللطيف والكثيف، والعلوي والسفلي، ومورد التقسيم مشترك بين الأقسام، فالأقسام كلها مشتركة في الجسمية، والتفاوت إنما يحصل بهذه الصفات، وهي اللطافة والكثافة، وكونها علوية وسفلية قالوا: وهاتان الحجتان ضعيفتان.

أما الحجة الأولى: فلأنا نقول: كما أن الجسم من حيث إنه جسم له حد واحد، وحقيقة واحدة، فكذا العرض من حيث إنه عرض له حد واحد، وحقيقة واحدة فيلزم منه أن تكون الأعراض كلها متساوية في تمام الماهية، وهذا مما لا يقوله عاقل، بل الحق عند الفلاسفة أنه ليس للأعراض ألبتة قدر مشترك بينها من الذاتيات، إذ لو حصل بينها قدر مشترك لكان ذلك المشترك جنسًا لها، ولو كان كذلك لما كانت التسعة أجناسًا عالية بل كانت أنواع جنس واحد إذا ثبت هذا فنقول: الأعراض من حيث إنها أعراض لها حقيقة واحدة، ولم يلزم من ذلك أن يكون بينها ذاتي مشترك أصلاً، فضلاً عن أن تكون متساوية في تمام الماهية، فلم لا يجوز أن يكون الحال في الجسم كذلك، فإنه كما أن الأعراض مختلفة في تمام الماهية، ثم إن تلك المختلفات متساوية في وصف عارض وهو كونها عارضة لموضوعاتها، فكذا من الجائز أن تكون ماهيات الأجسام مختلفة في تمام ماهياتها ثم إنها تكون متساوية في وصف عارض، وهو كونها مشارًا إليها

بالحس وحاصلة في الحيز والمكان، وموصوفة بالأبعاد الثلاثة، فهذا الاحتمال لا دافع له أصلاً.

وأما الحجة الثانية: وهي قولهم: إنه يمكن تقسيم الجسم إلى اللطيف والكثيف فهي أيضًا منقوضة بالعرض فإنه يمكن تقسيم العرض إلى الكيف والكم ولم يلزم أن يكون هناك قدر مشترك من الذاتي فضلاً عن التساوي في كل الذاتيات فلم لا يجوز أن يكون الأمر هاهنا أيضًا كذلك إذا ثبت أنه لا امتناع في كون الأجسام مختلفة ولم يدل دليل على بطلان هذا الاحتمال، فحينئذ قالوا: لا يمتنع في بعض الأجسام اللطيفة الهوائية أن تكون مخالفة لسائر أنواع الهواء في الماهية ثم تكون تلك الماهية تقتضي لذاتها علمًا مخصوصًا وقدرة مخصوصة على أفعال عجيبة، وعلى هذا التقدير يكون القول بالجن ظاهر الاحتمال وتكون قدرتها على التشكل بالأشكال المختلفة ظاهرة الاحتمال.

القول الثاني: قول من قال: الأجسام متساوية في تمام الماهية، والقائلون بهذا المذهب أيضًا فرقتان:

الفرقة الأولى: زعموا أن البنية ليست شرطًا للحياة، وهذا قول الأشعري وجمهور أتباعه وأدلتهم في هذا الباب ظاهرة قوية قالوا: ولو كانت البنية شرطًا للحياة لكان إما أن يقال: إن الحياة الواحدة قامت بمجموع الأجزاء أو يقال: قام بكل واحد من الأجزاء حياة على حدة، والأول محال لأن حلول العَرَض الواحد في المحال الكثيرة دفعة واحدة غير معقول، والثاني أيضًا باطل لأن الأجزاء التي منها تألف الجسم متساوية والحياة القائمة بكل واحد منها مساوية للحياة القائمة بالجزء الآخر وحكم الشيء حكم مثله، فلو افتقر قيام الحياة بهذا الجزء إلى قيام تلك الحياة بذلك الجزء لحصل هذا الافتقار من الجانب الآخر فيلزم وقوع الدور وهو محال، وإن لم يحصل هذا الافتقار فحينئذ ثبت أن قيام الحياة بهذا الجزء لا يتوقف على قيام الحياة الثانية بذلك الجزء الثاني، وإذا بطل هذا التوقف ثبت أنه يصح كون الجزء الواحد موصوفًا بالحياة والعلم والقدرة والإرادة وبطل القول بأن البنية شرط، قالوا: وأما دليل المعتزلة وهو أنه لا بد من البنية فليس إلا الاستقراء وهو أنا رأينا أنه متى فسدت البنية بطلت الحياة ومتى لم تفسد بقيت الحياة فوجب توقف الحياة على حصول البنية، إلا أن هذا ركيك، فإن الاستقراء لا يفيد القطع بالوجوب، فما الدليل على أن حال من لم يشاهد كحال ما شوهد، وأيضًا فلأن هذا الكلام إنما يستقيم على قول من ينكر خرق العادات، أما من يجوزها فهذا لا يتمشى على مذهبه والفرق بينهما في جعل بعضها على سبيل العادة وجعل بعضها على سبيل الوجوب تحكم محض لا سبيل إليه، فثبت أن البنية ليست شرطًا في الحياة، وإذا ثبت هذا لم يبعد أن يخلق الله تعالى في الجوهر الفرد علمًا بأمور كثيرة وقدرة على أشياء شاقة شديدة، وعند هذا ظهر القول بإمكان وجود الجن، سواء كانت أجسامهم لطيفة أو كثيفة، وسواء كانت أجزاؤهم كبيرة أو صغيرة.

القول الثاني: أن البنية شرط الحياة، وأنه لا بد من صلابة في البنية حتى يكون قادرًا على الأفعال الشاقة فهاهنا مسألة أخرى، وهي أنه هل يمكن أن يكون المرئي حاضرًا والموانع مرتفعة والشرائط من القرب والبعد حاصلة، وتكون الحاسة سليمة، ثم مع هذا لا يحصل الإدراك أو يكون هذا ممتنعًا عقلًا؟ أما الأشعري وأتباعه فقد جوزوه، وأما المعتزلة فقد حكموا بامتناعه عقلًا، والأشعري احتج على قوله بوجوه عقلية ونقلية، أما العقلية فأمران: الأول: أنا نرى الكبير من البعد صغيرًا وما ذاك إلا أنا نرى بعض أجزاء ذلك البعيد دون البعض مع أن نسبة الحاسة وجميع الشرائط إلى تلك الأجزاء المرئية كهي بالنسبة إلى الأجزاء التي هي غير مرئية فعلمنا أن مع حصول سلامة الحاسة وحضور المرئي وحصول الشرائط وانتفاء الموانع لا يكون الإدراك واجبًا، الثاني: أن الجسم الكبير لا معنى له إلا مجموع تلك الأجزاء المتألفة، فإذا رأينا ذلك الجسم الكبير على مقدار من البعد فقد رأينا تلك الأجزاء، فإما أن تكون رؤية هذا الجزء مشروطة برؤية ذلك الجزء الآخر أو لا تكون، فإن كان الأول يلزم الدور لأن الأجزاء متساوية فلو افتقرت رؤية هذا الجزء إلى رؤية ذلك الجزء لافتقرت أيضًا رؤية ذلك الجزء إلى رؤية هذا الجزء فيقع الدور، وإن لم يحصل هذا الافتقار فحينئذ رؤية الجوهر الفرد على ذلك القدر من المسافة تكون ممكنة، ثم من المعلوم أن ذلك الجوهر الفرد لو حصل وحده من غير أن ينضم إليه سائر الجواهر فإنه لا يرى، فعلمنا أن حصول الرؤية عند اجتماع الشرائط لا يكون واجبًا بل جائزًا، وأما المعتزلة فقد عولوا على أنا لو جوزنا ذلك لجوزنا أن يكون بخضرتنا طبلات وبوقات ولا نراها ولا نسمعها فإذا عارضناهم بسائر الأمور العادية وقلنا لهم: فجوزوا أن يقال انقلبت مياه البحار ذهب وفضة، والجبال ياقوتًا وزبرجدًا، أو حصلت في السماء حال ما غمضت العين ألف شمس وقمر، ثم لمَّا فتحت العين أعدمها الله؛ عجزوا عن الفرق، والسبب في هذا التشوش أن هؤلاء المعتزلة نظروا إلى هذه الأمور المطردة في مناهج العادات، فوهموا أن بعضها واجبة، وبعضها غير واجبة، ولم يجدوا قانونًا مستقيمًا، ومأخذًا سليمًا في الفرق بين البابين، فتشوش الأمر عليهم، بل الواجب أن يسوى بين الكل، فيحكم على الكل بالوجوب، كما هو قول الفلاسفة، أو على الكل بعدم الوجوب كما هو قول الأشعري.

فأما التحكم في الفرق فهو بعيد، إذا ثبت هذا ظهر جواز القول بالجن، فإن أجسامهم وإن كانت كثيفة قوية إلا أنه لا يمتنع أن لا تراها، وإن كانوا حاضرين هذا على قول الأشعري فهذا هو تفصيل هذه الوجوه، وأنا متعجب من هؤلاء المعتزلة أنهم كيف يصدقون ما جاء في القرآن من إثبات الملك والجن مع استمرارهم على مذاهبهم، وذلك لأن القرآن دل على أن للملائكة قوة عظيمة على الأفعال الشاقة، والجن أيضًا كذلك، وهذه القدرة لا تثبت إلا في الأعضاء الكثيفة الصلبة، فإذًا يجب في الملك والجن أن يكونا كذلك، ثم إن هؤلاء الملائكة حاضرون عندنا أبدًا، وهم الكرام الكاتبون والحفظة، ويحضرون أيضًا عند قبض الأرواح، وقد كانوا يحضرون

عند الرسول ﷺ، وأن أحدًا من القوم ما كان يراهم، وكذلك الناس الجالسون عند من يكون في النزع لا يرون أحدًا، فإن وجبت رؤية الكثيف عند الحضور فلم لا نراها وإن لم تجب الرؤية فقد بطل مذهبهم، وإن كانوا موصوفون بالقوة والشدة مع عدم الكثافة والصلابة فقد بطل قولهم: إن البنية شرط الحياة، وإن قالوا: إنها أجسام لطيفة وحية، ولكنها للطافتها لا تقدر على الأعمال الشاقة، فهذا إنكار لصريح القرآن، وبالجملة فحالهم في الإقرار بالملك والجن مع هذه المذاهب عجيب، وليتهم ذكروا على صحة مذاهبهم شبهة مخيلة فضلاً عن حجة مبينة، فهذا هو التنبيه على ما في هذا الباب من الدقائق والمشكلات، وبالله التوفيق.

المسألة الثانية: اختلفت الروايات في أنه عليه الصلاة والسلام هل رأى الجن أم لا؟.

فالقول الأول: وهو مذهب ابن عباس أنه عليه السلام ما رآهم، قال: إن الجن كانوا يقصدون السماء في الفترة بين عيسى ومحمد فيستمعون أخبار السماء ويلقونها إلى الكهنة فلما بعث الله محمدًا عليه السلام حرست السماء، وحيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت الشهب عليهم فرجعوا إلى إبليس وأخبروه بالقصة فقال: لا بد لهذا من سبب فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها واطلبوا السبب فوصل جمع من أولئك الطالبين إلى تهامة فرأوا رسول الله ﷺ في سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا: هذا والله هو الذي حال بينكم وبين خبر السماء فهناك رجعوا إلى قومهم وقالوا يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾(١) فأخبر الله تعالى محمدًا عليه السلام عن ذلك الغيب وقال: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ كذا وكذا، قال وفي هذا دليل على أنه عليه السلام لم ير الجن إذ لو رآهم لما أسند معرفة هذه الواقعة إلى الوحي فإن ما عرف وجوده بالمشاهدة لا يسند إثباته إلى الوحي، فإن قيل: الذين رموا بالشهب هم الشياطين والذين سمعوا القرآن هم الجن فكيف وجه الجمع؟ قلنا: فيه وجهان: الأول: أن الجن كانوا مع الشياطين فلما رمي الشياطين أخذ الجن الذين كانوا معهم في تجسس الخبر، الثاني: أن الذين رموا بالشهب كانوا من الجن إلا أنه قيل لهم: شياطين كما قيل: شياطين الجن والإنس فإن الشيطان كل متمرد بعيد عن طاعة الله، واختلفوا في أن أولئك الجن الذين سمعوا القرآن من هم؟ فروى عاصم عن أبي ذر قال: قدم رهط زوبعة وأصحابه مكة على النبي ﷺ فسمعوا قراءة النبي ﷺ ثم انصرفوا فذلك قوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الأحقاف: ٢٩](٢)

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب (صفة الصلاة) باب (الجهر بالقراءة) (١/ ٢٦٧) حديث رقم (٧٣٩) ومسلم في (صحيحه) (٢/ ٣٥/ ١٠٣٤) كلاهما من طريق أبي عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما... به.

(٢) أخرجه الطبري في (تفسيره) (٢٣/ ٦٤٨) من طريق مهران عن سفيان عن عاصم عن ورقاء... به وأخرجه الترمذي في (سننه) (٥/ ٤٢٦) حديث رقم (١٢٤٤٩) والبيهقي في (سننه الكبرى) (٢/ ١٩٤) حديث رقم (٢٨٩٠) وابن منده في (الإيمان) (٢/ ٧٠٤) حديث رقم (٧٠٢) جميعا من طريق أبي بشر جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس... به الطبري في (تفسيره) (٢٣/ ٦٤٧). من طريق أبي هشام المخزومي حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر=

وقيل: كانوا من الشيصبان وهم أكثر الجن عددًا وعامة جنود إبليس منهم.

القول الثاني: وهو مذهب ابن مسعود أنه أمر النبي ﷺ بالمسير إليهم ليقرأ القرآن عليهم ويدعوهم إلى الإسلام، قال ابن مسعود قال عليه الصلاة والسلام: «أُمِرْتُ أَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ عَلَى الْجِنِّ فَمَنْ يَذْهَبُ مَعِي؟» فَسَكَتُوا، ثُمَّ قَالَ الثَّانِيَةَ فَسَكَتُوا، ثُمَّ قَالَ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ قُلْتُ أَنَا أَذْهَبُ مَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا جَاءَ الْحَجُونَ عِنْدَ شِعْبِ ابْنِ أَبِي دُبٍّ، خَطَّ عَلَيَّ خَطًّا فَقَالَ: «لاَ تُجَاوِزْهُ»، ثُمَّ مَضَى إِلَى الْحَجُونِ فَانْحَدَرُوا عَلَيْهِ أَمْثَالَ الْحَجَلِ كَأَنَّهُمْ رِجَالُ الزُّطِّ يَقْرَعُونَ فِي دُفُوفِهِمْ كَمَا تَقْرَعُ النِّسْوَةُ فِي دُفُوفِهَا حَتَّى غَشَوْهُ، فَغَابَ عَنْ بَصَرِي فَقُمْتُ، فَأَوْمَأَ إِلَيَّ بِيَدِهِ أَنِ اجْلِسْ، ثُمَّ تَلاَ الْقُرْآنَ، فَلَمْ يَزَلْ صَوْتُهُ يَرْتَفِعُ، وَلَصِقُوا بِالأَرْضِ حَتَّى صِرْتُ أَسْمَعُ صَوْتَهُمْ وَلاَ أَرَاهُمْ [1]. وفي رواية أخرى فَقَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «أَنَا نَبِيُّ اللَّهِ»، قَالُوا: فَمَنْ يَشْهَدُ لَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالَ: «هَذِهِ الشَّجَرَةُ، تَعَالَي يَا شَجَرَةُ»، فَجَاءَتْ تَجُرُّ عُرُوقَهَا لَهَا قَعَاقِعُ حَتَّى انْصَبَّتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «عَلَى مَاذَا تَشْهَدِينَ لِي؟» قَالَتْ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «اذْهَبِي»، فَرَجَعَتْ كَمَا جَاءَتْ حَتَّى صَارَتْ كَمَا كَانَتْ. قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: فَلَمَّا عَادَ إِلَيَّ، قَالَ: «أَرَدْتَ أَنْ تَأْتِيَنِي؟» قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «مَا كَانَ ذَلِكَ لَكَ، هَؤُلاَءِ الْجِنُّ أَتَوْا يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ، فَسَأَلُونِي الزَّادَ فَزَوَّدْتُهُمُ الْعَظْمَ وَالْبَعْرَ، فَلاَ يَسْتَطِيبَنَّ أَحَدٌ بِعَظْمٍ وَلاَ بَعْرٍ» [2].

واعلم أنه لا سبيل إلى تكذيب الروايات، وطريق التوفيق بين مذهب ابن عباس، ومذهب ابن مسعود من وجوه أحدها: لعل ما ذكره ابن عباس وقع أولاً، فأوحى الله تعالى إليه بهذه السورة، ثم أمر بالخروج إليهم بعد ذلك كما روى ابن مسعود، وثانيها: أن بتقدير أن تكون واقعة الجن مرة واحدة، إلا أنه عليه السلام أمر بالذهاب إليهم، وقراءة القرآن عليهم، إلا أنه عليه السلام ما عرف أنهم ماذا قالوا، وأي شيء فعلوا، فالله تعالى أوحى إليه أنه كان كذا وقالوا كذا وثالثها: أن الواقعة كانت مرة واحدة، وهو عليه السلام رآهم وسمع كلامهم، وهم آمنوا به، ثم لما رجعوا إلى قومهم قالوا لقومهم على سبيل الحكاية: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ وكان كذا وكذا، فأوحى الله إلى محمد ﷺ ما قالوه لأقوامهم، وإذا كانت هذه الوجوه محتملة فلا سبيل إلى التكذيب.

=عن سعيد بن جبير عن ابن عباس... به والطحاوي في (مشكل الآثار) (٥/ ٣٠٨) حديث رقم (١٩٣٣) من طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس... به وأبو عوانة في (مستخرجه) (٤/ ٤٢٩) حديث رقم (٣٠٧٧).

(١) إسناده ضعيف: أخرجه الفاكهي في (أخبار مكة) (٦/ ٨٦) حديث رقم (٢٢٥١) من طريق ابن ثور عن ابن جريج قال أخبرني مخبر عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن عبد الله بن مسعود... به والطبري في (تفسيره) (٢٢/ ١٣٦) من طريق يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة... به وفي إسناده مجهول وأيضا منقطع بين أبي عبيدة وأبيه فإنه لم يسمع منه.

(٢) انظر سابقه.

المسألة الثالثة: اعلم أن قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾ أمر منه تعالى لرسوله أن يظهر لأصحابه ما أوحى الله في واقعة الجن، وفيه فوائد: إحداها: أن يعرفوا بذلك أنه عليه السلام كما بعث إلى الإنس، فقد بعث إلى الجن، وثانيها: أن يعلم قريش أن الجن مع تمردهم لما سمعوا القرآن عرفوا إعجازه، فآمنوا بالرسول، وثالثها: أن يعلم القوم أن الجن مكلفون كالإنس، ورابعها: أن يعلم أن الجن يستمعون كلامنا ويفهمون لغاتنا، وخامسها: أن يظهر أن المؤمن منهم يدعو غيره من قبيلته إلى الإيمان، وفي كل هذه الوجوه مصالح كثيرة إذا عرفها الناس.

المسألة الرابعة: الإيحاء إلقاء المعنى إلى النفس في خفاء كالإلهام وإنزال الملك ويكون ذلك في سرعة من قولهم: الوحي الوحي، والقراءة المشهورة، ﴿أُوحِيَ﴾ بالألف، وفي رواية يونس وهارون، عن أبي عمرو (وَحِي) بضم الواو بغير ألف وهما لغتان يقال: وُحِيَ إليه وأوحى إليه وقرئ (أُحِيَ) بالهمز من غير واو، وأصله وحي، فقلبت الواو همزة كما يقال: أُعِد وأُزِن و﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ [المرسلات: ١١].

وقوله تعالى: ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾: فيه مسائل:

المسألة الأولى: أجمعوا على أن قوله: ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾ بالفتح وذلك لأنه نائب فاعل أوحي فهو كقوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ﴾ [الأنعام: ١٩] وأجمعوا على كسر إنا في قوله: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾ لأنه مبتدأ محكي بعد القول، ثم هاهنا قراءتان إحداهما: أن نحمل البواقي على الموضعين اللذين بينا أنهم أجمعوا عليهما فما كان من الوحي فتح، وما كان من قول الجن كسر، وكلها من قول الجن إلا الآخرين وهما قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن: ١٨] ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ﴾ [الجن: ١٩]، وثانيهما: فتح الكل والتقدير: فآمنا به وآمنا بأنه تعالى جد ربنا وبأنه كان يقول سفيهنا وكذا البواقي، فإن قيل: هاهنا إشكال من وجهين: أحدهما: أنه يقبح إضافة الإيمان إلى بعض هذه السورة فإنه يقبح أن يقال: وآمنا بأنه كان يقول: سفيهنا على الله شططًا، والثاني: وهو أنه لا يعطف على الهاء المخفوضة إلا بإظهار الخافض لا يقال: آمنا به وزيد، بل يقال: آمنا به وبزيد، والجواب: عن الإشكالين أنا إذا حملنا قوله: آمنا على معنى صدقنا وشهدنا زال الإشكالان.

المسألة الثانية: ﴿نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ جماعة منهم ما بين الثلاثة إلى العشرة روي أن ذلك النفر كانوا يهودًا، وذكر الحسن أن فيهم يهودًا ونصارى ومجوسًا ومشركين، ثم اعلم أن الجن حكوا أشياء:

قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾

النوع الأول: مما حكوه قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ أي قالوا لقومهم حين رجعوا إليهم كقوله: ﴿فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]، ﴿قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ أي خارجًا عن حد أشكاله ونظائره، و(عجبًا) مصدر يوضع موضع

العجيب ولا شك أنه أبلغ من العجيب، ﴿ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ أي إلى الصواب، وقيل: إلى التوحيد ﴿ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ أي بالقرآن ويمكن أن يكون المراد فآمنا بالرشد الذي في القرآن وهو التوحيد ﴿ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ أي ولن نعود إلى ما كنا عليه من الإشراك به وهذا يدل على أن أولئك الجن كانوا من المشركين.

النوع الثاني: مما ذكره الجن أنهم كما نفوا عن أنفسهم الشرك نزهوا ربهم عن الصاحبة والولد. فقالوا: ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ **وفيه مسائل:**

المسألة الأولى: في الجد: قولان: الأول: الجد في اللغة: العظمة يقال: جد فلان أي عظم ومنه الحديث: «**كَانَ الرَّجُلُ إِذَا قَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ جَدَّ فِينَا**» أي جد قدره وعظم، لأن الصاحبة تتخذ للحاجة إليها والولد للتكثر به والاستئناس، وهذه من سمات الحدوث وهو سبحانه منزه عن كل نقص.

القول الثاني: الجد: الغنى ومنه الحديث: «**لاَ يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**»[(١)] قال أبو عبيدة: أي لا ينفع ذا الغنى منك غناه، وكذلك الحديث الآخر: «**قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ يَدْخُلُهَا الْفُقَرَاءُ وَإِذَا أَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ**» يعني أصحاب الغنى في الدنيا، فيكون المعنى وأنه تعالى غني عن الاحتياج إلى الصاحبة والاستئناس بالولد.

وعندي فيه قول ثالث: وهو أن جد الإنسان أصله الذي منه وجوده فجعل الجد مجازًا عن الأصل، فقوله تعالى: ﴿ جَدُّ رَبِّنَا﴾ معناه تعالى أصل ربنا وأصله حقيقته المخصوصة التي لنفس تلك الحقيقة من حيث إنها هي تكون واجبة الوجود فيصير المعنى أن حقيقته المخصوصة متعالية عن جميع جهات التعلق بالغير لأن الواجب لذاته يجب أن يكون واجب الوجود من جميع جهاته، وما كان كذلك استحال أن يكون له صاحبة وولد.

المسألة الثانية: قرئ (جَدًّا ربُّنَا) بالنصب على التمييز و(جِد ربنا) بالكسر أي صدق ربوبيته وحق إلهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد، وكأن هؤلاء الجن لما سمعوا القرآن تنبهوا لفساد ما عليه كفرة الجن فرجعوا أولاً عن الشرك، وثانيًا عن دين النصارى.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم في كتاب (الصلاة) باب (ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع) (١/ ٢٠٥/ ٣٤٧) من طريق مروان بن محمد الدمشقي. . . به وأبو داود في كتاب (الصلاة) باب (ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع) (١/ ٢٢٤) حديث رقم (٨٤٧) من طريق الوليد وأبو مسهر وبشر بن بكر وعبد الله بن يوسف. . . به والنسائي في كتاب (التطبيق) باب (ما يقول في قيامه ذلك) (٢/ ٥٤٤) حديث رقم (١٠٦٧) من طريق مخلد. . . به وأحمد في (مسنده) (٣/ ٨٧) قال: حدثنا الحكم بن نافع والدارمي في كتاب (الصلاة) باب (القول بعد رفع الرأس من الركوع) (١/ ٣١٤) حديث رقم (١٣١٣) من طريق مروان بن محمد عن سعيد بن عبد العزيز. . . به وابن خزيمة في (صحيحه) (١) حديث رقم (٦١٣) من طريق عبد الله بن يوسف وأبو مسهر وبشر بن بكر. . . به جميعًا (مروان، الوليد، أبو مسهر، بشر، ابن يوسف، مخلد، الحكم) عن سعيد بن عبد العزيز. . . به.

قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥ ﴾

النوع الثالث: مما ذكره الجن قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾ السفه خفة العقل والشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره ومنه أشط في الصوم إذا أبعد فيه أي يقول قولاً هو في نفسه شطط لفرط ما أشط فيه.

واعلم أنه لما كان الشطط هو مجاوزة الحد، وليس في اللفظ ما يدل على أن المراد مجاوزة الحد في جانب النفي أو في جانب الإثبات، فحينئذ ظهر أن كلا الأمرين مذموم فمجاوزة الحد في النفي تفضي إلى التعطيل ومجاوزة الحد في الإثبات تفضي إلى التشبيه، وإثبات الشريك والصاحبة والولد وكلا الأمرين شطط ومذموم.

النوع الرابع: قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: **وفيه مسألتان:**

المسألة الأولى: معنى الآية: أنا إنما أخذنا قول الغير لأنا ظننا أنه لا يقال: الكذب على الله، فلما سمعنا القرآن علمنا أنهم قد يكذبون، وهذا منهم إقرار بأنهم إنما وقعوا في تلك الجهالات بسبب التقليد، وأنهم إنما تخلصوا عن تلك الظلمات ببركة الاستدلال والاحتجاج.

المسألة الثانية: قوله: ﴿ كَذِبًا﴾ بم نصب؟ فيه وجوه: أحدها: أنه وصف مصدر محذوف والتقدير أن لن تقول الإنس والجن على الله قولاً كذبًا، وثانيها: أنه نصب نصب المصدر لأن الكذب نوع من القول، وثالثها: أن من قرأ: (أن لن تَقَوّل) وضع كذبًا موضع تقوُّلاً، ولم يجعله صفة، لأن التقوّل لا يكون إلا كذبًا.

قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧ ﴾

النوع الخامس: قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ **فيه قولان:**

الأول: وهو قول جمهور المفسرين أن الرجل في الجاهلية إذا سافر فأمسى في قفر من الأرض قال: أعوذ بسيد هذا الوادي أو بعزيز هذا المكان من شر سفهاء قومه، فيبيت في جوار منهم حتى يصبح، وقال آخرون: كان أهل الجاهلية إذا قحطوا بعثوا رائدهم، فإذا وجد مكانًا فيه كلأ وماء رجع إلى أهله فيناديهم، فإذا انتهوا إلى تلك الأرض نادوا نعوذ برب هذا الوادي من أن يصيبنا آفة يعنون الجن، فإن لم يفزعهم أحد نزلوا، وربما تفزعهم الجن فيهربون، القول الثاني: المراد أنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الإنس أيضًا، لكن من شر الجن، مثل أن يقول الرجل: أعوذ برسول الله من شر جن هذا الوادي، وأصحاب هذا التأويل إنما ذهبوا إليه، لأن الرجل اسم الإنس لا اسم الجن، وهذا ضعيف، فإنه لم يقم دليل على أن الذكر من الجن لا

يسمى رجلاً، أما قوله: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ قال المفسرون: معناه زادوهم إثمًا وجرأة وطغيانًا وخطيئة وغيًّا وشرًّا، كل هذا من ألفاظهم، قال الواحدي: الرهق: غشيان الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ [يونس: ٢٦] وقوله: ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس: ٤١] ورجل مرهق أي يغشاه السائلون. ويقال رهقتنا الشمس إذا قربت، والمعنى أن رجال الإنس إنما استعاذوا بالجن خوفًا من أن يغشاهم الجن، ثم إنهم زادوا في ذلك الغشيان، فإنهم لما تعوذوا بهم، ولم يتعوذوا بالله استذلوهم واجترؤوا عليهم فزادوهم ظلمًا، وهذا معنى قول عطاء خبطوهم وخنقوهم، وعلى هذا القول زادوا من فعل الجن وفي الآية قول آخر وهو أن زادوا من فعل الإنس وذلك لأن الإنس لما استعاذوا بالجن فالجن يزدادون بسبب ذلك التعوذ طغيانًا فيقولون: سدنا الجن والإنس، والقول الأول هو اللائق بمساق الآية والموافق لنظمها.

النوع السادس: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ۝٧﴾

اعلم أن هذه الآية والتي قبلها يحتمل أن يكونا من كلام الجن، ويحتمل أن يكونا من جملة الوحي فإن كانا من كلام الجن وهو الذي قاله بعضهم مع بعض، كان التقدير: وأن الإنس ظنوا كما ظننتم أيها الجن، وإن كانا من الوحي كان التقدير: وأن الجن ظنوا كما ظننتم يا كفار قريش وعلى التقديرين فالآية دلت على أن الجن كما أنهم كان فيهم مشرك ويهودي ونصراني ففيهم من ينكر البعث، ويحتمل أن يكون المراد أنه لا يبعث أحدًا للرسالة على ما هو مذهب البراهمة، واعلم أن حمله على كلام الجن أولى لأن ما قبله وما بعده كلام الجن فإلقاء كلام أجنبي عن كلام الجن في البين غير لائق.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩﴾

النوع السابع: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ اللمس: المس فاستعير للطلب، لأن الماس طالب متعرف يقال: لمسه والتمسه، ومثله الجس يقال: جسوه بأعينهم وتجسسوه، والمعنى طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها، والحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخَدَم في معنى الخُدَّام ولذلك وصف بشديد ولو ذهب إلى معناه لقيل شدادًا.

النوع الثامن: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ أي كنا نستمع فالآن متى حاولنا الاستماع رمينا بالشهب، وفي قوله: ﴿شِهَابًا رَّصَدًا﴾ وجوه أحدها: قال مقاتل: يعني رميًا من الشهب ورصدًا من الملائكة، وعلى هذا يجب أن يكون التقدير: شهابًا ورصدًا لأن الرصد غير الشهاب وهو جمع راصد، وثانيها: قال الفراء: أي شهابًا قد أرصد له ليرجم به، وعلى هذا الرصد نعت للشهاب، وهو فَعَل بمعنى مفعول، وثالثها: يجوز أن يكون رَصَدًا أي راصدًا، وذلك لأن الشهاب لما كان معدًا له، فكأن الشهاب راصد له

ومترصد له واعلم أنا قد استقصينا في هذه المسألة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥] فإن قيل: هذه الشهب كانت موجودة قبل المبعث، ويدل عليه أمور: أحدها: أن جميع الفلاسفة المتقدمين تكلموا في أسباب انقضاض هذه الشهب، وذلك يدل على أنها كانت موجودة قبل المبعث، وثانيها: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ ذكر في خلق الكواكب فائدتين، التزيين ورجم الشياطين، وثالثها: أن وصف هذا الانقضاض جاء في شعر أهل الجاهلية، قال أوس بن حجر:

فانقض كالدريّ يتبعه ... نقع يثور تخاله طُنُبا(١)

وقال عوف بن الخرع:

يَرُدُّ عَلَيْنَا الْعِيرَ مِنْ دُونِ إِلْفِهِ ... أَوِ الثَّوْرَ كَالدُّرِّيِّ يَتْبَعُهُ الدَّمُ(٢)

وروى الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهما: - بينا رسول الله ﷺ جالس في نفر من الأنصار إذ رمي بنجم فاستنار فقال: ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية؟ فقالوا: كنا نقول: يموت عظيم أو يولد عظيم - الحديث إلى آخره ذكرناه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ قالوا: فثبت بهذه الوجوه أن هذه الشهب كانت موجودة قبل المبعث، فما معنى تخصيصها بمحمد عليه الصلاة والسلام؟ والجواب: مبني على مقامين:

المقام الأول: أن هذه الشهب ما كانت موجودة قبل المبعث، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، وأبي بن كعب، روي عن ابن عباس أنه قال: كان الجن يصعدون إلى السماء فيستمعون الوحي فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعًا، أما الكلمة فإنها تكون حقة، وأما الزيادات فتكون باطلة فلما بعث النبي ﷺ منعوا مقاعدهم، ولم تكن النجوم يرى بها قبل ذلك، فقال لهم إبليس: ما هذا إلا لأمر حدث في الأرض، فبعث جنوده فوجدوا رسول الله ﷺ قائمًا يصلي، الحديث إلى آخره، وقال أبي بن كعب: لم يرم بنجم منذ رفع عيسى حتى بعث رسول الله فرمي بها، فرأت قريش أمرًا ما رأوه قبل ذلك فجعلوا يسيبون أنعامهم ويعتقون رقابهم، يظنون أنه الفناء، فبلغ ذلك بعض أكابرهم، فقال: لم فعلتم ما أرى؟ قالوا: رمي بالنجوم فرأيناها تتهافت من السماء، فقال: اصبروا فإن تكن نجومًا معروفة فهو وقت فناء الناس، وإن كانت نجومًا لا تعرف فهو أمر قد حدث فنظروا، فإذا هي لا تعرف، فأخبروه فقال: في الأمر مهلة، وهذا عند ظهور نبي فما مكثوا إلا يسيرًا حتى قدم أبو سفيان على أمواله وأخبر أولئك الأقوام بأنه ظهر

(١) تقدمت ترجمة أوس.

(٢) هذا البيت ضمن قصيدة من البحر الطويل لعوف بن عطية بن الخرع وهو عوف بن عطية بن الخرع وهو: عوف بن عطية بن عمرو الملقب بالخرع بن عيسى بن وديعة التيمي المضري. شاعر جاهلي فحل من تيم الرباب من مضر، أدرك الإسلام، وعدّه ابن سلام من الطبقة الثامنة من الإسلاميين ونعته الزبيدي بالفارسي، فلعله كان قد نزل بفارس.

محمد بن عبدالله ويدعي أنه نبي مرسل، وهؤلاء زعموا أن كتب الأوائل قد توالت عليها التحريفات فلعل المتأخرين ألحقوا هذه المسألة بها طعنًا منهم في هذه المعجزة، وكذا الأشعار المنسوبة إلى أهل الجاهلية لعلها مختلفة عليهم ومنحولة.

المقام الثاني: وهو الأقرب إلى الصواب أن هذه الشهب كانت موجودة قبل المبعث إلا أنها زيدت بعد المبعث وجعلت أكمل وأقوى، وهذا هو الذي يدل عليه لفظ القرآن لأنه قال: ﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ﴾ وهذا يدل على أن الحادث هو الملء والكثرة وكذلك قوله: ﴿نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ﴾ أي كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد كلها، فعلى هذا الذي حمل الجن على الضرب في البلاد وطلب السبب، إنما هو كثرة الرجم ومنع الاستراق بالكلية.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾﴾

النوع التاسع: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ **وفيه قولان:**

أحدهما: أنا لا ندري أن المقصود من المنع من الاستراق هو أشر أريد بأهل الأرض أم صلاح وخير، والثاني: لا ندري أن المقصود من إرسال محمد الذي عنده منع من الاستراق هو أن يكذبوه فيهلكوا كما هلك من كذب من الأمم، أم أراد أن يؤمنوا فيهتدوا.

النوع العاشر: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾.

أي منا الصالحون المتقون أي ومنا قوم دون ذلك فحذف الموصوف كقوله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤] ثم المراد بالذين هم دون الصالحين من؟ فيه قولان: الأول: أنهم المقتصدون الذين يكونون في الصلاح غير كاملين، والثاني: أن المراد من لا يكون كاملاً في الصلاح، فيدخل فيه المقتصدون والكافرون، والقدة من قدد، كالقطعة من قطع. ووصفت الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق، وفي تفسير الآية وجوه: أحدها: المراد كنا ذوي ﴿طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ أي ذوي مذاهب مختلفة. قال السدي: الجن أمثالكم، فيهم مرجئة وقدرية وروافض وخوارج، وثانيها: كنا في اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة، وثالثها: كانت طرائقنا طرائق قددًا على حذف المضاف الذي هو الطرائق، وإقامة الضمير المضاف إليه مقامه.

النوع الحادي عشر: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ الظن بمعنى اليقين، و﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ و﴿هَرَبًا﴾ فيه وجهان: الأول: أنهما حالان، أي لن نعجزه كائنين

في الأرض أينما كنا فيها، ولن نعجزه هاربين منها إلى السماء، والثاني: لن نعجزه في الأرض إن أراد بنا أمرًا، ولن نعجزه هربًا إن طلبنا.

النوع الثاني عشر: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ ﴿لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ أي القرآن، قال تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي آمنا بالقرآن ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ فهو لا يخاف أي فهو غير خائف، وعلى هذا يكون الكلام في تقدير جملة من المبتدأ والخبر، أدخل الفاء عليها لتصير جزاء للشرط الذي تقدمها، ولولا ذاك لقيل: لا يخف، فإن قيل: أي فائدة في رفع الفعل، وتقدير مبتدأ قبله حتى يقع خبرًا له ووجوب إدخال الفاء، وكان ذلك كله مستغنى عنه بأن يقال: لا يخف؟ قلنا: الفائدة فيه أنه إذا فعل ذلك، فكأنه قيل: فهو لا يخاف، فكان دالاً على تحقيق أن المؤمن ناج لا محالة، وأنه هو المختص لذلك دون غيره، لأن قوله: فهو لا يخاف معناه أن غيره يكون خائفًا، وقرأ الأعمش: (فلا يَخَفْ)، وقوله تعالى: ﴿بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ البخس: النقص، والرهق: الظلم، ثم فيه وجهان الأول: لا يخاف جزاء بخس ولا رهق، لأنه لم يبخس أحدًا حقًا، ولا ظلم أحدًا، فلا يخاف جزاءهما، الثاني: لا يخاف أن يبخس، بل يقطع بأنه يجزى الجزاء الأوفى، ولا يخاف أن ترهقه ذلة من قوله: ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٤٣].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾

النوع الثالث عشر: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ القاسط الجائر، والمقسط العادل، وذكرنا معنى قسط وأقسط في أول سورة النساء، فالقاسطون الكافرون الجائرون عن طريق الحق، وعن سعيد بن جبير: أن الحجاج قال له حين أراد قتله: ما تقول في؟ قال: قاسط عادل، فقال القوم: ما أحسن ما قال، حسبوا أنه يصفه بالقسط والعدل، فقال الحجاج: يا جهلة إنه سماني ظالمًا مشركًا، وتلا لهم قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ وقوله: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١] ﴿تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ أي قصدوا طريق الحق، قال أبو عبيدة: تحروا توخوا، قال المبرد: أصل التحري من قولهم: ذلك أحرى، أي أحق وأقرب، وبالحري أن تفعل كذا، أي يجب عليك.

ثم إن الجن ذموا الكافرين فقالوا: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ **وفيه سؤالان:**

الأول: لمَ ذكر عقاب القاسطين ولمْ يذكر ثواب المسلمين؟ الجواب: بل ذكر ثواب المؤمنين وهو قوله تعالى: ﴿تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ أي توخوا رشدًا عظيمًا لا يبلغ كنهه إلا الله تعالى، ومثل هذا لا يتحقق إلا في الثواب.

السؤال الثاني: الجن مخلوقون من النار، فكيف يكونون حطبًا للنار؟ الجواب: أنهم وإن خلقوا من النار، لكنهم تغيروا عن تلك الكيفية وصاروا لحمًا ودمًا هكذا، قيل: وهاهنا آخر كلام الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ۝ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ هذا من جملة الموحى إليه والتقدير: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ﴾ [الجن: ١] ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ فيكون هذا هو النوع الثاني مما أوحي إليه. **وهاهنا مسائل:**

المسألة الأولى: (أن) مخففة من الثقيلة والمعنى: وأوحي إليَّ أن الشأن والحديث لو استقاموا لكان كذا وكذا. قال الواحدي: وفصل (لو) بينها وبين الفعل كفصل لا والسين في قوله: ﴿أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ [طه: ٨٩] و﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ﴾ [المزمل: ٢٠].

المسألة الثانية: الضمير في قوله: ﴿ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ إلى من يرجع؟ فيه قولان: قال بعضهم: إلى الجن الذين تقدم ذكرهم ووصفهم، أي هؤلاء القاسطون لو آمنوا لفعلنا بهم كذا وكذا. وقال آخرون: بل المراد الإنس، واحتجوا عليه بوجهين: الأول: أن الترغيب بالانتفاع بالماء الغدق إنما يليق بالإنس لا بالجن، والثاني: أن هذه الآية إنما نزلت بعدما حبس الله المطر عن أهل مكة سنين، أقصى ما في الباب أنه لم يتقدم ذكر الإنس، ولكنه لما كان ذلك معلومًا جرى مجرى قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] وقال القاضي: الأقرب أن الكل يدخلون فيه. وأقول: يمكن أن يحتج لصحة قول القاضي بأنه تعالى لما أثبت حكمًا معللاً بعلة وهو الاستقامة، وجب أن يعم الحكم بعموم العلة.

المسألة الثالثة: الغدق بفتح الدال وكسرها: الماء الكثير، وقرئ بهما يقال: غَدِقت العين بالكسر فهي غدقة، وروضة مغدقة أي كثيرة الماء، ومطر مَغْدوقٌ وغيداقٌ وغَيدَقٌ إذا كان كثير الماء، وفي المراد بالماء الغدق في هذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الغيث والمطر، والثاني: وهو قول أبي مسلم: أنه إشارة إلى الجنة كما قال: ﴿جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البروج: ١١] وثالثها: أنه المنافع والخيرات جعل الماء كناية عنها، لأن الماء أصل الخيرات كلها في الدنيا.

المسألة الرابعة: إن قلنا: الضمير في قوله: ﴿ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ راجع إلى الجن كان في الآية قولان: أحدهما: لو استقام الجن على الطريقة المثلى أي لو ثبت أبوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله ولم يستكبر عن السجود لآدم ولم يكفر وتبعه ولده على الإسلام لأنعمنا عليهم، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾ [المائدة: ٦٥] وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟﴾ [المائدة: ٦٦] وقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ﴾ [الطلاق: ٢-٣] وقوله: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ إلى قوله ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ [نوح: ١٠-١٢] وإنما ذكر الماء كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع، فإن اللائق بالجن هو هذا الماء المشروب والثاني: أن يكون المعنى وأن لو استقام الجن الذين سمعوا القرآن على طريقتهم التي كانوا عليها

قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها إلى الإسلام لوسعنا عليهم الرزق، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾ [الزخرف: ٣٣] واختار الزجاج الوجه الأول قال: لأنه تعالى ذكر الطريقة معرفة بالألف واللام فتكون راجعة إلى الطريقة المعروفة المشهورة وهي طريقة الهدى، والذاهبون إلى التأويل الثاني استدلوا عليه بقوله بعد هذه الآية ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ فهو كقوله: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨] ويمكن الجواب عنه أن من آمن فأنعم الله عليه كان ذلك الإنعام أيضًا ابتلاء واختبارًا حتى يظهر أنه هل يشتغل بالشكر أم لا، وهل يتفقه في طلب مراضي الله أو في مراضي الشهوة والشيطان، وأما الذين قالوا: الضمير عائد إلى الإنس، فالوجهان عائدان فيه بعينه وهاهنا يكون إجراء قوله: ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ على ظاهره أولى لأن انتفاع الإنس بذلك أتم وأكمل.

المسألة الخامسة: احتج أصحابنا بقوله: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ﴾ على أنه تعالى يضل عباده، والمعتزلة أجابوا بأن الفتنة هي الاختبار كما يقال: فتنت الذهب بالنار لا خلق الضلال، واستدلت المعتزلة باللام في قوله ﴿لِنَفْتِنَهُمْ﴾ على أنه تعالى إنما يفعل لغرض، وأصحابنا أجابوا أن الفتنة بالاتفاق ليست مقصودة فدلت هذه الآية على أن اللام ليست للغرض في حق الله. وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ أي عن عبادته أو عن موعظته، أو عن وحيه. ﴿يَسْلُكْهُ﴾، وقرئ بالنون مفتوحة ومضمومة أي ندخله عذابًا، والأصل نسلكه في عذاب كقوله: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾ [المدثر: ٤٢] إلا أن هذه العبارة أيضًا مستقيمة لوجهين: الأول: أن يكون التقدير: نسلكه في عذاب، ثم حذف الجار وأوصل الفعل، كقوله: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٥٥] والثاني: أن يكون معنى نسلكه أي ندخله، يقال: سلكه وأسلكه، والصَّعَد مصدر صعد، يقال: صَعَد صَعَدًا وصُعُودًا، فوصف به العذاب لأنه (يَصْعَدُ فَوْقَ طَاقَةِ) المعذب أي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه، ومنه قول عمر: ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة النكاح، يريد ما شق علي ولا غلبني، وفيه قول آخر وهو ما روي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ﴿صَعَدًا﴾ جبل في جهنم، وهو صخرة ملساء، فيكلف الكافر صعودها ثم يجذب من أمامه بسلاسل ويضرب من خلفه بمقامع حتى يبلغ أعلاها في أربعين سنة، فإذا بلغ أعلاها جذب إلى أسفلها، ثم يكلف الصعود مرة أخرى، فهذا دأبه أبدًا، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧].

النوع الثالث: من جملة الموحى:

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: التقدير: قل أوحي إلي أن المساجد لله، ومذهب الخليل أن التقدير: ولأن المساجد لله فلا تدعوا، فعلى هذا اللام متعلقة، (بلا تدعوا، أي) فلا تدعوا مع الله أحدًا في

المساجد لأنها لله خاصة، ونظيره قوله: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾ [المؤمنون: ٥٢] على معنى، ولأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون، أي لأجل هذا المعنى فاعبدون.

المسألة الثانية: اختلفوا في المساجد على وجوه: أحدها: وهو قول الأكثرين: أنها المواضع التي بنيت للصلاة وذكر الله ويدخل فيها الكنائس والبيع ومساجد المسلمين، وذلك أن أهل الكتاب يشركون في صلاتهم في البيع والكنائس، فأمر الله المسلمين بالإخلاص والتوحيد وثانيها: قال الحسن: أراد بالمساجد البقاع كلها قال عليه الصلاة والسلام: «جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا» كأنه تعالى قال: الأرض كلها مخلوقة لله تعالى فلا تسجدوا عليها لغير خالقها، وثالثها: روي عن الحسن أيضًا أنه قال: المساجد هي الصلوات فالمساجد على هذا القول جمع مسجد بفتح الجيم والمَسجَد على هذا القول مصدر بمعنى السجود، ورابعها: قال سعيد بن جبير: المساجد الأعضاء التي يسجد العبد عليها وهي سبعة: القدمان والركبتان واليدان والوجه، وهذا القول اختيار ابن الأنباري، قال: لأن هذه الأعضاء هي التي يقع السجود عليها وهي مخلوقة لله تعالى، فلا ينبغي أن يسجد العاقل عليها لغير الله تعالى، وعلى هذا القول معنى المساجد مواضع السجود من الجسد واحدها مَسجَد بفتح الجيم، وخامسها: قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: يريد بالمساجد مكة بجميع ما فيها من المساجد، وذلك لأن مكة قبلة الدنيا وكل أحد يسجد إليها، قال الواحدي: وواحد المساجد على الأقوال كلها مسجد بفتح الجيم إلا على قول من يقول: إنها المواضع التي بنيت للصلاة فإن واحدها بكسر الجيم لأن المواضع والمصادر كلها من هذا الباب بفتح العين إلا في أحرف معدودة وهي: المَسجِد والمَطْلِع والمَنسِك والمَسكِن والمَنبِت والمَفرِق والمَسقِط والمَجزِر والمَحشِر والمَشرِق والمَغرِب، وقد جاء في بعضها الفتح وهو المَنسَك والمَسْكَن والمَفْرَق والمَطْلَع، وهو جائز في كلها وإن لم يسمع.

المسألة الثالثة: قال الحسن: من السنة إذا دخل الرجل المسجد أن يقول لا إله إلا الله لأن قوله: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ في ضمنه أمر بذكر الله وبدعائه.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾

النوع الرابع: من جملة الموحى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾.

اعلم أن عبدالله هو النبي ﷺ في قول الجميع، ثم قال الواحدي: إن هذا من كلام الجن لا من جملة الموحى، لأن الرسول لا يليق أن يحكي عن نفسه بلفظ المغايبة وهذا غير بعيد، كما في قوله: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥] والأكثرون على أنه من جملة الموحى، إذ لو كان من كلام الجن لكان ما ليس من كلام الجن. وفي خلل ما هو كلام الجن مختلًا بعيدًا عن سلامة النظم وفائدة هذا الاختلاف أن من جعله من جملة الموحى فتح الهمزة في أن، ومن جعله

من كلام الجن كسرها، ونحن نفسر الآية على القولين: أما على قول من قال: إنه من جملة الموحى فالضمير في قوله: ﴿كَادُوا﴾ إلى من يعود؟ فيه ثلاثة أوجه: أحدها: إلى الجن، ومعنى (قام . . . يدعوه) أي قام يعبده يريد قيامه لصلاة الفجر حين أتاه الجن، فاستمعوا القراءة ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾، أي يزدحمون عليه متراكمين تعجبًا مما رأوا من عبادته، واقتداء أصحابه به قائمًا وراكعًا، وساجدًا وإعجابًا بما تلا من القرآن، لأنهم رأوا مالم يروا مثله، وسمعوا ما لم يسمعوا مثله، والثاني: لما قدم رسول الله يعبد الله وحده مخالفًا للمشركين في عبادتهم الأوثان، كاد المشركون لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمون عليه، والثالث: وهو قول قتادة: لما قام عبدالله تلبدت الإنس والجن، وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذي جاء به ويطفئوا نور الله، فأبى الله إلا أن ينصره ويظهره على من عاداه، وأما على قول من قال: إنه من كلام الجن، فالوجهان أيضًا عائدان فيه، وقوله: ﴿لِبَدًا﴾ فهو جمع لبدة وهو ما تلبد بعضه على بعض وارتكم بعضه على بعض، وكل شيء ألصقته بشيء إلصاقًا شديدًا فقد لبدته، ومنه اشتقاق هذه اللبود التي تفرش ويقال: لبدة الأسد لما يتلبد من الشعر بين كتفيه، ومنه قول زهير:

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السِّلَاحِ مُقَذَّفٍ ... لَهُ لِبَدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلَّمِ [(١)]

وقرئ: (لُبَدًا) بضم اللام واللُّبدة في معنى اللِّبدة، وقرئ (لُبَّدًا) جمع لابِد كسُجَّد وساجد. وقرئ أيضًا: (لُبُدا) بضم اللام والباء جمع لبود كصُبُر جمع صَبُور، فإن قيل: لم سمي محمدًا بعبدالله، وما ذكره برسول الله أو نبي الله؟ قلنا: لأنه إن كان هذا الكلام من جملة الموحى، فاللائق بتواضع الرسول أن يذكر نفسه بالعبودية، وإن كان من كلام الجن كان المعنى أن عبدالله لما اشتغل بعبودية الله، فهؤلاء الكفار لم اجتمعوا ولم حاولوا منعه منه، مع أن ذلك هو الموافق لقانون العقل؟.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ قرأ العامة (قال) على الغيبة وقرأ عاصم وحمزة: ﴿قُلْ﴾ حتى يكون نظيرًا لما بعده، وهو قوله: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ﴾ ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي﴾ قال مقاتل: إن كفار مكة قالوا للنبي ﷺ: «إِنَّكَ جِئْتَ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ وَقَدْ عَادَيْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ، فَارْجِعْ عَنْ هذا»[(٢)] فأنزل الله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي﴾ وهذا حجة لعاصم وحمزة، ومن قرأ ﴿قَالَ﴾ حمل ذلك على أن القوم لما قالوا ذلك، أجابهم النبي ﷺ بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي﴾ فحكى الله ذلك عنه بقوله ﴿قَالَ﴾ أو يكون ذاك من بقية حكاية الجن أحوال الرسول لقومهم.

---

(١) تقدمت ترجمة زهير.

(٢) لم أجده.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ إما أن يفسر الرشد بالنفع حتى يكون تقدير الكلام: لا أملك لكم غيًّا ولا رشدًا، ويدل عليه قراءة أبي (غَيًّا وَلاَ رَشَدًا)، ومعنى الكلام أن النافع والضار، والمرشد والمغوي هو الله، وإن أحدًا من الخلق لا قدرة له عليه.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ قال مقاتل: إنهم قالوا: اترك ما تدعو إليه ونحن نجيرك، فقال الله له: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ أي ملجأ وحرزًا، قال المبرد: ﴿مُلْتَحَدًا﴾ مثل قولك منعرجًا، والتحد معناه في اللغة مال، فالملتحد المدخل من الأرض مثل السرب الذاهب في الأرض.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ ذكروا في هذا الاستثناء وجوهًا: أحدها: أنه استثناء من قوله: ﴿لَآ أَمْلِكُ﴾ [الجن: ٢١] أي لا أملك لكم ضرًا ولا رشدًا إلا بلاغًا من الله، وقوله: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي﴾ [الجن: ٢٢] جملة معترضة وقعت في البين لتأكيد نفي الاستطاعة عنه وبيان عجزه على معنى: إنه تعالى إن أراد به سوءًا لم يقدر أحد أن يجيره منه، وهذا قول الفراء. وثانيها: وهو قول الزجاج: أنه نصب على البدل من قوله: ﴿مُلْتَحَدًا﴾ [الجن: ٢٢] والمعنى: ولن أجد من دونه ملجأ إلا بلاغًا، أي لا ينجيني إلا أن أبلغ عن الله ما أرسلت به، وأقول هذا الاستثناء منقطع لأنه تعالى لما لم يقل ولن أجد ملتحدًا بل قال: ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن: ٢٢]، والبلاغ من الله لا يكون داخلاً تحت قوله: ﴿مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ لأن البلاغ من الله لا يكون من دون الله، بل يكون من الله وبإعانته وتوفيقه، ثالثها: قال بعضهم: ﴿إِلَّا﴾ معناه إن لا ومعناه: إن لا أبلغ بلاغًا كقولك: (إلاّ) قيامًا فقعودًا، والمعنى: إن لا أبلغ لم أجد ملتحدًا، فإن قيل: المشهور أنه يقال بلغ عنه قال عليه السلام: «بَلِّغوا عَنِّي، بَلِّغوا عَنِّي» فَلِمَ قال هاهنا: ﴿بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾؟ قلنا: (من) ليست (بصفة للتبليغ) إنما هي بمنزلة (مِنْ) في قوله: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١] بمعنى بلاغًا كائنًا من الله. أما قوله تعالى: ﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ فهو عطف على ﴿بَلَٰغًا﴾ كأنه قال: لا أملك لكم إلا التبليغ والرسالات، والمعنى إلا أن أبلغ عن الله، فأقول: قال الله كذا ناسبًا القول إليه وأن أبلغ رسالاته التي أرسلني بها من غير زيادة ولا نقصان.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ قال الواحدي: إن مكسورة الهمزة لأن ما بعد فاء الجزاء موضع ابتداء ولذلك حمل سيبويه قوله: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٩٥] ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ﴾ [البقرة: ١٢٦] ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ﴾ [الجن: ١٣] على أن المبتدأ فيها مضمر وقال صاحب -الكشاف- وقرئ: (فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ) على تقدير فجزاؤه أن له نار جهنم،

كقولك: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤١] أي فحكمه أن لله خمسه.

ثم قال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ حملاً على معنى الجمع في (من)، **وفي الآية مسألتان:**

المسألة الأولى: استدل جمهور المعتزلة بهذه الآية على أن فساق أهل الصلاة مخلدون في النار وأن هذا العموم يشملهم كشموله الكفار، قالوا: وهذا الوعيد مشروط بشرط أن لا يكون هناك توبة ولا طاعة أعظم منها، قالوا: وهذا العموم أقوى في الدلالة على هذا المطلوب من سائر العمومات لأن سائر العمومات ما جاء فيها قوله: ﴿أَبَدًا﴾ فالمخالف يحمل الخلود على المكث الطويل، أما هاهنا فَقَدْ جاء لفظ الأبد فيكون ذلك صريحًا في إسقاط الاحتمال الذي ذكره المخالف والجواب: أنا بيَّنا في سورة البقرة وجوه الأجوبة على التمسك بهذه العمومات، ونزيد هاهنا وجوهًا: أحدها: أن تخصيص العموم بالواقعة التي لأجلها ورد ذلك العموم عرف مشهور، فإن المرأة إذا أرادت أن تخرج من الدار ساعة فقال الزوج إن خرجت فأنت طالق يفيد ذلك اليمين بتلك الساعة المعينة حتى إنها لو خرجت في يوم آخر لم تطلق، فهاهنا أجرى الحديث في التبليغ عن الله تعالى، ثم قال: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يعني جبريل: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ أي من يعص الله في تبليغ رسالاته وأداء وحيه فإن له نار جهنم، وإذا كان ما ذكرنا محتملاً سقط وجه الاستدلال، الوجه الثاني: وهو أن هذا الوعيد لا بد وأن يتناول هذه الصورة لأن من القبيح أن يذكر عقيب هذه الواقعة حكمًا لا تعلق له بها، فيكون هذا الوعيد وعيدًا على ترك التبليغ من الله، ولا شك أن ترك التبليغ من الله أعظم الذنوب، والعقوبة المترتبة على أعظم الذنوب، لا يجوز أن تكون مرتبة على جميع الذنوب، لأن الذنوب المتفاوتة في الصغر والكبر لا يجوز أن تكون متساوية في العقوبة، وإذا ثبت أن هذه العقوبة على هذا الذنب، وثبت أن ما كان عقوبة على هذا الذنب لا يجوز أن يكون عقوبة على سائر الذنوب، علمنا أن هذا الحكم مختص بهذا الذنب وغير متعد إلى سائر الذنوب، الوجه الثالث: وهو أنه تعالى ذكر عمومات الوعيد في سائر آيات القرآن غير مقيدة بقيد الأبد، وذكرها هاهنا مقيدة بقيد الأبد، فلا بد في هذا التخصيص من سبب، ولا سبب إلا أن هذا الذنب أعظم الذنوب، وإذا كان السبب في هذا التخصيص هذا المعنى، علمنا أن هذا الوعيد مختص بهذا الذنب وغير متعد إلى جميع الذنوب، وإذا ثبت أن هذا الوعيد مختص بفاعل هذا الذنب، صارت الآية دالة على أن حال سائر المذنبين بخلاف ذلك، لأن قوله: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ معناه أن هذه الحالة له لا لغيره، وهذا كقوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ [الكافرون: ٦] أي لكم لا لغيركم. وإذا ثبت أن لهم هذه الحالة لا لغيرهم، وجب في سائر المذنبين أن لا يكون لهم نار جهنم على سبيل التأبيد، فظهر أن هذه الآية حجة لنا عليهم. وعلى تمسكهم بالآية سؤال آخر، وهو أن قوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ إنما يتناول من عصى الله ورسوله بجميع أنواع المعاصي، وذلك هو الكافر ونحن نقول: بأن الكافر يبقى في النار مؤبدًا، وإنما قلنا إن قوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ إنما يتناول من

عصى الله بجميع أنواع المعاصي لأن قوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ﴾ يصح استثناء جميع أنواع المعاصي عنه، مثل أن يقال ومن يعص الله إلا في الكفر وإلا في الزنا، وإلا في شرب الخمر، ومن مذهب القائلين بالوعيد أن حكم الاستثناء إخراج ما لولاه لكان داخلاً تحت اللفظ وإذا كان كذلك، وجب أن يكون قوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ﴾ متناولاً لمن أتى بكل المعاصي، والذي يكون كذلك هو الكافر، فالآية مختصة بالكافر على هذا التقدير، فسقط وجه الاستدلال بها. فإن قيل: كون الإنسان الواحد آتيًا لجميع أنواع المعاصي محال، لأن من المحال أن يكون قائلاً بالتجسيم، وأن يكون مع ذلك قائلاً بالتعطيل، وإذا كان ذلك محالاً فحمل الآية عليه غير جائز قلنا: تخصيص العام بدليل العقل جائز، فقولنا: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ﴾ يفيد كونه آتيًا بجميع أنواع المعاصي، ترك العمل به في القدر الذي امتنع عقلاً حصوله فيبقى متناولاً للآتي بجميع الأشياء التي يمكن الجمع بينها، ومن المعلوم أن الجمع بين الكفر وغيره ممكن فتكون الآية مختصة به.

المسألة الثانية: تمسك القائلون بأن الأمر للوجوب بهذه الآية فقالوا: تارك المأمور به عاص لقوله تعالى: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ [طه: ٩٣]، ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ [التحريم: ٦]، ﴿وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩] والعاصي مستحق للعقاب لقوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾﴾

فإن قيل: ما الشيء الذي جعل ما بعد حتى غاية له؟ قلنا: فيه وجهان: الأول: أنه متعلق بقوله: ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩] والتقدير أنهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون أنصاره ويستقلون عَدَدَهُ حتى إذا رأوا ما يوعدون من يوم بدر وإظهار الله له عليهم أو من يوم القيامة، فسيعلمون أيهم أضعف ناصرًا وأقل عددًا، الثاني: أنه متعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده كأنه قيل: هؤلاء لا يزالون على ما هم عليه حتى إذا كان كذا كان كذا، واعلم أن نظير هذه الآية قوله في مريم: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ [مريم: ٧٥] واعلم أن الكافر لا ناصر له ولا شفيع يوم القيامة على ما قال: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨] ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] ويفر كل أحد منهم من صاحبه على ما قال: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [عبس: ٣٤] إلى آخره: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ [الحج: ٢] وأما المؤمنون فلهم العزة والكرامة والكثرة قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤] والملك القدوس يسلم عليهم ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨] فهناك يظهر أن القوة والعدد في جانب المؤمنين أو في جانب الكفار.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا﴾ قال مقاتل: لما سمعوا قوله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ قال النضر بن الحارث: متى يكون هذا الذي توعدنا به؟ فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ إلى آخره والمعنى أن وقوعه متيقن، أما وقت وقوعه فغير معلوم، وقوله: ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا﴾ أي غاية وبعدًا وهذا كقوله: ﴿وَإِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٩] فإن قيل: أليس أنه قال: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**»[1] فكان عالمًا بقرب وقوع القيامة، فكيف قال هاهنا: لا أدري أقريب أم بعيد؟ قلنا: المراد بقرب وقوعه هو أن ما بقي من الدنيا أقل مما انقضى، فهذا القدر من القرب معلوم، وأما معنى معرفة القرب القريب وعدم ذلك فغير معلوم.

قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾

ثم قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ لفظة (مِنْ) في قوله: ﴿مِن رَّسُولٍ﴾ تبيين لمن ارتضى يعني أنه لا يطلع على الغيب إلا المرتضى الذي يكون رسولاً، قال صاحب (الكشاف)، وفي هذا إبطال الكرامات لأن الذين تضاف الكرامات إليهم وإن كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل، وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب، وفيها أيضًا إبطال الكهانة والسحر والتنجيم لأن أصحابها أبعد شيء من الارتضاء وأدخله في السخط، قال الواحدي: وفي هذا دليل على أن من ادعى أن النجوم تدله على ما يكون من حياة أو موت أو غير ذلك فقد كفر بما في القرآن.

واعلم أن الواحدي يجوز الكرامات وأن يلهم الله أولياءه وقوع بعض الوقائع في المستقبل ونسبة الآية إلى الصورتين واحدة فإن جعل الآية دالة على المنع من أحكام النجوم فينبغي أن يجعلها دالة على المنع من الكرامات على ما قاله صاحب -الكشاف-، وإن زعم أنها لا تدل على المنع من الإلهامات الحاصلة للأولياء فينبغي أن لا يجعلها دالة على المنع من الدلائل النجومية، فأما التحكم بدلالتها على المنع من الأحكام النجومية وعدم دلالتها على الإلهامات الحاصلة للأولياء فمجرد التشهي، وعندي أن الآية لا دلالة فيها على شيء مما قالوه والذي تدل عليه أن قوله: ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ﴾ ليس فيه صيغة عموم فيكفي في العمل بمقتضاه أن لا يظهر تعالى خلقه على غيب واحد من غيوبه فنحمله على وقت وقوع القيامة فيكون المراد من الآية أنه تعالى لا يظهر هذا الغيب لأحد فلا يبقى في الآية دلالة على أنه لا يظهر شيئًا من الغيوب لأحد، والذي يؤكد هذا التأويل أنه تعالى إنما ذكر هذه الآية عقيب قوله: ﴿إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ

---

(١) **متفق عليه:** أخرجه البخاري في كتاب (التفسير) باب (تفسير سورة النازعات) (٤/ ١٨٨١) حديث رقم (٤٦٥٢) ومسلم في (صحيحه) (٤/ ٢٢٦٨/ ٢٩٥٠) كلاهما من طريق أبي حازم حدثنا سهل بن سعد... به.

أَمَدًا﴾ [الجن: ٢٥] يعني لا أدري وقت وقوع القيامة، ثم قال بعده: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ أي وقت وقوع القيامة من الغيب الذي لا يظهره الله لأحد، وبالجملة فقوله: ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ﴾ لفظ مفرد مضاف، فيكفي في العمل به حمله على غيب واحد، فأما العموم فليس في اللفظ دلالة عليه، فإن قيل: فإذا حملتم ذلك على القيامة فكيف قال: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ مع أنه لا يظهر هذا الغيب لأحد من رسله؟ قلنا: بل يظهره عند القرب من إقامة القيامة، وكيف لا وقد قال: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥] ولا شك أن الملائكة يعلمون في ذلك الوقت قيام القيامة، وأيضًا يحتمل أن يكون هذا الاستثناء منقطعًا، كأنه قال: عالم الغيب فلا يظهر على غيبه المخصوص وهو قيام القيامة أحدًا، ثم قال بعده: لكن من ارتضى من رسول: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾ حفظة يحفظونه من شر مردة الإنس والجن، لأنه تعالى إنما ذكر هذا الكلام جوابًا لسؤال من سأله عن وقت وقوع القيامة على سبيل الاستهزاء به، والاستحقار لدينه ومقالته.

واعلم أنه لا بد من القطع بأنه ليس مراد الله من هذه الآية أن لا يطلع أحدًا على شيء من المغيبات إلا الرسل، **والذي يدل عليه وجوه:**

أحدها: أنه ثبت بالأخبار القريبة من التواتر أن شقًّا وسطيحًا كانا كاهنين يخبران بظهور نبينا محمد ﷺ قبل زمان ظهوره، وكانا في العرب مشهورين بهذا النوع من العلم، حتى رجع إليهما كسرى في تعرف أخبار رسولنا محمد ﷺ، فثبت أن الله تعالى قد يطلع غير الرسل على شيء من الغيب.

وثانيها: أن جميع أرباب الملل والأديان مطبقون على صحة علم التعبير، وأن المعبر قد يخبر عن وقوع الوقائع الآتية في المستقبل، ويكون صادقًا فيه.

وثالثها: أن الكاهنة البغدادية التي نقلها السلطان سنجر بن ملك شاه من بغداد إلى خراسان، وسألها عن الأحوال الآتية في المستقبل فذكرت أشياء، ثم إنها وقعت على وفق كلامها.

قال مصنف الكتاب ختم الله له بالحسنى: وأنا قد رأيت أناسًا محققين في علوم الكلام والحكمة، حكوا عنها أنها أخبرت عن الأشياء الغائبة أخبارًا على سبيل التفصيل، وجاءت تلك الوقائع على وفق خبرها، وبالغ أبو البركات في كتاب المعتبر في شرح حالها، وقال: لقد تفحصت عن حالها مدة ثلاثين سنة حتى تيقنت أنها كانت تخبر عن المغيبات إخبارًا مطابقًا.

ورابعها: أنا نشاهد (ذَٰلِكَ) في أصحاب الإلهامات الصادقة، وليس هذا مختصًا بالأولياء بل قد يوجد في السحرة أيضًا من يكون كذلك نرى الإنسان الذي يكون سهم الغيب على درجة طالعه يكون كذلك في كثير من أخباره وإن كان قد يكذب أيضًا في أكثر تلك الأخبار، ونرى الأحكام النجومية قد تكون مطابقة وموافقة للأمور، وإن كانوا قد يكذبون في كثير منها، وإذا كان ذلك مشاهدًا محسوسًا، فالقول بأن القرآن يدل على خلافه مما يجر الطعن إلى القرآن، وذلك باطل فعلمنا أن التأويل الصحيح ما ذكرناه، والله أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ فالمعنى أنه يسلك من بين يدي من ارتضى للرسالة، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ أي حفظة من الملائكة يحفظونه من وساوس شياطين الجن وتخاليطهم، حتى يبلغ ما أوحى به إليه، ومن زحمة شياطين الإنس حتى لا يؤذونه ولا يضرونه وعن الضحاك: ما بعث نبي إلا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين (الذين) يتشبهون بصورة الملك.

قوله تعالى: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ **فيه مسائل:**

المسألة الأولى: وحّد الرسول في قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [الجن: ٢٧] ثم جمع في قوله: ﴿أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ ونظيره ما تقدم من قوله: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ﴾ [الجن: ٢٣].

المسألة الثانية: احتج من قال بحدوث علم الله تعالى بهذه الآية لأن معنى الآية ليعلم الله أن قد أبلغوا الرسالة، ونظيره قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ﴾ [محمد: ٣١] والجواب من وجهين الأول: قال قتادة ومقاتل: ليعلم محمد أن الرسل قد أبلغوا الرسالة كما بلغ هو الرسالة، وعلى هذا، اللام في قوله: ﴿لِّيَعْلَمَ﴾ متعلق بمحذوف يدل عليه الكلام كأنه قيل: أخبرناه بحفظ الوحي ليعلم أن الرسل قبله كانوا على مثل حالته من التبليغ الحق، ويجوز أن يكون المعنى ليعلم الرسول أن قد أبلغوا أي جبريل والملائكة الذين يبعثون إلى الرسل رسالات ربهم، فلا يشك فيها ويعلم أنها حق من الله، الثاني: وهو اختيار أكثر المحققين أن المعنى ليعلم الله أن قد أبلغ الأنبياء رسالات ربهم، والعلم هاهنا مثله في قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٢] والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم فيعلم ذلك منهم.

المسألة الثالثة: قرئ (لِيُعْلَمَ) على البناء للمفعول.

أما قوله: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ فهو يدل على كونه تعالى عالمًا بالجزئيات، وأما قوله: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ فهو يدل على كونه عالمًا بجميع الموجودات، فإن قيل: إحصاء العدد إنما يكون في المتناهي، وقوله: ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾ يدل على كونه غير متناه، فلزم وقوع التناقض في الآية، قلنا: لا شك أن إحصاء العدد إنما يكون في المتناهي، فأما لفظة ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾ فإنها لا تدل على كونه غير متناه، لأن الشيء عندنا هو الموجودات، والموجودات متناهية في العدد، وهذه الآية أحد ما يحتج به على أن المعدوم ليس بشيء، وذلك لأن المعدوم لو كان شيئًا، لكانت الأشياء غير متناهية، وقوله: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ يقتضي كون تلك المحصيات متناهية، فيلزم الجمع بين كونها متناهية وغير متناهية وذلك محال، فوجب القطع بأن المعدوم ليس بشيء حتى يندفع هذا التناقض.

والله سبحانه وتعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين، وصلاته وسلامه على سيد المرسلين، وخاتم النبيين محمد النبي وآله وصحبه أجمعين.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الجن

مكِّيَّةٌ في قول الجميع[1]. وهي ثمانٍ وعشرون آية

قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾

فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ أي: قل يا محمد لأمتك: أَوْحَى اللهُ إليَّ على لسان جبريل ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾ إليّ ﴿نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ وما كان عليه الصلاة والسلام عالماً به قبل أنْ أُوحي إليه. هكذا قال ابن عباس وغيره على ما يأتي.

وقرأ ابن أبي عَبْلة: «وُحِيَ» على الأصل، يقال: أَوحى إليه ووَحى، [وقُرِئ: أُحِيَ] فقُلبت الواوُ همزة، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ [المرسلات: ١١]. وهو من القلب المطلق جوازُه في كل واوٍ مضمومة. وقد أطلقه المازنيُّ في المكسورة أيضاً، كإشاح وإسادة و«إِعَاءِ أَخِيهِ» [يوسف: ٧٦] ونحوه[2].

الثانية: واختُلِف هل رآهم النبيُّ ﷺ أم لا؟ فظاهر القرآن يدلُّ على أنه لم يرهم، لقوله تعالى: «اسْتَمَعَ»، وقولِهِ تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٨، وزاد المسير٨/ ٣٧٦.

(٢) الكشاف ٤/ ١٦٦بتقديم وتأخير، وما بين حاصرتين لضرورة السياق، ومستفاد منه، وذكرَ قراءة: وُحي، عن ابن أبي عبلة ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٢ . وقرأ ابن أبي عبلة أيضاً: أُحيَ: كما في المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٨، والبحر المحيط ٨/ ٣٤٦، والقراءتان شاذتان. وقراءة: «إعاء أخيه» شاذة أيضاً، وهي في المحتسب ١/ ٣٤٨، والقراءات الشاذة ص٦٥ .

[الأحقاف: ٢٩]. وفي صحيح مسلم والتِّرمذيِّ عن ابن عباس قال: ما قرأ رسولُ الله ﷺ على الجنِّ وما رآهم، انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سُوق عُكَاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأُرسلت عليهم الشُّهُب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: مالكم؟ قالوا: حِيل بيننا وبين خبر السماء، وأُرسلت علينا الشُّهُب! قالوا: ما ذاك إلَّا من شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ماهذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء؟ فانطلقوا يضربون مشارقَ الأرض ومغاربَها، فمرَّ النَّفرُ الذين أخذوا نحو تِهامة وهو بنخلة عامدين إلى سوق عُكَاظ، وهو يصلِّي بأصحابه صلاةَ الفجر، فلما سمعوا القرآن، استمعوا له وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء. فرجعوا إلى قومهم فقالوا: ياقومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا . يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ فأنزل الله عزَّ وجلَّ على نبيِّه محمدٍ ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾[1]. رواه الترمذي[2] عن ابن عباس قال: قولُ الجنِّ لقومهم: ﴿لَّمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الآية: ١٩] قال: لمَّا رأوه يصلِّي، وأصحابُه يصلُّون بصلاته، فيسجدون بسجوده، قال: تعجَّبوا من طواعية أصحابه له، قالوا لقومهم: ﴿لَّمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ قال: هذا حديث حسن صحيح.

ففي هذا الحديثِ دليلٌ على أنه عليه الصلاة والسلام لم يرَ الجنَّ، ولكنهم حضروه، وسمعوا قراءته. وفيه دليلٌ على أنَّ الجنَّ كانوا مع الشياطين حين تجسَّسوا الخبر بسبب الشياطين لمَّا رُمُوا بالشُّهُب. وكان المرميُّون بالشُّهُب من الجنِّ أيضاً. وقيل لهم: شياطين كما قال: ﴿شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢] فإنَّ الشيطان كلُّ متمرِّدٍ وخارجٍ عن طاعة الله.

(١) صحيح مسلم (٤٤٩)، وسنن الترمذي (٣٣٢٣)، وأخرجه أحمد (٢٢٧١). وهو عند البخاري (٧٧٣) و(٤٩٢١) دون قوله: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن وما رآهم.

(٢) هو بعض حديثه السالف.

وفي الترمذي[(١)] عن ابن عباس قال: كان الجنُّ يصعدون إلى السماء يستمعون إلى الوَحْي، فإذا سمعوا الكلمةَ زادوا فيها تسعاً، فأمّا الكلمةُ فتكون حقًّا، وأما ما زادوا فيكون باطلاً. فلما بُعث رسولُ الله ﷺ، مُنِعوا مقاعدَهم، فذكروا ذلك لإبليس، ولم تكن النجوم يُرمى بها قبل ذلك، فقال لهم إبليس: ما هذا الأمرُ إلّا مِن أمرٍ قد حدث في الأرض! فبعث جنوده، فوجدوا رسولَ الله ﷺ قائماً يصلّي بين جبلين ـ أُراه قال: بمكة ـ فأتَوه فأخبروه، فقال: هذا الحَدث الذي حدث في الأرض. قال: هذا حديث حسن صحيح.

فدلَّ هذا الحديثُ على أنَّ الجنَّ رُموا كما رُميت الشياطين.

وفي رواية السُّدِّيّ: أنهم لمَّا رُموا أتَوا إبليس فأخبروه بما كان من أمرهم، فقال: إيتوني من كل أرض بقبضة من تراب أَشَمُّها، فأتَوه، فشمَّ فقال: صاحبكم بمكة؛ فبعث نفراً من الجنِّ[(٢)]. قيل: كانوا سبعة. وقيل: تسعة، منهم زَوْبعة.

وروى عاصمٌ عن زِرٍّ قال: قَدِمَ رهط زوبعة وأصحابُه على النبيِّ ﷺ. وقال الثُّمالي: بلغني أنهم من بني الشَّيْصَبَان، وهم أكثر الجنِّ عدداً، وأقواهم شوكة، وهم عامَّةُ جنودِ إبليس. وروى أيضاً عاصمٌ عن زِرٍّ: أنهم كانوا سبعةَ نفر؛ ثلاثة من أهل حَرَّان، وأربعة من أهل نَصِيبين. وحكى جُويبر عن الضحَّاك: أنهم كانوا تسعة من أهل نَصِيبين، قرية باليمن غير التي بالعراق. وقيل: إنَّ الجنَّ الذين أتَوا مكة جنُّ نصيبين، والذين أتوه بنخلة جنُّ نِينَوَى. وقد مضى بيانُ هذا في سورة الأحقاف[(٣)].

قال عِكرمة: والسورة التي كان يقرؤها رسولُ الله ﷺ ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١][(٤)]. وقد مضى في سورة الأحقاف التعريفُ باسم النفرِ من الجنّ، فلا معنى لإعادة ذلك.

---

(١) برقم (٣٣٢٤)، وهو في مسند أحمد (٢٤٨٢) بنحوه.

(٢) النكت والعيون ٦/١٠٨ .

(٣) ١٩/ ٢٢٤ . وينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٣١١ ، والنكت والعيون ٦/١٠٨-١٠٩ .

(٤) النكت والعيون ٦/١٠٨ .

وقيل: إنَّ النبيَّ ﷺ رأى الجنَّ ليلةَ الجنّ، وهو أثبت؛ روى عامر الشَّعبيُّ قال: سألت علقمة: هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ﷺ ليلةَ الجنّ؟ فقال علقمة: أنا سألت ابنَ مسعود فقلت: هل شهد أحدٌ منكم مع رسول الله ﷺ ليلةَ الجنّ؟ قال: لا، ولكنَّا كنَّا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، ففقدناه، فالتمسناه في الأودية والشِّعاب، فقلنا: استُطير أو اغتيل، قال: فبتنا بِشرِّ ليلةٍ بات بها قوم، فلما أصبحنا[1] إذا هو جاءٍ من قِبَل حِرَاء، فقلنا: يا رسول الله! فقدناك فطلبناك، فلم نجدك، فبتنا بشرِّ ليلة بات بها قوم، فقال: «أتاني داعي الجنّ، فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن». فانطلَقَ بنا فأرانا آثارَهم وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد ـ وكانوا من جنِّ الجزيرة ـ فقال: «لكم كلُّ عَظْمٍ ذُكر اسمُ الله عليه، يقع في أيديكم أوْفَرَ ما يكون لحماً، وكلُّ بَعْرة عَلفٌ لدوابِّكم» فقال رسول الله ﷺ: «فلا تستنجُوا بهما، فإنهما طعام إخوانكم»[2].

قال ابن العربي[3]: وابن مسعود أعرف من ابن عباس؛ لأنه شاهده، وابن عباس سمعه؛ وليس الخبر كالمعاينة.

وقد قيل: إنَّ الجنَّ أتَوا رسول الله ﷺ دفعتين: إحداهما بمكة، وهي التي ذكرها ابن مسعود، والثانية بنخلة، وهي التي ذكرها ابن عباس. قال البيهقي: الذي حكاه عبد الله بن عباس إنما هو في أوَّل ما سمعت الجنُّ قراءةَ النبيِّ ﷺ وعَلِمت بحاله، وفي ذلك الوقتِ لم يقرأ عليهم ولم يرهم، كما حكاه، ثم أتاه داعي الجنِّ مرَّةً أخرى، فذهب معه وقرأ عليهم القرآن، كما حكاه عبد الله بن مسعود. قال البيهقي: والأحاديث الصِّحاح تدلُّ على أنَّ ابن مسعود لم يكن مع النبي ﷺ ليلةَ الجنّ، وإنما كان معه حين انطلق به وبغيره يريه آثارَ الجنِّ وآثارَ نيرانهم. قال: وقد رُوي من غير

---

(١) في النسخ: أصبح، والمثبت من صحيح مسلم.

(٢) أخرجه أحمد (٤١٤٩)، ومسلم (٤٥٠) واللفظ له. وسلف قطعة منه ١/ ٤٦٩ . قوله: استطير، أي: ذُهب به بسرعة كأن الطير حملته، أو اغتاله أحد. النهاية (طير) .

(٣) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٥٢ .

وجه أنه كان معه ليلتئذ[١]. وقد مضى هذا المعنى في سورة الأحقاف، والحمد لله[٢].

روي عن ابن مسعود أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أُمرت أنْ أتلوَ القرآن على الجنِّ، فمن يذهب معي؟» فسكتوا، ثم قال الثانية، ثم قال الثالثة، فقال عبد الله بن مسعود: أنا أذهب معك يا رسول الله، فانطلق حتى جاء الحَجُون عند شِعْب أبي دُبّ، فخطَّ عليَّ خطّاً، فقال: «لا تجاوزه» ثم مضى إلى الحَجُون فانحدر عليه أمثالُ الحَجَل يَحدُرون الحجارة بأقدامهم، يمشون يقرعون في دُفوفهم كما تَقْرع النُّسور[٣] في دُفوفها، حتى غَشوه فلا أراه، فقمت، فأوْمَى إليَّ بيده أن اجلس، فتلا القرآن، فلم يزل صوته يرتفع، ولَصِقوا بالأرض حتى ما أراهم، فلما انفتل إليّ قال: «أردتَ أن تأتيَني؟» قلت: نعم يا رسول الله. قال: «ما كان ذلك لك، هؤلاء الجنُّ أتَوا يستمعون القرآن، ثم ولَّوا إلى قومهم منذرين، فسألوني الزاد فزوَّدتهم العظم والبعر؛ فلا يَستطيبَنَّ أحدُكم بعظم ولا بعر».

قال عكرمة: وكانوا اثني عشرَ ألفاً من جزيرة الموصل.

وفي رواية[٤]: انطلق بي عليه الصلاة والسلام، حتى إذا جئنا المسجد الذي عند حائط عوف؛ خَطَّ لي خطًّا، فأتاه نفر منهم، فقال أصحابنا: كأنهم رجال الزُّط، وكأنَّ وجوههم المَكَاكيّ[٥]، فقالوا: ما أنت؟ قال: «أنا نبيُّ الله» قالوا: فمن يشهد لك على ذلك؟ قال: «هذه الشجرة، تعالي[٦] يا شجرة» فجاءت تجرُّ عروقها، لها قعاقع، حتى انتصبت بين يديه، فقال: «على ماذا تشهدين» قالت: أشهد أنك رسول الله.

(١) دلائل النبوة ٢/ ٢٢٧، ٢٣٠.

(٢) ١٩/ ٢٢٢ - ٢٢٤.

(٣) في النسخ: النسوة، والمثبت من المصادر. وسلف الخبر ١٩/ ٢٢٢ بنحوه.

(٤) أخرج هذه الرواية والتي قبلها الفاكهي في أخبار مكة (٢٣١٩). وقول عكرمة أخرجه ابن أبي حاتم ١٠/ ٣٢٩٦ (١٨٥٧٨).

(٥) جمع مكُّوك: وهو مكيال.

(٦) في (م): فقال.

فرجعت كما جاءت تجرُّ بعروقها الحجارة لها قعاقع، حتى عادت كما كانت.

ثم روي أنه عليه الصلاة والسلام لمَّا فرغ، وضع رأسه على حِجْر ابن مسعود، فرقد، ثم استيقظ فقال: «هل مِن وضوء؟» قال: لا، إلَّا أنَّ معي إداوةٌ فيها نبيذ. فقال: «هل هو إلَّا تمر وماء» فتوضأ منه[١].

الثالثة: قد مضى الكلام في الماء في سورة الحِجْر[٢]، وما يستنجى به في سورة براءة[٣]، فلا معنى للإعادة.

الرابعة: واختلف أهل العلم في أصل الجنّ؛ فروى إسماعيل عن الحسن البصريّ: أنَّ الجنَّ ولدُ إبليس، والإنسَ ولد آدم، ومِن هؤلاء وهؤلاء مؤمنون وكافرون، وهم شركاء في الثواب والعقاب. فمَن كان مِن هؤلاء وهؤلاء مؤمناً، فهو وليُّ الله، ومَن كان من هؤلاء وهؤلاء كافراً، فهو شيطان. وروى الضحَّاك عن ابن عباس: أنَّ الجنَّ هم ولد الجانّ، وليسوا بشياطين، وهم يموتون[٤]؛ ومنهم المؤمن ومنهم الكافر، والشياطين هم ولد إبليس لا يموتون إلا مع إبليس.

واختلفوا في دخول مؤمني الجنِّ الجنة، على حسب الاختلاف في أصلهم. فمَن زعم أنهم من الجانِّ لا من ذرِّيَّة إبليس قال: يدخلون الجنة بإيمانهم. ومَن قال: إنهم من ذرِّيَّة إبليس، فلهم فيه قولان: أحدهما، وهو قول الحسن: يدخلونها. الثاني، وهو رواية مجاهد: لا يدخلونها وإن صُرِفوا عن النار. حكاه الماوردي[٥]. وقد مضى في سورة الرحمن عند قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الآية:٥٦]. بيان أنهم يدخلونها[٦].

---

(١) سلف ١٦/ ٢١٢-٢١٣، وسلفت هذه القطعة ـ أيضاً ـ ١٥/ ٤٤١.

(٢) ١٢/ ١٩٩.

(٣) ١٠/ ٣٧٨-٣٧٩.

(٤) في النسخ عدا (ظ): يؤمنون، والمثبت موافق لما في النكت والعيون ٦/ ١٠٩.

(٥) في النكت والعيون ٦/ ١٠٩.

(٦) ٢٠/ ١٥٥.

الخامسة: قال البيهقيُّ[١] في روايته: وسألوه الزاد، وكانوا من جنِّ الجزيرة، فقال: «لكم كلُّ عظم» دليلٌ على أنهم يأكلون ويَطعَمون. وقد أنكر جماعةٌ من كَفَرة الأطباءِ والفلاسفةِ الجنَّ، وقالوا: إنهم بسائط، ولا يصحُّ طعامهم؛ اجتراءً على الله وافتراءً عليه، والقرآن والسنة تردُّ عليهم، وليس في المخلوقات بسيط، [بل الكلُّ] مركَّبٌ مزدوج، إنما الواحد الواحد سبحانه، وغيره مركَّبٌ ليس بواحد كيفما تصرَّف حاله. وليس يمتنع أن يراهم النبيُّ ﷺ في صورهم كما يرى الملائكة. وأكثر ما يَتَصوَّرون لنا في صور الحيات؛ ففي الموطأ[٢]: أن رجلاً حديثَ عهدٍ بعُرس استأذن رسولَ الله ﷺ بأنصاف النهار أن يرجع إلى أهله... الحديث، وفيه: فإذا حيَّةٌ عظيمة منطوية على الفراش، فأهوى إليها بالرمح فانتظمها. وذكر الحديث. وفي الصحيح[٣] أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إنَّ لهذه البيوت عوامر، فإذا رأيتم منها شيئاً، فحرِّجوا عليها ثلاثاً، فإنْ ذهب وإلَّا فاقتلوه؛ فإنه كافر». وقال: «اذهبوا فادفنوا صاحبكم»[٤] وقد مضى هذا المعنى في سورة البقرة وبيانُ التحريج عليهن[٥].

وقد ذهب قومٌ إلى أنَّ ذلك مخصوصٌ بالمدينة؛ لقوله في الصحيح[٦]: «إنَّ بالمدينة جنّاً قد أسلموا». وهذا لفظ مختصٌّ بها، فيختصُّ بحكمها. قلنا: هذا يدلُّ على أنَّ غيرها من البيوت مثلُها؛ لأنه لم يُعلَّل بحرمة المدينة، فيكون ذلك الحكمُ مخصوصاً بها، وإنما عُلِّل بالإسلام، وذلك عامٌّ في غيرها، ألا ترى قولَه في الحديث مخبِراً عن الجنِّ الذين لقي: «وكانوا من جنِّ الجزيرة»؛ وهذا بيِّنٌ، يَعضُده قولُه:

---

(١) في أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٥٢: قال الشعبي. وهو عند البيهقي في الدلائل ٢/ ٢٢٩ من طريق الشعبي، وسلف في المسألة الثانية.

(٢) ٢/ ٩٧٦، وسلف الحديث ١/ ٤٦٩-٤٧٠.

(٣) صحيح مسلم (٢٢٣٦): (١٤٠)، وسلف ١/ ٤٧٠.

(٤) أي الرجل الحديث العهد بعرس الذي قتلته الحية، وهو من حديث الموطأ المذكور.

(٥) ١/ ٤٦٨ فما بعد.

(٦) هو بعض الحديث السالف.

«وَنَهَى عن عوامر البيوت»[١]، وهذا عامٌّ[٢]. وقد مضى في سورة البقرة القولُ في هذا، فلا معنى للإعادة.

قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ أي: في فصاحة كلامه. وقيل: عَجَباً في بلاغة مواعظه. وقيل: عجباً في عِظَم بركته[٣]. وقيل: قرآناً عزيزاً لا يوجد مثله[٤]. وقيل: يعنون عظيماً. ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ أي: إلى مراشد الأمور. وقيل: إلى معرفة الله تعالى[٥]؛ و«يَهْدي» في موضع الصفة، أي: هادياً. ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ أي: فاهتدينا به وصدَّقنا أنه من عند الله ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ أي: لا نرجع إلى إبليس ولا نطيعه؛ لأنه الذي كان بعثهم ليأتوه بالخبر لما[٦] رُميَ الجنُّ بالشُّهب. وقيل: لا نتَّخذ مع الله إلهاً آخر، لأنه المتفرِّد بالرُّبُوبية. وفي هذا تعجيبُ المؤمنين بذهاب مشركي قريش عمَّا أدركته الجنُّ بتدبُّرها القرآن.

وقوله تعالى: ﴿ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ أي: استمعوا إلى النبيِّ ﷺ، فعلموا أنَّ ما يقرؤه كلامُ الله. ولم يذكر المستمَع إليه لدلالة الحال عليه. والنَّفَر: الرهط، قال الخليل: ما بين ثلاثة إلى عشرة. وقرأ عيسى الثَّقفي: «يَهْدي إِلى الرَّشَد» بفتح الراء والشين[٧].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ كان عَلْقمة ويحيى والأعمش وحمزة والكِسائيُّ وابن عامر وخَلَفٌ وحفص والسُّلَميُّ ينصبون «أنَّ» في جميع السورة في اثني عشر

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٢٦٢) من حديث أبي أمامة ﷺ. وفي الباب عن أبي لبابة أو زيد بن الخطاب رضي الله عنهما أخرجه أحمد (٤٥٥٧)، ومسلم (٢٢٣٣).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٥٢-١٨٥٣، ١٨٥٤، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٠٩-١١٠.

(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ٤١٠.

(٥) النكت والعيون ٦/ ١١٠.

(٦) في (د): لِمَ، وفي(م): ثم.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٩.

موضعاً[١]، وهو: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ﴾، ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ﴾، ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟﴾، ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾، ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ﴾، ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ﴾، ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾، ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾، ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ عطفاً على قوله: ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ﴾، ﴿وأَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾ لا يجوز فيه إلّا الفتح، لأنها في موضع اسم فاعل«أُوحِيَ»، فما بعده معطوفٌ عليه. وقيل: هو محمول على الهاء في «آمَنَّا بِهِ»، أي: وبـ«أنَّه تعالى جَدُّ ربِّنا»، وجاز ذلك وهو مضمَر مجرور، لكثرة حذف الجارِّ[٢] مع «أنَّ». وقيل: المعنى: أي: وصدَّقنا أنه جَدُّ ربِّنا.

وقرأ الباقون كلَّها بالكسر، وهو الصواب، واختاره أبو عبيد[٣] وأبو حاتم عطفاً على قوله: «فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا»لأنه كله من كلام الجنِّ.

وأما أبو جعفر وشيبة فإنهما فتحا ثلاثةَ مواضع، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ﴾[٤]، قالا: لأنه من الوحي، وكسرا مابقي، لأنه من كلام الجنِّ.

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ فكلُّهم فتحوا إلّا نافعاً وشيبةَ وزِرَّ بن حُبيش وأبا بكر والمفضَّل عن عاصم، فإنهم كسروا لا غير[٥].

ولا خلاف في فتح همزة﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾، ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا﴾، ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾، ﴿وأَنْ قَدْ أَبْلَغُوا﴾.

وكذلك لاخلاف في كسر مابعد القول، نحوُ قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا﴾

---

(١) السبعة ص٦٥٦، والتيسير ص٢١٥، والنشر ٢/ ٣٩١. وعن علقمة أخرجها الفراء ٣/ ١٩١، ونسبها له وليحيى والأعمش النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٤٦.

(٢) في النسخ: حرف الجارّ، وينظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٦٣.

(٣) في(د) و(م): أبو عبيدة.

(٤) النشر ٢/ ٣٩١ عن أبي جعفر، وهو من العشرة.

(٥) قراءة نافع وأبي بكر عن عاصم في السبعة ص٦٥٦، والتيسير ص٢١٥.

و﴿قَالَ[١] إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي﴾ و﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ﴾و﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ﴾.

وكذلك لاخلاف في كسر ماكان بعد فاء الجزاء، نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾و﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ لأنه موضع ابتداء.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ الجَدُّ في اللغة: العظَمة والجلال، ومنه قول أنس: كان الرجل إذا حَفِظَ«البقرة» و«آل عمران» جَدَّ في عيوننا[٢]، أي: عَظُم وجَلَّ. فمعنى: «جدُّ رَبِّنَا» أي: عظمته وجلاله، قاله عكرمة ومجاهدٌ وقتادة. وعن مجاهد أيضاً: ذِكْرُه. وقال أنس بن مالك والحسن وعكرمة أيضاً: غناه. ومنه قيل للحظِّ: جَدٌّ، ورجل مجدود، أي: محظوظ، وفي الحديث: «ولا ينفع ذا الجَدِّ، منك الجَدّ»[٣] قال أبو عبيد[٤] والخليل: أي: ذا الغنى منك الغنى، إنما تنفعه الطاعة. وقال ابن عباس: قدرته. وقال الضحاك: فِعْله. وقال القُرَظيُّ والضحَّاك أيضاً: آلاؤه ونعمه على خلقه. وقال أبو عبيدة[٥] والأخفش: ملكه وسلطانه. وقال السديّ: أمره. وقال سعيد ابن جُبير: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾أي: تعالى ربُّنا. وقيل: إنهم عَنَوا بذلك الجَدَّ الذي هو أب الأب، ويكون هذا من قول الجن[٦].

وقال محمد بن عليِّ بن الحسين وابنهُ جعفر الصادق والربيع: ليس لله تعالى جَدّ، وإنما قالته الجنُّ للجهالة، فلم يؤاخذوا به[٧].

وقال القشيريّ: ويجوز إطلاق لفظ الجدِّ في حقِّ الله تعالى، إذ لو لم يجز لَمَا

---

(١) قرأ عاصم وحمزة «قل» بغير ألف. السبعة ص٦٥٧ ، والتيسير ص ٢١٥ .

(٢) أخرجه أحمد (١٢٢١٥) مطولاً.

(٣) سلف ١٩/ ٤٦٣ .

(٤) في (د) و(م): أبو عبيدة.

(٥) مجاز القرآن٢/ ٢٧٢ .

(٦) ينظر لهذه الأقوال تفسير الطبري ٢٣/ ٣١٢-٣١٥ ، والنكت والعيون ٦/ ١١٠، وتفسير البغوي ٤/ ٤٠١ .

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٩ بنحوه، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٣١٥ عن محمد أبي جعفر الباقر. قال ابن عطية: قال كثير من المفسرين: هذا قول ضعيف.

ذُكر في القرآن، غير أنه لفظ مُوهم ، فتجنُّبه أولى.

وقرأ عِكرمة: «جِدّ» بكسر الجيم؛ على ضد الهَزْل. وكذلك قرأ أبو حَيْوة ومحمد ابنُ السَّمَيفع.

ويروى عن ابن السَّمَيفع أيضاً وأبي الأشهب: «جَدَا رَبِّنا» وهو الجَدْوى، والمنفعة.

وقرأ عكرمة أيضاً: «جَدًّا» بالتنوين؛ «رَبُّنَا» بالرفع على أنه مرفوع بـ «تعالى»، و«جَدًّا» منصوب على التمييز.

وعن عكرمة أيضاً: «جَدٌّ» بالتنوين والرفع، «رَبُّنَا» بالرفع، على تقدير: تعالى جَدٌّ جَدُّ ربِّنا، فـ «جَدّ» الثاني بدلٌ من الأول، وحذف وأقيم المضافُ إليه مُقامه[1]

ومعنى الآية: وأنه تعالى جلالُ ربِّنا أن يتَّخذ صاحبةً وولداً للاستئناس بهما والحاجةِ إليهما، والربُّ يتعالى عن الأنداد والنظراء.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾ الهاء في «أَنَّهُ» للأمر أو الحديث، وفي «كان» اسمها، وما بعدها الخبر. ويجوز أن تكون «كان» زائدة[2].

والسفيه هنا إبليس في قول مجاهدٍ وابن جريج وقتادة. ورواه أبو بُرْدة بن أبي موسى، عن أبيه، عن النبيِّ ﷺ[3]. وقيل: المشركون من الجنّ. قال قتادة: عصاه سفيه الجنِّ كما عصاه سفيه الإنس[4].

---

(١) المحتسب ٢/ ٣٣٢ ، وفيه القراءتان عن عكرمة.

(٢) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٦٤ .

(٣) النكت والعيون ٦/ ١١٠ دون ذكر ابن جريج، وقول مجاهد وقتادة أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٢٠ .

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٢١ .

والشطط والاشتطاط: الغلوُّ في الكفر. وقال أبو مالك: هو الجَوْر. وقال الكلبيّ: هو الكذب. وأصله البعد، فيعبَّر به عن الجَوْر لبعده عن العدل، وعن الكذب لبعده عن الصدق[1]، قال الشاعر:

بأيَّة حالٍ حكَّموا فيك فاشتطُّوا وماذاكَ إلا حيثُ يَمَّمك الوَخْطُ[2]

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾أي: حَسِبنا ﴿أَن لَّن نَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾، فلذلك صدَّقناهم في أنَّ لله صاحبةً وولداً، حتى سمعنا القرآنَ وتبيَّنَّا به الحقّ.

وقرأ يعقوب والجحدريُّ وابن أبي إسحاق: «أَنْ لَنْ تَقَوَّل»[3].

وقيل: انقطع الإخبار عن الجنِّ هاهنا، فقال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ فَمن فَتَحَ وجعله من قول الجنّ، ردَّها إلى قوله: «أَنَّهُ اسْتَمَعَ»، ومن كسر جعلها مبتدأً من قول الله تعالى. والمراد به ما كانوا يفعلونه من قول الرجل إذا نزل بوادٍ: أعوذ بسيِّد هذا الوادي مِن شرِّ سفهاء قومه، فَيبيت في جِواره حتى يُصبح، قاله الحسن وابن زيد وغيرهما[4]. قال مقاتل: كان أَوَّل مَن تعوَّذ بالجنِّ قومٌ من أهل اليمن، ثم من بني حنيفة، ثم فشا ذلك في العرب[5]، فلمَّا جاء الإسلام، عاذوا بالله وتركوهم.

وقال كَرْدَم بن أبي السائب[6]: خرجت مع أبي إلى المدينة أَوَّلَ ما ذُكر النبيُّ ﷺ،

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١١٠.

(٢) لم نقف عليه. والوخط: الشيب.

(٣) قراءة يعقوب في النشر٢/ ٣٩٢، وهي من العشرة، وقراءة الجحدري في القراءات الشاذة ص١٦٢ والمحتسب ٢/ ٣٣٣.

(٤) أخرج قولهم الطبري ٢٣/ ٣٢٢-٣٢٤.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٠.

(٦) الأنصاري. قال البخاري وابن السكن: له صحبة. وقال ابن حبان: يقال: له صحبة، ثم أعاده في التابعين، فقال: يروي المراسيل. وقال أبو عمر: يقال: له صحبة، سكن المدينة، ومخرج حديثه عن أهل الكوفة. الإصابة ٨/ ٢٧٦.

فآوانا المبيتُ إلى راعي غنم، فلمَّا انتصف الليل، جاء الذئب فأخذ حَمَلاً من الغنم، فقال الراعي: ياعامرَ الوادي، جارُك. فنادى منادٍ لا نراه: ياسِرْحان أرسله، فأتى الحَمَلُ يَشْتدّ، وأنزل الله تعالى على رسوله بمكة: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[١] أي: زاد الجنُّ الإنسَ رَهَقاً، أي: خطيئة وإثماً، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة[٢].

والرَّهَق: الإثم في كلام العرب وغِشْيانُ المحارم[٣]، ورجلٌ رَهِقٌ: إذا كان كذلك، ومنه قولهُ تعالى: ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [يونس:٢٧]، وقال الأعشى[٤]:

لاشيءَ ينفعُني مِن دونِ رؤيتِها هل يَشتفي عاشقٌ[٥] مالم يُصِب رَهَقَا

يعني إثماً. وأضيف الزيادة إلى الجنِّ إذ كانوا سبباً لها. وقال مجاهدٌ أيضاً: «فَزَادُوهم» أي: إنَّ الإنس زادوا الجنَّ طغياناً بهذا التعوُّذ، حتى قالت الجنّ: سُدنا الإنسَ والجنَّ[٦]. وقال قتادة أيضاً وأبو العالية والربيع وابن زيد: ازداد الإنس بهذا فَرَقَاً وخوفاً من الجنِّ[٧]. وقال سعيد بن جُبير: كفراً[٨]. ولا خفاءَ أنَّ الاستعاذة

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في تفسير ابن كثير ٨/ ٢٤٠ـ والطبراني في الكبير ١٩/ ١٩١-١٩٢ (٤٣٠)، والواحدي في الوسيط ٤/ ٣٦٤، والبغوي في تفسيره ٤/ ٤٠٢. قال الهيثمي في المجمع ٧/ ١٢٩ : فيه عبد الرحمن بن إسحاق الكوفي، وهو ضعيف. قال ابن أبي حاتم: وروي عن عبيد بن عمير، ومجاهد، وأبي العالية، والحسن، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي نحوه. قال ابن كثير: وقد يكون هذا الذئب الذي أخذ الحمل ـ وهو ولد الشاة ـ كان جنيًّا حتى يُرهب الإنسي ويخاف منه، ثم رده عليه لما استجاربه، ليضله ويهينه ويخرجه عن دينه، والله أعلم.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٢٤-٣٢٥ عن ابن عباس وقتادة وإبراهيم.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٤٠٢.

(٤) ديوانه ص٤١٥ .

(٥) في (م): وامق، أي: محبّ.

(٦) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٢٥ مختصراً. وينظر الوسيط للواحدي ٤/ ٣٦٤ .

(٧) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٢٥-٣٢٦ عن الربيع وابن زيد، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١١١ عن أبي العالية.

(٨) النكت والعيون ٦/ ١١١ .

بالجنّ دون الاستعاذةِ بالله كفرٌ وشرك.

وقيل: لا يطلق لفظُ الرجال على الجنّ، فالمعنى: وأنه كان رجال من الإنس يعوذون من شر الجنّ برجالٍ من الإنس، وكان الرجلُ من الإنس يقول مثلاً: أعوذ بحذيفة بنِ بدر من جنّ هذا الوادي.

قال القشيريّ: وفي هذا تحكُّم، إذ لا يَبْعُدُ إطلاقُ لفظ الرجال على الجنّ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ هذا مِن قول اللهِ تعالى للإنس، أي: وأنَّ الجنَّ ظنُّوا أنْ لن يبعثَ اللهُ الخلقَ كما ظننتم. قال الكلبيّ: المعنى: ظنَّت الجنُّ كما ظنَّت الإنس أنْ لن يبعث الله رسولاً إلى خلقه يقيمُ به الحجَّةَ عليهم[١]. وكلُّ هذا توكيدٌ للحجَّة على قريش، أي: إذا آمن هؤلاء الجنُّ بمحمد، فأنتم أحقُّ بذلك.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ هذا من قول الجنّ، أي: طلبنا خبرَها كما جرت عادتنا، فوجدناها قد مُلِئت حَرَساً شديداً، أي: حَفَظة، يعني الملائكة. والحَرَس: جمع حارس «وشُهُباً» جمع شهاب، وهو انقضاض الكواكب المحرقة لهم عن استراق السمع[٢]. وقد مضى القولُ فيه في سورة الحِجْر والصافَّات[٣].

و«وجَدَ» يجوز أن يقدَّر متعدِّياً إلى مفعولين، فالأوَّل الهاء والألف، و« مُلِئت» في موضع المفعول الثاني، ويجوز أن يتعدَّى إلى مفعول واحد، ويكون «مُلئت» في

(١) أخرجه بنحوه الطبري ٢٣/ ٣٢٦-٣٢٧.

(٢) النكت والعيون ٦/ ١١٢.

(٣) ١٢/ ١٨٦ فما بعد، ١٨/ ١٠ فما بعد.

موضع الحال على إضمار «قد»(١). و«حَرَساً» نصب على المفعول الثاني بـ«مُلِئت»(٢). و«شديداً» من نعت الحَرس، أي: ملئت ملائكةً شِداداً.

ووحّد الشَّديد على لفظ الحرَس، وهو كما يقال: السَّلَف الصالح، بمعنى الصالحين، وجمع السَّلَف: أسلاف، وجمع الحرس: أحراس، قال:

تجاوزتُ أحراساً وأهوالَ مَعْشَرِ(٣)

ويجوز أن يكون «حَرَساً» مصدراً على معنى: حُرِستْ حراسةً شديدةً.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾

«مِنْهَا» أي: من السماء، و«مَقَاعِدَ»: مواضع يُقْعد في مثلها لاستماع الأخبار من السماء، يعني أنَّ مَرَدة الجنِّ كانوا يفعلون ذلك ليستمعوا من الملائكة أخبارَ السماء حتى يُلقوها إلى الكهنة، على ما تقدَّم بيانه(٤)، فَحَرسها اللهُ تعالى حين بعث رسولَه بالشُّهب المحرِقة، فقالت الجنُّ حينئذ: ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ يعني بالشهاب الكوكبَ المُحرِق(٥)، وقد تقدَّم بيانُ ذلك(٦).

ويقال: لم يكن انقضاضُ الكواكب إلَّا بعد مبعث النبيِّ ﷺ، وهو آيةٌ من آياته(٧).

واختلف السَّلف: هل كانت الشياطين تُقذَف قبل المبعث، أو كان ذلك أمراً حدث لمبعث النبيِّ ﷺ؟ فقال الكلبيُّ وقال قوم: لم تكن تُحرس السماء في الفترة بين

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٤٨، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٦٤ قال النحاس: والأول أولى، وبنحوه قال مكي.

(٢) والأظهر أنه تمييز كما في البيان لابن الأنباري ٢/ ٤٦٦، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٦٤.

(٣) صدر بيت لامرئ القيس، وعجزه: عليَّ حِرَاصٌ لو يُشِرُّون مقتلي، وهو في ديوانه ص١٣، وسلف ١٤/ ٣٠٣.

(٤) في المسألة الثانية، وينظر ١٥/ ٦٦.

(٥) النكت والعيون ٦/ ١١٢.

(٦) ١٨/ ١٢ - ١٣.

(٧) بنحوه في معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٣٤.

عيسى ومحمدٍ صلوات الله عليهما وسلامه، خمس مئة عام، وإنما كان من أجل بعثة النبيِّ ﷺ، فلما بُعث محمدٌ ﷺ منعوا من السماوات كلِّها، وحُرست بالملائكة والشُّهب.

قلت: ورواه عطية العوفيُّ عن ابن عباس، ذكره البيهقي[١].

وقال عبد الله بن عمر[٢]: لمَّا كان اليومُ الذي نُبِّئ رسولُ الله ﷺ، مُنعت الشياطين ورُمُوا بالشُّهب. وقال عبد الملك بن سابور[٣]: لم تكن السماء تُحرس في الفترة بين عيسى ومحمدٍ عليهما الصلاة والسلام، فلما بُعث محمدٌ ﷺ حُرست السماء، ورُميت الشياطين بالشُّهب، ومُنعت من الدُّنوّ من السماء. وقال نافع ابن جُبير: كانت الشياطين في الفترة تَسمع فلا تُرمَى، فلما بعث رسولُ الله ﷺ رُميت بالشُّهب. ونحوهُ عن أُبيِّ بن كعب قال: لم يُرمَ بنجم منذ رُفع عيسى حتى نُبِّئ رسولُ الله ﷺ فرُمي بها[٤].

وقيل: كان ذلك قبل المبعث، وإنما زادت بمبعث رسولِ الله ﷺ إنذاراً بحاله[٥]؛ وهو معنى قولهِ تعالى: ﴿مُلِئَتْ﴾ أي: زيد في حَرَسها؛ وقال أَوْس بن حَجَر، وهو جاهلي:

فانقضَّ كالدُّرِّيِّ يَتْبعهُ نَقْعٌ يثورُ تخالهُ طُنُباً

وهذا قول الأكثرين[٦]. وقد أنكر الجاحظُ هذا البيتَ وقال: كلُّ شعر رُوي فيه فهو مصنوع[٧]، وأنَّ الرمي لم يكن قبل المبعث.

---

(١) في دلائل النبوة ٢/ ٢٤٢.

(٢) في(ظ): عبد الله بن المبارك، والأثر أخرجه أبو نعيم في الدلائل (١٧٩) عن عبد الله بن عمرو.

(٣) لم نقف على ترجمته.

(٤) أخرجه الواقدي وأبو نعيم كما في الدر المنثور ٦/ ٢٧٣.

(٥) النكت والعيون ٦/ ١١٢.

(٦) المصدر السابق. والبيت في ديوان أوس ص٣. الطُّنب: حبل الخِباء. الصحاح (طنب).

(٧) النكت والعيون ٦/ ١١٢.

والقولُ بالرمي أصحّ؛ لقوله تعالى: ﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾. وهذا إخبارٌ عن الجنّ، أنه زِيد في حرس السماء حتى امتلأت منها ومنهم؛ ولِمَا رُوي عن ابن عباس قال: بينما النبيُّ ﷺ جالسٌ في نفر من أصحابه إذ رُمي بنجم، فقال: «ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية»؟ قالوا: كنَّا نقول: يموت عظيم أو يولد عظيم. فقال النبيُّ ﷺ: «إنها لا تُرْمَى لموت أحدٍ ولا لحياته، ولكنَّ ربَّنا سبحانه وتعالى إذا قضى أمراً في السماء؛ سبَّح حَمَلةُ العرش، ثم سبَّح أهل كلِّ سماء، حتى ينتهيَ التسبيح إلى هذه السماء، ويستخبرُ أهلُ السماء حَمَلةَ العرش: ماذا قال ربُّكم؟ فيخبرونهم، ويخبر أهلُ كلِّ سماءٍ حتى ينتهيَ الخبرُ إلى هذه السماء، فتتخَطَّف الجنُّ، فيُرْمَون، فما جاؤوا به فهو حقّ، ولكنهم يزيدون فيه»[(١)]. وهذا يدلُّ على أنَّ الرجم كان قبل المبعث.

ورَوى الزُّهريُّ نحوَه عن عليِّ بن الحسين بن[(٢)] عليِّ بن أبي طالب، عن ابن عباس، وفي آخره: قيل للزهريِّ: أكان يُرمَى في الجاهلية؟ قال: نعم. قلت: أفرأيتَ قولَه سبحانه: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ قال: غُلِّظت وشُدِّد أمرُها حين بُعث النبيُّ ﷺ[(٣)]. ونحوَه قال القُتبي. قال ابن قتيبة: كان، ولكن اشتدَّت الحراسة بعد المبعث؛ وكانوا من قبلُ يسترِقُون ويُرمَون في بعض الأحوال، فلما بُعث محمدٌ ﷺ مُنعت من ذلك أصلاً[(٤)].

وقد تقدَّم بيانُ هذا في سورة الصافات عند قوله: ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۞ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾[(٥)] [الآية: ٨-٩] قال الحافظ: فلو قال قائل: كيف تتعرَّض الجنُّ

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٨٣)، ومسلم (٢٢٢٩) من طريق الزهري، عن علي بن الحسين، عن ابن عباس بنحوه.

(٢) في (د) و(م): عن، وهو خطأ.

(٣) دلائل النبوة ٢/ ٢٣٧، وهذه الرواية عند أحمد (١٨٨٢) في أثناء الحديث.

(٤) تأويل مشكل القرآن ص٣٣٣.

(٥) ١٨/ ١٢ - ١٣.

لإحراقِ نفسِها بسبب استماعِ خبر، بعد أن صار ذلك معلوماً لهم؟

فالجواب: أنَّ الله تعالى ينسيهم ذلك حتى تَعْظُمَ المِحْنة، كما ينسَى إبليس في كلِّ وقتٍ أنه لا يسلم، وأنَّ الله تعالى قال له: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الحجر: ٣٥] ولولا هذا لَمَا تحقَّقَ التكليف.

والرَّصَد؛ قيل: من الملائكة، أي: ورَصَداً من الملائكة. والرَّصَدُ: الحافظ للشيء، والجمع أرصاد، وفي غير هذا الموضعِ يجوز أن يكون جمعاً كالحرس، والواحد: راصد. وقيل: الرَّصَد هو الشِّهاب، أي: شهاباً قد أُرصد له، ليُرجَمَ به؛ فهو فَعَلٌ بمعنى مفعول، كالخَبَط والنَّفَض[١].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: بهذا[٢] الحرسِ الذي حُرست بهم السماء ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ أي: خيراً.

قال ابن زيد: قال إبليس: لا ندري هل أراد الله بهذا المنع أن يُنزل على أهل الأرض عذاباً أو يُرسل إليهم رسولاً؟[٣]

وقيل: هو من قول الجنِّ فيما بينهم قبل أن يسمعوا قراءةَ النبيِّ ﷺ. أي: لا ندري أَشَرٌّ أُرِيدَ بمَن في الأرض بإرسال محمدٍ إليهم، فإنهم يكذِّبونه ويَهلكون بتكذيبه كما هلك مَن كذَّب مِن الأمم، أم أراد أن يؤمنوا فيهتدوا. فالشرُّ والرَّشَد على هذا الكفرُ والإيمان؛ وعلى هذا كان عندهم علمٌ بمبعث النبيِّ ﷺ، ولمَّا سمعوا قراءته علموا أنهم مُنعوا من السماء حراسةً للوحي.

وقيل: لا؛ بل هذا قولٌ قالوه لقومهم بعد أن انصرفوا إليهم منذرين، أي: لمَّا آمنوا أشفقوا ألَّا يؤمنَ كثير من أهل الأرض، فقالوا: إنا لا ندري أيكفر أهلُ الأرض بما آمنَّا به أم يؤمنون؟

---

(١) الخَبَط: ما سقط من ورق الشجر بالخَبْط، ونحوه النَّفَض.

(٢) في (د) و(م): هذا.

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٢٨ بنحوه.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾ هذا من قول الجنِّ، قال بعضهم لبعض لمَّا دَعَوا أصحابهم إلى الإيمان بمحمد ﷺ: وإنَّا كنَّا قبل استماع القرآنِ منَّا الصالحون ومنَّا الكافرون.

وقيل: ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾ أي: دون الصالحين في الصلاح، وهو أشبه مِن حَمْله على الإيمان والشرك[١].

﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ أي: فِرَقاً شتَّى؛ قاله السُّدِّي. الضَّحاك: أدياناً مختلفة[٢]. قتادة: أهواءً متباينة[٣]؛ ومنه قول الشاعر:

القابضُ الباسطُ الهادي لطاعتهِ ... في فتنة الناسِ إذ أهواؤهمْ قِدَدُ[٤]

والمعنى: أي: لم يكن كلُّ الجنِّ كفاراً، بل كانوا مختلفين؛ منهم كفَّار، ومنهم مؤمنون صلحاء، ومنهم مؤمنون غير صلحاء. وقال المسيّب[٥]: كنا مسلمين ويهود ونصارى ومجوس. وقال السُّدِّي في قوله تعالى: ﴿طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ قال: في الجنّ مِثْلُكم: قَدَريَّة، ومُرْجئة، وخوارج، ورافضة، وشيعة، وسُنِّية[٦]. وقال قوم: أي: وإنَّا بعد استماع القرآن مختلفون: منَّا المؤمنون ومنَّا الكافرون. أي: ومنَّا الصالحون، ومنَّا مؤمنون لم يتناهَوا في الصلاح. والأوَّل أحسن؛ لأنه كان في الجنّ مَن آمن بموسى وعيسى، وقد أخبر اللهُ عنهم أنهم قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١١٣ . .

(٢) المصدر السابق.

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٣٠ .

(٤) البيت للراعي النميري، وهو في ديوانه ص٦٣، والكلام في النكت والعيون ٦/ ١١٣ .

(٥) في فتح القدير٥/ ٣٠٦ :سعيد بن المسيب.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٤٠٣ ، وزاد المسير ٨/ ٣٨٠ عن الحسن والسدي.

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأحقاف: ٣٠]. وهذا يدلُّ على إيمان قومٍ منهم بالتوراة، وكان هذا مبالغةً منهم في دعاء مَن دَعَوهم إلى الإيمان. وأيضاً لا فائدة في قولهم: نحن الآن منقسمون إلى مؤمن وإلى كافر.

والطرائق: جمع الطريقة، وهي مذهب الرجل، أي: كنَّا فِرَقاً مختلفة. ويقال: القوم طرائق، أي: على مذاهبَ شتّى. والقِدَد: نحوٌ من الطرائق، وهو توكيدٌ لها، واحدها: قِدَّة. يقال: لكل طريق قِدَّة، وأصلها مِن قَدِّ السُّيور، وهو قَطْعُها؛ قال لبيد يرثي أخاه أَرْبَد(١):

لم تَبلُغ العينُ كلَّ نَهْمَتها ... ليلةَ تُمسي الجيادُ كالقِدَدِ

وقال آخر:

ولقد قلتُ وزيدٌ حاسرٌ ... يومَ وَلَّتْ خيلُ عَمْرٍو قِدَدا(٢)

والقِدّ ـ بالكسر ـ سَيْر يُقَدُّ من جلد غير مدبوغ؛ ويقال: ماله قِدٌّ ولا قِحْف؛ فالقِدُّ: إناء من جلد، والقِحف: من خشب(٣).

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الظنُّ هنا بمعنى العلمِ واليقين، وهو خلاف الظنِّ في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ﴾، ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟﴾ أي: عَلِمْنا بالاستدلال والتفكُّر في آيات الله أَنَّا في قبضته وسلطانه، لن نفوتَه بهرب ولا غيرِه. و﴿هَرَبًا﴾ مصدرٌ في موضع الحال(٤)، أي: هاربين.

---

(١) في النسخ: زيداً، والتصويب من المصادر، والبيت في ديوان لبيد ص٥٠ .

(٢) نسبه الشوكاني في فتح القدير ٥/ ٣٠٦ للبيد، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٧٣ فقال: وأخرج الطستي في مسائله عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق سأله... قال ابن عباس: أما سمعت الشاعر وهو يقول... ثم ذكره .

(٣) الصحاح (قدد).

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٤٩ .

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ يعني القرآن ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ وبالله، وصدَّقنا محمداً ﷺ على رسالته. وكان ﷺ مبعوثاً إلى الإنس والجنِّ. قال الحسن: بعث اللهُ محمداً ﷺ إلى الإنس والجنِّ، ولم يبعث الله تعالى قطُّ رسولاً من الجنِّ، ولا من أهل البادية، ولا من النساء؛ وذلك قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [يوسف:١٠٩][١] وقد تقدَّم هذا المعنى[٢]. وفي الصحيح[٣]: «وبُعثتُ إلى الأحمر والأسود» أي: الإنس والجنّ.

﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ قال ابن عباس: لا يخاف أن يُنْقَص من حسناته ولا أن يزادَ في سيئاته؛ لأن البخس النقصان، والرَّهَق العدوان[٤] وغشيان المحارم، قال الأعشى[٥]:

لا شيء ينفعني من دونِ رؤيتِها   هل يَشتفي وامِقٌ مالم يُصِبْ رَهَقاً

الوامق: المحبّ؛ وقد وَمِقَه يمِقُه - بالكسر - أي: أحبَّه، فهو وامق[٦].

وهذا قولٌ حكاه الله تعالى عن الجِنِّ؛ لقُوَّة إيمانهم وصِحَّةِ إسلامهم[٧].

وقراءة العامة: «فَلَا يَخَافُ» رفعاً، على تقدير: فإنه لا يخاف. وقرأ الأعمش

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١١٣ .

(٢) ١١/ ٤٦٩-٤٧٠

(٣) صحيح البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١). وسلف ٤/ ٢٥٨ .

(٤) النكت والعيون ٦/ ١١٣-١١٤ . وقول ابن عباس أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٣٢ .

(٥) ديوانه ص٤١٥ ، وسلف ص٢٨٤ من هذا الجزء.

(٦) الصحاح (ومق).

(٧) النكت والعيون ٦/ ١١٤ .

ويحيى وإبراهيم: «فَلَا يَخَفْ» جزماً على جواب الشرط وإلغاء الفاء[١].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ أي: وأنَّا بعد استماع القرآن مختلفون، فمنَّا مَن أسلم ومنَّا مَن كفر. والقاسط: الجائر، لأنه عادلٌ عن الحقّ، والمُقْسِط: العادل؛ لأنه عادل إلى الحق؛ قسط: إذا جار، وأقسط: إذا عدل؛ قال الشاعر[٢]:

قَومٌ هُمُ قَتلوا ابنَ هِندٍ عَنوةً عَمْراً وهُمْ قَسَطُوا على النُّعْمانِ

﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ أي: قصدوا طريق الحقّ وتوخَّوه[٣]. ومنه تحرِّي القِبلة. ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ أي: الجائرون عن طريق الحقّ والإيمان ﴿فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ أي: وَقوداً. وقوله: ﴿فَكَانُوا۟﴾ أي: في علم الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ هذا مِن قول الله تعالى. أي: لو آمن هؤلاء الكفار، لوسَّعنا عليهم في الدنيا وبسطنا لهم في الرزق. وهذا محمولٌ على الوحي، أي: أُوحي إليَّ: أنْ لو استقاموا.

ذكر ابن بحر: كلُّ ما في السورة مِن «إنَّ» المكسورة المثقَّلة فهي حكايةٌ لقول الجِنِّ الذين استمعوا القرآن، فرجعوا إلى قومهم منذرين، وكلُّ ما فيها مِن «أنْ» المفتوحة المخففة[٤] فهي وحيٌ إلى رسول الله ﷺ.

---

(١) نسب القراءة النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٤٩ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٢ للأعمش ويحيى بن وثاب، ونسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٣ ليحيى بن وثاب.

(٢) هو الفرزدق، والبيت في الشعر والشعراء ١/ ٢٣٥ ، والمحرر ٥/ ٣٨٢ ، والأغاني ١١/ ٥٤ ، والخزانة ٦/ ٩ .

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٤٠٣ .

(٤) بعدها في النكت والعيون ٦/ ١١٦ ـ والكلام منه ـ: أو المثقلة . اهـ. وفي هذا الكلام خلاف، وينظر ما سلف ص٢٧٩-٢٨٠ من هذا الجزء.

وقال ابن الأنباريّ[١]: ومَن كسر الحروف وفتح «وأَنْ لو استقاموا» أضمر يميناً تامّاً[٢]، تأويلها: واللهِ أنْ لو استقاموا على الطريقة؛ كما يقال في الكلام: والله أنْ [لو] قمتَ لقمتُ، ووالله لو قمتَ قمتُ؛ قال الشاعر:

أمَا واللهِ أنْ لو كُنتَ حُرًّا وما بِالحُرِّ أنتَ ولا العتِيقِ[٣]

ومَن فتح ما قبل المخفَّفة نسَقها ـ أعني الخفيفة ـ على: «أوحيَ إليَّ أنَّه»، «وأنْ لو استقاموا»، أو على[٤]: «آمنَّا به» وبأن لو استقاموا. ويجوز لمن كسر الحروف كلَّها إلى «أن» المخففة، أن يعطف المخفَّفةَ على: «أُوحيَ إليَّ» أو على: «آمنَّا به»، ويستغني عن إضمار اليمين.

وقراءة العامة بكسر الواوِ مِن «لو»؛ لالتقاء الساكنين. وقرأ ابن وثَّاب والأعمش بضمِّ الواو[٥].

﴿مَّآءً غَدَقًا﴾ أي: واسعاً كثيراً، وكانوا قد حُبِس عنهم المطرُ سبعَ سنين[٦]؛ يقال: غَدِقت العينُ تَغدَق فهي غَدِقة: إذا كَثُر ماؤها. وقيل: المراد الخلق كلُّهم، أي: «لو استقاموا على الطَّريقة» طريقةِ الحقِّ والإيمان والهدى، وكانوا مؤمنين مطيعين، «لَأسقيناهُمْ ماءً غَدَقاً» أي كثيراً: «لِنَفتِنَهُمْ فيه» أي: لنختبرهم كيف شكرُهم فيه على تلك النِّعَم.

وقال عمر في هذه الآية: أينما كان الماءُ كان المال، وأينما كان المال كانت الفتنة[٧]. فمعنى «لَأسقيناهُمْ»: لوسَّعنا عليهم في الدنيا؛ وضَرَب الماءَ الغَدَقَ الكثيرَ

---

(١) في الوقف والابتداء ٢/ ٩٥١-٩٥٢ . وما سيرد بين حاصرتين منه.
(٢) قوله: تامّاً، ليس في الوقف والابتداء.
(٣) سلف ١١/ ٣٣٦ .
(٤) في النسخ الخطية والمصدر: وعلى، والمثبت من (م).
(٥) القراءات الشاذة ص١٦٣ ، والمحتسب ٢/ ٣٣٣ .
(٦) قاله مقاتل كما في الوسيط للواحدي ٣٦٦/٤ ، وتفسير البغوي ٤٠٣/٤ .
(٧) أخرجه الطبري ٣٣٧/٢٣ .

لذلك مثلاً؛ لأنَّ الخير والرزق كله بالمطر يكون، فأُقيم مقامه؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: ٦٦][(١)] أي: بالمطر. والله أعلم.

وقال سعيد بن المسيّب وعطاء بن أبي رَبَاح والضحَّاك وقتادة ومقاتل وعطية وعُبيد بنُ عمير والحسن: كان ـ واللهُ ـ أصحابُ النبيِّ ﷺ سامعين مطيعين، ففُتحت عليهم كنوزُ كسرى وقيصر والمقوقس والنجاشيِّ ففُتنوا بها، فوثبوا على إمامهم فقتلوه. يعني عثمان بنَ عفَّان[(٢)].

وقال الكلبيُّ وغيره: «وأنْ لو استقاموا على الطَّريقة» التي هم عليها من الكفر فكانوا كلُّهم كفاراً، لوَّسعنا أرزاقهم مكراً بهم واستدراجاً لهم، حتى يَفتتنوا بها، فنعذِّبهم بها في الدنيا والآخرة. وهذا قولٌ قاله الربيع بنُ أنس وزيد بن أسلم وابنه والكلبيُّ والثُّماليُّ وَيَمان بنُ رِئاب وابن كيسان وأبو مِجْلَز؛ واستدلُّوا بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤][(٣)] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾ [الزخرف: ٣٣].

والأوَّل أشبه؛ لأنَّ الطريقة معرَّفةٌ بالألف واللام، فالأوجب أن تكون طريقته طريقةَ الهدى[(٤)]؛ ولأن الاستقامة لا تكون إلَّا مع الهدى. وفي صحيح مسلم[(٥)] عن

---

(١) الوسيط للواحدي ٤/ ٣٦٧، وتفسير البغوي ٤/ ٤٠٣.

(٢) ذكره عن الحسن وسعيد بن المسيب ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣.

(٣) قول الربيع وزيد والكلبي وابن كيسان في تفسير البغوي ٤/ ٤٠٤، وعن أبي مجلز أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٣٨.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٣٦.

(٥) برقم (١٠٥٢): (١٢٢)، وسلف ١٣/ ٢٠٨.

أبي سعيد الخُدريِّ ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أخوفُ ما أخاف عليكم ما يُخرج الله لكم مِن زَهْرة الدنيا» قالوا: وما زهرة الدنيا؟ قال: «بركات الأرض. . » وذَكَر الحديث. وقال عليه الصلاة والسلام: «فواللهِ ما الفقرَ أخشى عليكم، وإنما أخشى عليكم أن تُبسط عليكم الدنيا [كما بُسطت على مَن قبلكم] فتنافسوها كما تنافسوها، فتُهلِكَكم كما أهلكتهم»[١].

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ يعني القرآن؛ قاله ابن زيد. وفي إعراضه عنه وجهان: أحدهما عن القَبول؛ إن قيل: إنها في أهل الكفر. الثاني عن العمل؛ إن قيل: إنها في المؤمنين[٢]. وقيل: «ومَنْ يُعْرِضْ عن ذِكْر ربِّه» أي: لم يشكر نعمه.

﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ قرأ الكوفيُّون وعبّاسٌ[٣] عن أبي عمرو: «يَسْلُكْهُ» بالياء، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم؛ لِذِكر اسمِ اللهِ أوّلاً فقال: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾. الباقون: «نَسْلُكْهُ» بالنون[٤]. وروي عن مسلم بن جُندب ضمُّ النون وكسرُ اللام[٥]. وكذلك قرأ طلحة والأعرج، وهما لغتان، سلكه وأسلكه بمعنىً؛ أي: ندخله.

﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ أي: شاقّاً شديداً. قال ابن عباس: هو جبل في جهنم[٦]. الخدريّ[٧]: كلَّما جعلوا أيديهم عليه ذابت. وعن ابن عباس: أنَّ المعنى: مشقَّة من العذاب[٨]. وذلك معلوم في اللغة أنَّ الصَّعَد: المشقة، تقول: تَصعَّدتني الأمر: إذا شقَّ عليك؛ ومنه قول عمر: ما تَصعَّدني شيءٌ ما تَصعَّدتني خُطبة النكاح، أي: ما شقَّ

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٢٣٤)، والبخاري (٣١٥٨)، ومسلم (٢٩٦١) من حديث عمرو بن عوف ﷺ. وما بين حاصرتين من هذه المصادر.

(٢) النكت والعيون ٦/١١٨ .

(٣) في (د) و(ظ) و(م): عياش. ولم نقف على هذه الرواية.

(٤) السبعة ص٦٥٦ ، والتيسير ٢١٥ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٥/٥١ وهي قراءة شاذة .

(٦) أخرجه الطبري ٢٣/٣٣٩ .

(٧) قوله: الخدري، ليس في (ظ).

(٨) أخرجه الطبري ٢٣/٣٣٩ .

عليّ[١]. وعذاب صَعَد ، أي شديد. والصَّعَد: مصدر صَعِد؛ يقال: صَعِدَ صَعَداً وصُعوداً، فوصف به العذاب؛ لأنه يتصعَّد المعذَّب، أي: يعلوه ويغلبه، فلا يطيقه[٢]. وقال أبو عبيدة[٣]: الصَّعَد مصدر، أي: عذاباً ذا صَعَدٍ، والمشي في الصَّعود يشقّ. والصَّعود: العقبة الكؤود[٤]. وقال عكرمة: هو صخرة ملساء في جهنم يُكلَّف صعودَها؛ فإذا انتهى إلى أعلاها حُدِر إلى جهنم[٥].

وقال الكلبيّ: يكلَّف الوليد بنُ المغيرة أن يصعد جبلاً في النار من صخرة ملساء، يُجذب من أمامه بسلاسل، ويُضرب مِن خلفه بمقامع حتى يبلغ أعلاها، ولا يبلغُ إلّا[٦] في أربعين سنة. فإذا بلغ أعلاها أُحْدِر إلى أسفلها، ثم يكلَّف أيضاً صعودَها، فذلك دأبُه أبداً، وهو قولهُ تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر:١٧].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾

فيه ستُّ مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ «أَنَّ» بالفتح، قيل: هو مردودٌ إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ أي: قل أُوحي إليَّ أنَّ المساجد لله. وقال الخليل: أي: ولأنَّ المساجد لله[٧]. والمراد البيوت التي تبنيها أهلُ المِللِ للعبادة. وقال سعيد بن جبير: قالت الجِنّ: كيف لنا أن نأتيَ المساجدَ ونشهدَ معك الصلاةَ ونحن ناؤون عنك؟ فنزلت: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾[٨] أي: بُنيت لِذِكر الله وطاعته.

---

(١) تفسير غريب القرآن ص٤٩١ ، والكشاف ٤/ ١٧٠ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣ .

(٢) الكشاف ٤/ ١٧٠ .

(٣) مجاز القرآن ٢/ ٢٧٣، ووقع في (ز) و(ظ): أبو عبيد.

(٤) الصحاح (صعد).

(٥) ذكره الفراء في معاني القرآن ٣/ ١٩٤ دون نسبة.

(٦) لفظة: إلا، من (ظ). وهذا القول ذكره الفراء مختصراً دون نسبة.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣ .

(٨) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٤١ .

وقال الحسن: أراد بها كلَّ البقاع؛ لأن الأرض كلَّها مسجد للنبيِّ ﷺ[١]، يقول: أينما كنتم فصلُّوا، فأينما صلَّيتم فهو مسجد[٢] وفي الصحيح[٣]: «وجُعلت ليَ الأرضُ مسجداً وطَهوراً».

وقال سعيد بن المسيّب وطَلْق بنُ حبيب: أراد بالمساجد الأعضاءَ التي يَسجد عليها العبد[٤] وهي: القدمان، والركبتان، واليدان، والوجه؛ يقول: هذه الأعضاء أنعم الله بها عليك، فلا تسجدْ لغيره بها، فتجحدَ نعمةَ الله. قال عطاء: مساجدك: أعضاؤك التي أُمرت أن تسجد عليها لا تذلِّلها لغير خالقِها.

وفي الصحيح[٥] عن ابن عباس، عن النبيِّ ﷺ قال: «أُمرت أن أسجد على سبعة أعظُم: الجبهةِ ـ وأشار بيده إلى أنفه ـ واليدين، والركبتين، وأطراف القدمين». وقال العباس: قال النبيُّ ﷺ «إذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب»[٦].

وقيل: المساجد: هي الصلوات، أي: لأن السجود لله. قاله الحسن أيضاً[٧].

فإن جعلت المساجدَ المواضع، فواحدُها مَسجِد، بكسر الجيم، ويقال بالفتح، حكاه الفرَّاء. وإن جعلتها الأعضاء، فواحدها مَسجَد، بفتح الجيم[٨].

---

(١) الوسيط للواحدي ٤/ ٣٦٧، وتفسير البغوي ٤/ ٤٠٤.

(٢) أخرج أحمد (٢١٣٣٣)، والبخاري (٣٤٢٥)، ومسلم (٥٢٠) عن أبي ذر ﷺ مرفوعاً ضمن حديث: «أينما أدركتك الصلاة فصلِّ، فهو مسجد».

(٣) صحيح البخاري (٣٣٥)، وصحيح مسلم (٥٢١)، وسلف ٢/ ٢٨٣.

(٤) نسب هذا القول الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٦٧، والبغوي في تفسيره ٤/ ٤٠٤، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٣٨٢ لسعيد بن جبير، ونسبه الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١١٩ للربيع، ونسبه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣ لابن عطاء.

(٥) صحيح البخاري (٨١٢)، وصحيح مسلم (٤٩٠): (٢٣٠). وسلف ٢/ ٢٨.

(٦) أخرجه أحمد (١٧٦٤)، ومسلم (٤٩١) قوله: آراب، أي: أعضاء، واحدها إرْبٌ، بالكسر والسكون، والمراد بها الأعضاء السبعة المذكورة قبل.

(٧) ذكر قوله أبو الليث في تفسيره ٣/ ٤١٣، ونسبه الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١١٩ لابن شجرة.

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٤٠٤، وكلام الفراء في الصحاح (سجد).

وقيل: هو جمع مَسجَد، وهو السجود، يقال: سجدت سجوداً ومَسجَداً، كما تقول: ضربت في الأرض ضَرْباً ومَضرَباً، بالفتح: إذا سرتَ في ابتغاء الرِّزق[١].

وقال ابن عباس: المساجد هنا مكةُ التي هي القِبلة، وسمِّيت مكة المساجد، لأنَّ كلَّ أحدٍ يسجد إليها.

والقول الأوَّل أظهر هذه الأقوالِ إن شاء الله، وهو مرويٌّ عن ابن عباس رحمه الله[٢].

الثانية: قوله تعالى: «لِلَّهِ» إضافةُ تشريفٍ وتكريم، ثم خصَّ بالذِّكر منها البيت العتيق، فقال: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ [الحج:٢٦]. وقال عليه الصلاة والسلام: «لاتُعمَل المَطِيُّ إلَّا إلى ثلاثة مساجد»[٣] الحديث خرَّجه الأئمة. وقد مضى الكلامُ فيه. وقال عليه الصلاة والسلام: «صلاةٌ في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاةٍ فيما سواه إلَّا المسجدَ الحرام».

قال ابن العربي: وقد روي من طريق لابأس بها أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «صلاةٌ في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاةٍ فيما سواه إلَّا المسجدَ الحرام، فإنَّ صلاة فيه خيرٌ من مئة صلاة في مسجدي هذا» ولوصحَّ هذا لكان نَصًّا[٤].

قلت: هو صحيحٌ بنقل العدل عن العدل حَسب ما بيَّنَّاه في سورة إبراهيم[٥].

الثالثة: المساجد وإن كانت لله ملكاً وتشريفاً، فإنها قد تُنسب إلى غيره تعريفاً، فيقال: مسجد فلان. وفي صحيح الحديث أنَّ النبيَّ ﷺ سابقَ بين الخيل التي أُضمرت

(١) تفسير غريب القرآن ص٤٩١.

(٢) النكت والعيون ٦/ ١١٩ .

(٣) قطعة من حديث أبي هريرة ﷺ أخرجه أحمد (٢٣٨٤٨)، والنسائي ٣/ ١١٣-١١٤ . وسلف ٧/ ٧٢ بلفظ: لاتشد الرحال...

(٤) أحكام القرآن ٤/ ١٨٥٧ ، والحديث أخرجه أحمد(١٦١١٧)، وسلف ١٢/ ١٥١ .

(٥) ١٢/ ١٥١ .

من الحفياء، وأمدُها ثَنِيَّةُ الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تُضمَّر من الثنيَّة إلى مسجد بني زُريق. وتكون هذه الإضافة بحكم المحلِّية كأنها في قبلتهم، وقد تكون بتحبيسهم، و لا خلاف بين الأمة في تحبيس المساجد والقناطر والمقابر و إن اختلفوا في تحبيس غير ذلك(١).

الرابعة: مع أنَّ المساجد لله لا يُذكر فيها إلَّا الله، فإنه تجوز القِسمةُ فيها للأموال. ويجوز وضع الصَّدقات فيها على رسم الاشتراك بين المساكين، وكلُّ مَنْ جاء أكل. ويجوز حبس الغريم فيها، وربط الأسير، والنومُ فيها، وسكنى المريض فيها، وفتح الباب للجار إليها، وإنشاد الشعر فيها إذا عَرِيَ عن الباطل(٢). وقد مضى هذا كلُّه مبيَّناً في سورة براءة والنور وغيرِهما(٣).

الخامسة: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ هذا توبيخٌ للمشركين في دعائهم مع الله غيرَه في المسجد الحرام(٤). وقال مجاهد: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبِيَعهم أشركوا بالله، فأمر الله نبيَّه والمؤمنين أن يُخلِصوا لله الدعوةَ إذا دخلوا المساجد كلَّها(٥). يقول: فلا تشركوا فيها صنماً وغيرَه مما يُعبد.

وقيل: المعنى: أَفرِدوا المساجدَ لذكر الله، ولا تتَّخذوها هُزُواً وَمتْجَراً ومجلساً، ولا طرقاً، ولا تجعلوا لغير الله فيها نصيباً(٦). وفي الصحيح(٧): « مَن نَشَد ضالَّةً في

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٥٧ ، والحديث أخرجه البخاري (٢٨٦٩)، ومسلم(١٨٧٠)، وسلف ١١/ ٢٨٢

(٢) أحكام القرآن ٤/ ١٨٥٨ .

(٣) ١٠/ ١٥٢ فما بعد، ١٥/ ٢٧٠ فما بعد.

(٤) أحكام القرآن ٤/ ١٨٥٨ .

(٥) أخرج هذا القول عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣٢٣ عن قتادة. ونسبه له أيضاً أبو الليث في تفسيره ٣/ ٤١٣ ، والواحدي في الوسيط ٤/ ٣٦٧ ، والبغوي في تفسيره ٤/ ٤٠٤ ، والزمخشري في الكشاف ٤/ ١٧٠ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٣٨٢ .

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣ بنحوه.

(٧) صحيح مسلم (٥٦٨)، وسلف ١٥/ ٢٨١ .

المسجد فقولوا: لا ردَّها الله عليك، فإنَّ المساجد لم تُبْنَ لهذا».

وقد مضى في سورة النور ما فيه كفايةٌ من أحكام المساجد، والحمدُ لله.

السادسة: روى الضحَّاك عن ابن عباس أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا دخل المسجد قدَّم رِجلَه اليمنى، وقال: «وأنَّ المساجدَ للهِ فلا تَدْعُوا مع الله أَحَداً» اللهمَّ أنا عبدك وزائرك، وعلى كل مزور حقّ، وأنت خيرُ مزور، فأسألك برحمتك أن تَفُكَّ رقبتي من النار» فإذا خرج من المسجد قدَّم رجله اليسرى، وقال: « اللهم صُبَّ عليَّ الخيرَ صبًّا، ولا تَنزِع عني صالحَ ما أعطيتني أبداً، ولا تجعل معيشتي كَدًّا، واجعل لي في الأرض جَدًّا»(١) أي: غنىً.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۝١٩ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٠ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝٢١﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾يجوز الفتح، أي: أوحى اللهُ أنه.

ويجوز الكسر على الاستئناف. و«عبد الله» هنا محمدٌ ﷺ حين كان يصلِّي ببطن نخلة ويقرأ القرآن، حسب ما تقدَّم أوّلَ السورة﴿يَدْعُوهُ﴾ أي: يعبده. وقال ابن جُريج: « يَدْعُوهُ» أي: قام إليهم داعياً لهم إلى الله تعالى(٢).

﴿كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ قال الزبير بن العوَّام: هم الجنُّ حين استمعوا القرآن من النبيِّ ﷺ(٣). أي: كاد يركب بعضُهم بعضاً ازدحاماً ويسقطون حرصاً على سماع القرآن. وقيل: كادوا يركبونه حرصاً، قاله الضحَّاك(٤). ابن عباس: رغبةً في سماع الذِّكر. وروى بُردْ عن مكحول(٥): أنَّ الجنَّ بايعوا رسول الله ﷺ في هذه الليلة،

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٢٠ .

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٢٠ بنحوه .

(٣) المصدر السابق.

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٤٣ .

(٥) في النكت والعيون ٦/ ١٢١ : روى مكحول عن ابن مسعود، ثم ذكر الخبر.

وكانوا سبعين ألفاً، وفرغوا من بيعته عند انشقاق الفجر. وعن ابن عباس أيضاً: أنَّ هذا من قول الجنِّ، لمَّا رجعوا إلى قومهم أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب النبيِّ ﷺ وائتمامِهم به في الركوع والسجود[١].

وقيل: المعنى: كاد المشركون يركب بعضهم بعضاً حَرَدًا[٢] على النبيِّ ﷺ. وقال الحسن وقتادة وابن زيد: يعني«لمَّا قام عبد الله» محمدٌ بالدعوة، تَلبَّدت الإنس والجنُّ على هذا الأمر ليطفئوه، فأَبى اللهُ إلَّا أن ينصره ويُتمَّ نوره.

واختار الطبريُّ[٣] أن يكون المعنى: كادت العرب يجتمعون على النبيِّ ﷺ، ويتظاهرون على إطفاء النورِ الذي جاء به. وقال مجاهد[٤]: قوله: «لِبَداً»: جماعات، وهو مِن: تَلَبَّد الشيءُ على الشيء، أي: تجمَّع، ومنه اللِّبْد الذي يفرش لتراكم صوفه. وكلُّ شيءٍ ألصقته إلصاقاً شديداً فقد لبَّدته[٥]، وجمع اللِّبدة: لِبَد، مثل: قِرْبة وقِرَب. ويقال للشَّعر الذي على ظهر الأسد: لِبْدة، وجمعها لِبَد[٦]، قال زهير:

لدى أَسَدٍ شاكي السِّلاحِ مُقَذَّفٍ لـه لِبَدٌ أَظفارُه لم تُقَلَّمِ[٧]

ويقال للجراد الكثير: لِبَد.

وفيه أربع لغات وقراءات: فتح الباء وكسر اللام، وهي قراءة العامَّة. وضمُّ اللام وفتح الباء، وهي قراءة مجاهدٍ وابنِ مُحَيْصن وهشام عن أهل الشام[٨]، واحدتها لُبْدة. وبضمِّ اللام والباء، وهي قراءة أبي حَيْوة ومحمد بنِ السَّمَيْفَع وأبي الأشهب

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٢٣) وقال: حديث حسن صحيح، والطبري ٢٣/ ٣٤٤ .
(٢) الحَرَد: الغضب. الصحاح(حرد).
(٣) في تفسيره ٢٣/ ٣٤٥ ، وفيه قول الحسن وقتادة وابن زيد.
(٤) ذكر قوله النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٥٢ ، والماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٢٠ .
(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٣٧ .
(٦) الصحاح(لبد) بنحوه.
(٧) شرح ديوان زهير ص٢٣ . شاكي السلاح: أي: سلاحه ذو شوكة. المقذف: الغليظ اللحم.
(٨) السبعة ص٦٥٦ ، والتيسير ص٢١٥ ، وعن مجاهد وابن محيصن في القراءات الشاذة ص١٦٣ .

العُقَيلي والجَحْدري[١]. واحدها لَبْد، مثل: سَقْف وسُقُفٍ، ورَهْن ورُهُن. وبضَّم اللام وشدِّ الباء وفتحها، وهي قراءة الحسن وأبي العالية والأعرج والجَحْدريِّ أيضاً[٢]. واحدها لابِد، مثل: راكع ورُكَّع، وساجِد وسُجَّد.

وقيل: اللُّبَد، بضم اللام وفتح الباء: الشيء الدائم، ومنه قيل لنَسر لقمان: لُبَد، لدوامه وبقائه، قال النابغة:

أَخْنَى عليها الذي أَخْنَى على لُبَدِ[٣]

القشيريّ: وقُرئ: «لُبُداً» بضم اللام والباء، وهو جمع لَبِيد، وهو الجُوالِق[٤] الصغير.

وفي الصحاح: ﴿أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا﴾ [البلد: ٦] أي: جمًّا. ويقال أيضاً: الناس لُبَد، أي: مجتمعون، واللُّبَد أيضاً: الذي لايسافر ولايبرح [منزله] قال الشاعر[٥]:

مِـن امـرئٍ ذي سَـمـاحٍ لا تـزال لـه   بَـزْلاءُ يـعـيـا بـهـا الـجَـثَّـامـة الـلُّـبَـدُ

ويروى: اللَّبِد. قال أبو عُبيد: وهو أشبه[٦].

ولُبَد: آخر نسور لقمان، وهو ينصرف، لأنه ليس بمعدول. وتزعم العرب أنَّ لقمان هو الذي بعثته عاد في وَفدها إلى الحرم يستسقي لها، فلما أُهلكوا، خُيِّر لقمان

(١) قراءة الجحدري في المحتسب ٢/ ٣٣٤ .

(٢) نسبها ابن جني في المحتسب ٢/ ٣٣٤ للحسن والجحدري، ونسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٣ للجحدري.

(٣) ديوان النابغة الذبياني ص٣١ ، وسلف ٢٠/ ١٠٤ ، وسيأتي قريباً بتمامه.

(٤) الجوالق: الوعاء. الصحاح (جلق).

(٥) هو الراعي النميري، والبيت في ديوانه ص٦٠ برواية: مِن أمرِ ذي بدوات...

(٦) الصحاح (لبد)، وماسلف بين حاصرتين منه. ووقع بعدها في (م): والبزلاء: الرأي الجيد. وفلان نهاض ببزلاء: إذا كان ممن يقوم بالأمور العظام، قال الشاعر:

إنـي إذا شَـغَـلـتْ قـومـاً فـروجُـهـمُ   رحـبُ الـمـسـالـك نـهَّـاضٌ بـبـزلاءِ

بين بقاء سبع بعرات[١] سُمْر، مِن أظْبِ عفر، في جبل وعَرْ، لا يَمسُّها القَطْر، أو بقاءِ سبعة أنسر، كلَّما هلك نَسر، خلف بعده نَسر، فاختار النُّسور، وكان آخر نُسوره يُسمَّى لُبَداً، وقد ذكرته الشعراء، قال النابغة:

أَضحت خَلاءً وأمسى أهلُها احتملوا أَخْنَى عليها الذي أَخْنَى على لُبَدِ

واللَّبِيد: الجُوَالق الصغير، يقال: ألبدت القِرْبة، جعلتها في لَبِيد. ولبِيد: اسم شاعر من بني عامر.

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي﴾ أي قال ﷺ: ﴿إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ وكذا قرأ أكثر القرَاء: «قَالَ»؛ على الخبر. وقرأ حمزة وعاصم: «قُلْ»؛ على الأمر[٢].

وسبب نزولها أنَّ كفار قريش قالوا له: إنكَ جئت بأمر عظيم، وقد عاديت الناس كلَّهم، فارجع عن هذا فنحن نجيرك، فنزلت[٣].

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ أي: لاأقدر أن أدفع عنكم ضَرًّا ولا أسوق لكم خيراً[٤].

وقيل: « لا أملِك لكم ضَرًّا» أي: كفراً، «ولا رَشَداً» أي: هدًى، أي: إنما عليَّ التبليغ. وقيل: الضَّرّ: العذاب، والرَّشَد: النعيم. وهو الأوَّل بعينه. وقيل: الضَّرّ: الموت، والرَّشَد: الحياة[٥].

---

(١) في النسخ الخطية: بقرات، والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في الصحاح (لبد)، والكلام منه. قال شارح القاموس (لبد): هكذا في نسختنا بالعين، ويوجد في بعض نسخ الصحاح: بقرات، بالقاف. قال شيخنا: والذي في نسخ القاموس هو الأشبه ، إذ لاتتولد البقر من الظباء، ولا تكون منها.

(٢) السبعة ص٦٥٧ ، والتيسيرص٢١٥.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٦٨ ، والبغوي في تفسيره ٤/ ٤٠٥ عن مقاتل.

(٤) الوسيط ٤/ ٣٦٨ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٠٥ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٢٠-١٢١ .

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ أي: لايدفع عذابه عني أحدٌ إن استحققتُه[(١)]، وهذا لأنهم قالوا: اترك ما تدعو إليه ونحن نجيرك.

وروى أبو الجوزاء عن ابن مسعود قال: انطلقت مع النبي ﷺ ليلةَ الجنِّ، حتى أتى الحَجُون فخطَّ عليَّ خطًّا، ثم تقدَّم إليهم، فازدحموا عليه، فقال سيِّدٌ لهم يقال له وَرْدان: أنا أَزْجُلهم عنك، فقال: «إنِّي لن يجيرني من الله أحد» ذكره الماوردي[(٢)]، قال: ويحتمل معنيين: أحدهما: لن يجيرني مع إجارة الله لي أحد. الثاني: لن يجيرني ممَّا قدَّره اللهُ تعالى عليَّ أحد.

﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ أي: ملجأً ألجأ إليه، قاله قتادة[(٣)]. وعنه: نصيراً ومولىً. السُّدِّيّ: حِرزاً. الكلبي: مَدْخلاً في الأرض مثل السَّرَب[(٤)]. وقيل: وليًّا ولا مولىً. وقيل: مذهباً ولا مسلكاً. حكاه ابن شجرة[(٥)]، والمعنى واحد، ومنه قول الشاعر:

يالهْفَ نفسي ولَهْفي غيرُ مجدِيةٍ عنِّي وما مِن قضاء اللهِ مُلْتَحدُ[(٦)]

﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ فإنَّ فيه الأمان والنَّجاة، قاله الحسن. وقال قتادة:

---

(١) في(د)و(ز) و(م): استحفظته، والمثبت من(ظ).

(٢) في النكت والعيون ٦/ ١٢١. قوله: أزجلهم، أي: أدفعهم. القاموس(زجل).

(٣) أخرج قوله الطبري ٢٣/ ٣٤٩.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٤٠٥.

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٢١.

(٦) النكت والعيون ٦/ ١٢١ دون نسبة، وهو في الدر المنثور ٤/ ٢١٨ منسوباً لخصيب الضمري.

«إِلَّا بَلَاغاً مِنَ اللهِ» فذلك الذي أملكه بتوفيق الله[١]، فأما الكفرُ والإيمان فلا أملكهما. فعلى هذا يكون مردوداً إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ أي: لا أملك لكم إِلَّا أن أُبلِّغكم.

وقيل: هو استثناء منقطع من قوله: ﴿لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ إِلَّا[٢] أن أبلغكم، أي: لكنْ أبلِّغُكم ما أُرسلتُ به، قاله الفرَّاء[٣].

وقال الزجَّاج[٤]: هو منصوب على البدل من قوله: «مُلْتَحداً»، أي: «ولن أجدَ مِن دونه مُلْتحداً» إِلَّا أن أُبلِّغَ ما يأتيني من الله ورسالاته، أي: ومن رسالاته التي أمرني بتبليغها. أو: إِلَّا أن أبلغ عن الله وأعملَ برسالته، فآخذ نفسي بما آمرُ به غيري.

وقيل: هو مصدر، و«لا» بمعنى لم، و«إنْ» للشرط. والمعنى: لن أجد من دونه ملتحداً[٥] إنْ لم أبلِّغ رسالاتِ ربِّي بلاغاً.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في التوحيد والعبادة. ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ كُسِرت «إنَّ» لأن ما بعد فاء الجزاء موضعُ ابتداء، وقد تقدَّم. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ نصب على الحال، وجَمَعَ «خَالِدِينَ»؛ لأنَّ المعنى: لكلِّ مَن فعل ذلك، فوحَّد أوَّلاً للفظ «مَن»، ثم جَمَعَ للمعنى[٦].

وقوله ﴿أَبَدًا﴾ دليلٌ على أنَّ العصيان هنا هو الشِّرك[٧]. وقيل: هو المعاصي غيرَ الشرك، ويكون معنى «خالدين فيها أبداً» إِلَّا أن أعفوَ أو تلحَقهم شفاعة، ولا محالة

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٤٠٥، وقول قتادة أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥٠، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٤.

(٢) في (ظ) و(م): أي إلا.

(٣) معاني القرآن له ٣/ ٢٥ بنحوه، وقاله مكي في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٦٥، وينظر المحرر الوجيز٥/ ٣٨٤.

(٤) في معاني القرآن ٥/ ٢٣٧.

(٥) بعدها في(د) و(ز) و(م): أي. والكلام بنحوه في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٦٥.

(٦) الكشاف ٤/ ١٧٢ بنحوه.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٥ بنحوه.

إذا خرجوا من الدنيا على الإيمان يلحقهم العفو. وقد مضى هذا المعنى مبيَّناً في سورة النساءِ وغيرِها[(١)].

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ «حَتَّى» هنا مبتدأ، أي: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ من عذاب الآخرة، أو ما يوعدون[(٢)] من عذاب الدنيا، وهو القتل ببدر[(٣)] ﴿فَسَيَعۡلَمُونَ﴾ حينئذ ﴿مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا﴾ أهم أم المؤمنون. ﴿وَأَقَلُّ عَدَدٗا﴾ معطوف.

قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ﴾ يعني قيام الساعة. وقيل: عذاب الدنيا، أي: لا أدري، فـ «إنْ» بمعنى «ما» أو «لا»؛ أي: لا يَعرف وقتَ نزول العذاب ووقتَ قيام الساعة إلّا الله؛ فهو غيبٌ لا أعلم منه إلّا ما يعرِّفنيه الله. و«ما» في قوله: «ما يوعدون» يجوز أن يكون مع الفعل مصدراً، ويجوز أن يكون بمعنى الذي، ويقدَّر حرفُ[(٤)] العائد.

﴿أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا﴾ أي: غايةً وأجلاً. وقرأ العامَّة بإسكان الياء مِن «ربِّي» وقرأ الحِرْمِيَّان وأبو عمرو بالفتح[(٥)].

قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ «عَالِمُ» رفعاً؛ نعتاً لقوله: «رَبِّي». وقيل: أي: هو «عالِمُ الغيب»[(٦)]. والغيب: ما غاب عن العباد. وقد تقدَّم بيانُه في أوَّل سورة البقرة[(٧)].

---

(١) ٧/ ٣٩ فما بعد.
(٢) في (ظ): وما يوعدون.
(٣) الكشاف ٤/ ١٧٢.
(٤) في النسخ الخطية: حذف. والكلام بنحوه في مشكل إعراب القرآن٢/ ٧٦٥-٧٦٦ .
(٥) السبعة ص٦٥٧ ، والتيسير ص٢١٥ ، والحِرْمِيَّان: نافع المدني، وابن كثير المكي.
(٦) تفسير البغوي ٤/ ٤٠٥-٤٠٦ .
(٧) ١/ ٢٥١-٢٥٢ .

﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا . إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ فإنه يُظهره على ما يشاء من غيبه؛ لأنَّ الرسل مؤيَّدون بالمعجزات، ومنها الإخبارُ عن بعض الغائبات؛ وفي التنزيل: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وقال ابن جبيرُ: «إِلَّا مَن ارتضى مِن رسول»: هو جبريل عليه السلام[١]. وفيه بُعد، والأَوْلَى أن يكون المعنى: أي: لا يُظهر على غيبه إِلَّا مَن ارتضى، أي: اصطفى للنبوَّة، فإنه يطلعه على ما يشاء من غيبه؛ ليكون ذلك دالًّا على نبوَّته[٢].

الثانية: قال العلماء رحمة الله عليهم: لمَّا تمدَّح سبحانه بعلم الغيبِ واستأثر به دون خلقه، كان فيه دليلٌ على أنه لا يعلم الغيبَ أحدٌ سواه، ثم استثنى مَن ارتضاه من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزةً لهم ودلالةً صادقةً على نبوَّتهم. وليس المنجِّم ومَن ضاهاه ـ ممن يضرِب بالحصى، وينظر في الكتب، ويزجر بالطير ـ ممَّن ارتضاه من رسول فيطلعَه على ما يشاء من غيبه، بل هو كافرٌ بالله مفترٍ عليه؛ بحدسه وتخمينه وكذبه.

قال بعض العلماء: وليت شِعري ما يقول المنجِّم في سفينة ركب فيها ألفُ إنسان، على اختلاف أحوالهم، وتباين رتبهم، فيهم الملِك والسُّوقة، والعالم والجاهل، والغنيُّ والفقير، والكبير والصغير، مع اختلاف طوالعهم، وتباين مواليدهم، ودرجات نجومهم؛ فعمَّهم حكمُ الغَرَق في ساعة واحدة؟ فإن قال المنجِّم قبَّحه الله: إنما أغرقهم الطالعُ الذي ركبوا فيه، فيكون على مقتضى ذلك أنَّ هذا الطالع أبطل أحكام تلك الطوالع كلِّها ـ على اختلافها ـ عند ولادة كلِّ واحدٍ منهم، وما يقتضيه طالعه المخصوصُ به، فلا فائدة إذاً[٣] في عمل المواليد، ولا دلالة فيها على شقيٍّ ولا سعيد، ولم يبقَ إلَّا معاندةُ القرآن العظيم. وفيه استحلالُ دمه على هذا التنجيم. ولقد أحسن الشاعرُ حيث قال:

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٢٢ .

(٢) الكلام بنحوه في الوسيط للواحدي ٤/ ٣٦٩ .

(٣) في (د) و(م): أبداً.

حَكَمَ المنجِّمُ أنَّ طالعَ مولدي ... يقضي عليَّ بِميتة الغَرَقِ
قل للْمُنجِّم صُبْحَةَ الطُّوفانِ هل ... وُلد الجميعُ بكوكب الغَرَقِ

وقيل لأمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب ﷺ لمَّا أراد لقاءَ الخوارج: أتلقاهم والقمرُ في العقرب؟ فقال ﷺ: فأين قمرُهم؟ وكان ذلك في آخر الشهر. فانظر إلى هذه الكلمةِ التي أجاب بها، وما فيها من المبالغة في الردِّ على مَن يقول بالتنجيم، والإفحامِ لكل جاهلٍ يحقِّق أحكامَ النجوم.

وقال له مسافر بن عوف: يا أمير المؤمنين! لا تَسر في هذه الساعة، وسِرْ في ثلاث ساعات يمضين من النهار. فقال له عليٌّ ﷺ: ولم؟ قال: إنك إن سرت في هذه الساعة؛ أصابك وأصاب أصحابَك بلاءٌ وضرٌّ شديد، وإن سرت في الساعة التي آمُرُك بها؛ ظفرت وظهرت وأصبت ما طلبت. فقال عليٌّ ﷺ: ما كان لمحمد ﷺ مُنَجِّم، ولا لنا من بعده ـ في كلام طويل يَحتجُّ فيه بآيات من التنزيل ـ فمَن صدَّقك في هذا القول، لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله نِدًّا أو ضدًّا، اللهم لا طير إلَّا طيرُك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك[(١)]. ثم قال للمتكلِّم: نكذِّبك ونخالفك، ونسير في الساعة التي تنهانا عنها. ثم أقبل على الناس فقال: «يا أيها الناس، إياكم وتعلُّمَ النجوم، إلَّا ما تهتدون به في ظلمات البرّ والبحر؛ إنما المنجِّم كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار، والله لئن بلغني أنك تنظر في النجوم وتعمل بها، لَأُخلدنَّك في الحبس ما بقيتُ وبقيتَ، ولأَحرمنَّك العطاء ما كان لي سلطان. ثم سار[(٢)] في الساعة التي نهاه عنها، فلقي القومَ فقتلهم، وهي وقعة النَّهرَوَان الثابتةُ في الصحيح لمسلم[(٣)]. ثم قال: لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها وظفرنا وظهرنا، لقال

---

(١) قوله: ولا إله غيرك، من (ظ) ومصدر التخريج.

(٢) في (د) و(ز) و(م): سافر.

(٣) برقم (١٠٦٤): (١٤٨) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، و(١٠٦٦): (١٥٦) من حديث زيد بن وهب الجهني ﷺ. وهو عند أحمد (٧٠٦).

قائل: سار في الساعة التي أمر بها المنجِّم، ما كان لمحمد ﷺ منجِّم، ولا لنا مِن بعده، فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وسائرَ البلدان. ثم قال: يا أيها الناس! توكَّلوا على الله وثِقوا به، فإنه يكفي ممَّن سواه[1].

﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ يعني ملائكة يحفظونه عن أن يَقْرُبَ منه شيطان؛ فيحفظ الوحي من استراق الشياطين والإلقاء إلى الكهنة. قال الضحَّاك: ما بعث الله نبيًّا إلا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين عن أن يتشبَّهوا بصورة المَلَك، فإذا جاءه شيطان في صورة المَلَك، قالوا: هذا شيطان فاحذره. وإن جاءه المَلَك، قالوا: هذا رسول ربِّك[2].

وقال ابن عباس وابن زيد: «رَصَداً» أي: حَفَظة يحفظون النبيَّ ﷺ من أمامه ووراءه من الجنِّ والشياطين[3]. قال قتادة وسعيد بن المسيّب: هم أربعةٌ من الملائكة حفظة[4].

وقال الفراء[5]: المراد جبريل؛ كان إذا نزل بالرسالة، نزلت معه ملائكة يحفظونه من أن تستمع الجنُّ الوحي، فيلقوه إلى كهنتهم فيسبقوا به الرسول.

وقال السُّدِّي: «رَصَداً» أي: حفظة يحفظون الوحي، فما جاء من عند الله قالوا: إنه من عند الله، وما ألقاه الشيطان قالوا: إنه من الشيطان[6].

و«رَصَداً» نصب على المفعول. وفي الصحاح: والرَّصَد القوم يرصُدون كالحرس، يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر[7] والمؤنث، وربما قالوا: أرصاد.

---

(١) أخرجه الحارث في مسنده (٥٦٤ ـ بغية الباحث).
(٢) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥٣ مختصراً، وينظر النكت والعيون ٦/ ١٢٢، وتفسير البغوي ٤/ ٤٠٦.
(٣) النكت والعيون ٦/ ١٢٢، وقول ابن عباس أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥٤.
(٤) قول قتادة في النكت والعيون ٦/ ١٢٢.
(٥) في معاني القرآن ٣/ ١٩٦.
(٦) النكت والعيون ٦/ ٣٠.
(٧) قوله: والمذكر، من (د) و(م).

والراصد للشيء: الراقب[1] له؛ يقال: رَصَده يَرْصُده رَصْداً ورَصَداً. والتَّرصُّد: التَّرقُّب، والمَرْصَد: موضع الرصد.

قوله تعالى: ﴿لِيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لِيَعۡلَمَ﴾ قال قتادة ومقاتل: أي: ليعلم محمدٌ أنَّ الرسل قبله قد بلَّغوا الرسالة كما بلَّغ هو الرسالة[2]. وفيه حذفٌ يتعلَّق به اللام؛ أي: أخبرناه بحفظنا الوحي، ليعلم أنَّ الرسل قبله كانوا على مثل حالته من التبليغ بالحقِّ والصدق.

وقيل: ليعلم محمدٌ أن قد أبلغ جبريل ومَن معه إليه رسالةَ ربِّه؛ قاله ابن جبير. قال: ولم ينزل الوحي إلَّا ومعه أربعة حفظة من الملائكة عليهم السلام[3].

وقيل: ليعلم الرسل أنَّ الملائكة بلَّغوا رسالاتِ ربِّهم.

وقيل: ليعلم الرسول ـ أيّ رسول كان ـ أنَّ الرسل سواه بلَّغوا.

وقيل: أي: ليعلم إبليس أنَّ الرسل قد أبلغوا رسالاتِ ربِّهم سليمةً من تخليطه واستراقِ أصحابه.

وقال ابن قتيبة: أي: ليعلم الجِنُّ أنَّ الرسل قد بلَّغوا ما نزل عليهم ولم يكونوا هم المبلِّغين باستراق السمع عليهم[4].

وقال مجاهد: ليعلم من كذَّب الرسل أنَّ المرسلين قد بلَّغوا رسالاتِ ربِّهم[5].

وقراءة الجماعة: «لِيَعْلَمَ» بفتح الياء، وتأويله ما ذكرناه. وقرأ ابن عباس ومجاهد

---

(١) في الصحاح (رصد): المراقب.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥٤-٣٥٥ عن قتادة.

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٢٣ ، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥٥-٣٥٦ بنحوه.

(٤) النكت والعيون ٦/ ١٢٣ .

(٥) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥٥ .

وحُميد ويعقوب بضمِّ الياء[١]، أي: ليُعْلَم الناس أنَّ الرسل قد أبلغوا.

وقال الزجَّاج[٢]: أي: ليَعلم اللهُ أنَّ رسله قد أبلغوا رسالاته، بفتح الياء؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [التوبة:١٦]. المعنى: ليعلم اللهُ ذلك علمَ مشاهدةٍ كما علمه غيباً.

﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي: أحاط علمُه بما عندهم، أي: بما عند الرسل وما عند الملائكة. وقال ابن جبير: المعنى: ليعلم الرسل أنَّ ربَّهم قد أحاط علمُه بما لديهم، فيبلِّغوا رسالاتِه[٣].

﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ أي: أحاط بعدد كلِّ شيءٍ، وعرفَه وعلمَه، فلم يخفَ عليه منه شيء. و«عَدَداً» نصب على الحال، أي: أحصى كلَّ شيءٍ في حال العدد، وإن شئتَ على المصدر، أي: أحصى[٤] وعدَّ كلَّ شيءٍ عدداً، فيكون مصدرَ الفعل المحذوف، فهو سبحانه المحصي المحيط؛ العالم الحافظ لكل شيء وقد بيَّنَّا جميعَه في «الكتاب الأسنى، في شرح أسماء الله الحسنى»[٥]. والحمد لله وحدَه.

---

(١) قراءة يعقوب من رواية رويس عنه. النشر ٢/ ٣٩٢ . وذكرها عن ابن عباس ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٥ .

(٢) في معاني القرآن ٥/ ٢٣٨ .

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥٦ .

(٤) بعدها في (ظ): كل شيء.

(٥) ص٢٥٥ ، ٢٦٧ .

سُورَةُ الجِنِّ

مَكيَّةٌ، وآيُها ثمانٍ وعِشرونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) - ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ وقُرِئَ: (أُحِيَ)[1]، وأصلُه: وُحِيَ، من وَحَى إليه، فقُلِبَت الواوُ همزةً لضَمَّتِها، و: (وُحِي) على الأَصلِ[2].

وفاعلُه: ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ والنَّفرُ: ما بينَ الثَّلاثةِ والعشرةِ.

والجنُّ: أجسامٌ عاقلةٌ خَفِيَّةٌ تغلبُ عليهم النَّاريَّةُ أو الهوائيَّةُ.

وقيل: نوعٌ مِن الأَرواحِ المُجرَّدةِ.

وقيل: نفوسٌ بشريَّةٌ مفارِقةٌ عَن أبدانِها.

وفيه دلالةٌ على أنَّه عليهِ السَّلامُ ما رآهم ولم يقرَأْ عليهِم، وإنَّما اتَّفقَ حُضورُهم في بعضِ أَوقاتِ قراءَتِه فسَمِعُوها فأخبرَ اللهُ بهِ رسولَه.

﴿فَقَالُوٓاْ﴾ لقومهم حين رجعوا إليهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا﴾: كتابًا ﴿عَجَبًا﴾: بديعًا مُبايِنًا لكلامِ النَّاسِ في حُسْنِ نَظمِهِ ودِقَّةِ مَعناهُ، وهو مَصدَرٌ وُصِفَ بِهِ للمُبالغَةِ.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٣)، و«المحتسب» (٢/ ٣٣١)، عن جؤية بن عائذ.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٣) عن ابن أبي عبلة.

(٢) ـ ﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾: إلى الحقِّ والصَّوابِ ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾: بالقرآنِ ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ على ما نطقَ بهِ الدلائلُ القاطعةُ على التَّوحيدِ.

(٣) ـ ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ قرأَهُ ابنُ كثيرٍ والبَصريَّانِ بالكَسرِ على أنَّه مِن جُملَةِ المَحكيِّ بعدَ القَولِ، وكذا ما بعدَهُ إلَّا قولَه: ﴿أن لو استقاموا﴾ ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ﴾ ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ﴾ فإنَّها مِن جُملَةِ الموحَى بهِ، ووافقَهُم نافعٌ وأبو بكرٍ إلَّا في قولِه: ﴿وإنَّه لَمَّا قام﴾ على أنه استئنافٌ أو مقولٌ، وفتَحَ الباقونَ الكلَّ إلا ما صُدِّرَ بالفاءِ[1] على أنَّ ما كانَ مِن قولِهم فمَعطوفٌ على محلِّ الجارِّ والمجرورِ في ﴿بِهِۦ﴾، كأنه قيل: صَدَّقْناهُ وصَدَّقْنَا أنَّه تعالى جَدُّ ربِّنا؛ أي: عَظَمَتُه، مِن جَدَّ فَلانٌ في عيني: إذا عَظُم ملكُه، أو سُلطانُه، أو غِناهُ، مُستعارٌ مِن الجَدِّ الذي هو البَخْتُ.

والمعنى: وصفُهُ بالاستغناء[2] عنِ الصَّاحبةِ والولَدِ لعَظَمتِهِ، أو لسُلطانِه، أو لغِنَاهُ، وقولُه: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ بيانٌ لذلك.

وقُرِئَ: (جدًّا) بالتَّمييزِ[3]، (جِدُّ) بالكسرِ[4]؛ أي: صِدْقُ ربوبيَّتِه، كأنَّهُم سَمِعُوا مِن القُرآنِ ما نبَّهَهُم على خطأ ما اعتقَدُوهُ مِن الشِّركِ واتِّخاذِ الصَّاحبةِ والولدِ.

(٤) ـ ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ إبليسُ أو مردةُ الجنِّ ﴿عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾: قولًا ذا شَطَطٍ، وهو البعدُ ومُجاوزَةُ الحدِّ، أو هو شططٌ لفَرْطِ ما أُشِطَّ فيه وهو نسبةُ الصَّاحبةِ والولدِ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٦)، و«التيسير» (ص: ٢١٥)، و«النشر» (٢/ ٣٩١ ـ ٣٩٢).

(٢) «بالاستغناء» من نسخة الطبلاوي، وفي باقي النسخ: «بالتعالي».

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٣)، و«المحتسب» (٢/ ٣٣٢)، عن عكرمة.

(٤) ذكرها الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٤٢٣) عن عكرمة.

(٥) ـ ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ اعتذارٌ عَن اتِّباعِهِمْ للسَّفيهِ في ذلك بظنِّهِم(١) أنَّ أحدًا لا يَكذِبُ على اللهِ، و﴿كَذِبًا﴾ نصبٌ على المصدرِ لأنَّه نوعٌ مِن القولِ، أو الوصفِ لِمَحذوفٍ؛ أي: قولًا مكذوبًا فيه، ومَن قرأ: ﴿لن تَقَوَّلَ﴾ كيعقوبَ(٢) جعلَهُ مَصْدرًا؛ لأنَّ التَّقوُّلَ لا يكونُ إلَّا كذبًا.

(٦) ـ ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ فإنَّ الرَّجُلَ كان إذا أمسى بقَفْرٍ قال: أعوذُ بسيِّدِ هذا الوادي مِن شرِّ سُفهاءِ قومِه.

﴿فَزَادُوهُمْ﴾: فزادوا الجنَّ باستعاذَتِهِم بهم ﴿رَهَقًا﴾: كِبْرًا وعُتُوًّا، أو فزادَ الجنُّ الإنسَ غَيًّا بأَنْ أَضلُّوهُمْ حتَّى استعاذوا بهم، والرَّهَقُ في الأصلِ: غِشْيانُ الشَّيءِ(٣).

(٧) ـ ﴿وَأَنَّهُمْ﴾: وأنَّ الإنسَ ﴿ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ أيُّها الجنُّ، أو بالعكسِ.

والآيتانِ مِن كلامِ الجنِّ بعضِهِمْ لبَعضٍ(٤)، أو استئنافُ كلامٍ مِن اللهِ، ومَن فتحَ (أنَّ) فيهما جعلَهُما مِن الموحَى بهِ.

﴿أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ سادٌّ مسدَّ مَفعولَيْ ﴿ظَنُّواْ﴾.

---

(١) في نسخة التفتازاني والطبلاوي: «لظنهم». قال الشهاب: (بظنِّهم) مُتعلِّقٌ بالاعتذارِ؛ لأنَّه المُعتَذَرُ به.

(٢) انظر: «النشر» (٢/ ٣٩٢).

(٣) قولُه: «والرَّهَقُ في الأصلِ غِشيانُ الشَّيءِ» كما في قولِه: ترهَقُ وجوهَهم قَترَةٌ؛ فإنَّ المعنى: يعرِضُ لها ويغشاها، فخُصَّ بما يعرِضُ منَ الكِبرِ والضَّلالِ والعُتُوِّ ونحوِه، ولذا فسَّرَهُ الزَّمخشريُّ بغِشيانِ المحارِمِ، فلا مُخالفةَ فيه لِما ذُكِرَ. قاله الشهاب.

(٤) قولُه: «والآيتانِ» يعني: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ﴾ ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ﴾ من كلامِ الجنِّ، والخطابُ لهم، وإذا كانَ استئنافًا فالخطابُ للإنسِ، وكذا فيما بعدَه، والبعثُ في الآيةِ بعثُ الرُّسلِ، وهو الظَّاهرُ، ويحتملُ بعثَ الموتَى. قاله الشهاب.

(٨) ـ ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾: طلَبْنا بلوغَ السَّماءِ أو خبرَها، واللمسُ مُستعارٌ مِن المسِّ للطَّلَبِ كالجَسِّ، يقال: لمسَهُ والتمسَهُ وتلمَّسَهُ؛ كطَلَبَهُ واطَّلَبَهُ وتَطَلَّبَه.

﴿فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا﴾: حُرَّاسًا، اسمُ جمعٍ كالخَدَمِ.

﴿شَدِيدًا﴾: قويًّا، وهُم الملائكةُ الذين يمنعونَهُم عنها.

﴿وَشُهُبًا﴾: جمعُ شهابٍ وهو المضيءُ المُتولِّدُ مِن النَّارِ.

(٩) ـ ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾: مقاعدَ خاليةً عن الحَرسِ والشُّهبِ، أو صالحةً للتَّرصُّدِ والاستماعِ. و﴿لِلسَّمْعِ﴾ صِلَةٌ لـ﴿نَقْعُدُ﴾، أو صِفَةٌ لـ﴿مَقَـٰعِدَ﴾.

﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾؛ أي: شِهابًا راصِدًا له ولأجلِه يمنعُهُ عَن الاستماعِ بالرَّجمِ، أو: ذوي شهابٍ راصِدينَ، على أنَّه اسمُ جمعٍ للرَّاصدِ، وقد مرَّ بيانُ ذلك في «الصافات».

(١٠) ـ ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بحراسةِ السَّماءِ ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾: خيرًا.

(١١) ـ ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾: المؤمنونَ الأَبرارُ ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: قومٌ دونَ ذلك، فحُذِفَ المَوصوفُ وهم المقتصِدُونَ.

﴿كُنَّا طَرَآئِقَ﴾: ذوي طرائِقَ؛ أي: مَذاهِبَ، أو: مثلَ طرائِقَ في اختلافِ الأَحوالِ، أو: كانت طرائِقُنَا طرائِقَ ﴿قِدَدًا﴾ مُتفرِّقةً مُختلِفَةً جمعُ قِدَّةٍ، مِن قَدَّ: إذا قطعَ.

(١٢) ـ ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾: عَلِمْنا ﴿أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: كائنينَ في الأرضِ أينما كنَّا فيها ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾: هاربينَ مِنْها إلى السَّماءِ.

أو: لن نُعجِزَهُ في الأرضِ إن أرادَ بنا أمرًا ولن نُعجِزَهُ هَرَبًا إن طلَبْنا.

(١٣) ـ ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾؛ أي: القرآنَ ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ﴾ فهو لا يَخافُ.

وقُرِئَ: (فلا يَخَفْ)(١)، والأوَّلُ أدلُّ على تحقيقِ نجاةِ المؤمنينَ واختِصاصِها بهم.

﴿بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾: نقصًا في الجزاءِ، ولا أن تَرهَقَهُ ذلَّةٌ، أو: جزاءَ نقصٍ لأنَّه لم يَبْخَسْ حقًّا ولم يَرْهَقْ ظُلمًا؛ لأنَّ مِن حقِّ الإيمانِ بالقُرآنِ أن يَجتَنِبَ(٢) ذلك.

(١٤) ـ ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾: الجائرونَ عَن طَريقِ الحَقِّ وهو الإيمانُ والطَّاعةُ ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾: تَوَخَّوْا رَشَدًا عظيمًا يبلِّغُهُم إلى دارِ الثَّوابِ.

(١٥) ـ ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ تُوقَدُ بهم كما تُوقَدُ بكفَّارِ الإنسِ.

(١٦ ـ ١٧) ـ ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾؛ أي: أنَّ الشَّأنَ لو استقامَ الجنُّ أو الإنسُ أو كِلاهُما ﴿عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾: على الطَّريقةِ المثلى ﴿لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾: لوسَّعْنا عليهم الرِّزقَ.

وتخصيصُ الماءِ الغدقِ ـ وهو الكثيرُ ـ بالذِّكرِ؛ لأنَّه أصلُ المعاشِ والسَّعةِ، ولعزَّةِ وجودِه بين العربِ.

﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾: لنَخْتَبِرَهُم كيفَ يَشكرُونَه.

وقيل: معناهُ: أنْ لو استقامَ الجنُّ على طَريقَتِهِم القَديمةِ ولم يُسلِمُوا باستماعِ القرآنِ لوَسَّعْنا عليهم الرِّزقَ مُستدرِجينَ لَهُم لنُوْقِعَهُم في الفتنةِ ونُعذِّبَهُم في كفرانِه.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٣) عن يحيى بن وثاب، و«الكشاف» (٩/ ٣١٤) عن الأعمش.

(٢) في نسخة الفاروقي: «بالقرآن تجنُّب»، وفي نسخة عند الخفاجي: «لأنَّ من حقِّ المُؤمِنِ بالقرآنِ أن يجتَنِبَ ذلك».

﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾: عَن عبادَتِه، أو مَوعِظَتِه، أو وَحيِه ﴿يَسْلُكْهُ﴾: يُدخلْهُ، وقرأ غيرُ الكوفيِّينَ بالنُّونِ[1].

﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾: شاقًّا يعلو المعذَّبَ ويغلبهُ، مصدرٌ وُصِفَ به.

(١٨) ـ ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾: مُختصَّةٌ بِهِ ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾: فلا تَعبُدُوا فيهَا غيرَهُ، ومَن جعلَ (أنَّ) مُقدَّرةً باللامِ علةً للنَّهيِ ألغى فائدةَ الفاءِ.

وقيل: المرادُ بـ﴿ٱلْمَسَٰجِدَ﴾: الأرضُ كلُّها؛ لأنَّها جُعلَتْ للنَّبيِّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مَسجِدًا[2].

وفُسِّرت بالمسجِدِ الحرامِ لأنَّه قبلةُ المَساجِدِ، وبمواضِعِ السُّجودِ على أنَّ المُرادَ النَّهيُ عَنِ السُّجودِ لغيرِ اللهِ، وبآرابِه السَّبعةِ، وبالسَّجدات على أنه جمعُ مَسجَدٍ.

(١٩) ـ ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: النبيُّ، وإنَّما ذُكِرَ بلفظِ العبدِ للتَّواضُعِ ـ فإنَّه واقِعٌ مَوقِعَ كلامِه عن نفسِه ـ والإشعارِ بما هو المقتضِي لقيامِهِ.

﴿يَدْعُوهُ﴾: يعبـدُهُ ﴿كَادُواْ﴾: كادَ الجـنُّ ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾: متراكميـنَ مِـن ازدِحَامِهِـم عليـه تَعجُّبًـا ممَّـا رَأَوْا مِـن عبادَتِـه وسَـمِعُوا مِـن قِراءَتِـه.

أو: كادَ الإنسُ والجنُّ يكونونَ عليه مجتمعينَ لإبطالِ أمرِهِ.

وهو جمعُ لِبْدَةٍ: وهيَ ما تلبَّدَ بعضُهُ على بعضٍ كلِبْدَةِ الأسدِ.

وعن ابنِ عامرٍ برواية هشام: ﴿لُبَدا﴾[3] بضمِّ اللامِ جمعُ لُبْدَةٍ وهي لُغَةٌ.

---

(١) سوى يعقوب فقد وافق الكوفيين. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٦)، و«التيسير» (ص: ٢١٥)، و«النشر» (٢/ ٣٩٢).

(٢) وهو قول الحسن، ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٤٤٥).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٦)، و«التيسير» (ص: ٢١٥).

وقُرِئَ: (لُبَّدا) كسُجَّدٍ[1] جمعُ لابِدٍ، و: (لُبُدًا) بضمتين[2] ـ كصُبُرٍ ـ جمعُ لَبُودٍ.

(٢٠) ـ ﴿قال إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ فليسَ ذلك ببِدْعٍ ولا مُنْكَرٍ يُوجِبُ تَعجُّبَكُم أو إطباقَكُم على مَقْتِي.

وقرأ عاصِمٌ وحمزَةُ: ﴿قل﴾[3] على الأمرِ للنَّبيِّ ليُوافِقَ ما بعدَهُ.

(٢١) ـ ﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا﴾: ولا نَفْعًا، أو: غَيًّا ولا رَشَدًا، عبَّرَ عن أَحدِهِما باسمِهِ وعن الآخرِ باسمِ سَبَبِه أو مُسبَّبِه إشعارًا بالمَعْنَيَيْنِ.

(٢٢) ـ ﴿قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ﴾ إِنْ أرادَ بي سوءًا ﴿وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا﴾: مُنحَرَفًا ومُلْتَجأً.

(٢٣) ـ ﴿إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ استثناءٌ مِن قَولِه: ﴿لَآ أَمۡلِكُ﴾ فإنَّ التَّبليغَ إرشادٌ وإنفاعٌ، وما بينَهُمَا اعتراضٌ مُؤكِّدٌ لنَفْيِ الاستِطاعَةِ، أو مِن ﴿مُلۡتَحَدًا﴾، أو معناهُ: إنْ لا أبلِّغْ بلاغًا، وما قبلَه دليلُ الجوابِ.

﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ عطفٌ على ﴿بَلَٰغٗا﴾ و﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ صِفَتُه فإنَّ صِلَتَهُ (عَن)[4]، كقوله: «بَلِّغُوا عنِّي ولو آيةً»[5].

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٣) عن الجحدري، و«المحتسب» (٢/ ٣٣٤) عنه وعن الحسن بخلاف.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٣) عن مجاهد، و«المحتسب» (٢/ ٣٣٤) عن الجحدري.

(٣) انظر: «السبعة» (٦٥٧)، و«التيسير» (ص: ٢١٥).

(٤) أي: صفةُ ﴿بَلَٰغٗا﴾ لا صلتُه «فإن صلتَه»؛ أي: صلة البلاغ؛ وهو حرف الجر المستعمل مع فعل البلاغ «عن» لا (من).

(٥) رواه البخاري (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في الأمرِ بالتَّوحيدِ إذ الكلامُ فيه ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ وقُرِئَ: (فأنَّ)[1] على: فجزاؤه أنَّ.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ جمعَه للمَعنى.

(٢٤) - ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ في الدُّنيا كوقعةِ بدرٍ، أو في الآخرةِ، والغايةُ لقولِه: ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ بالمعنى الثَّاني، أو لِمَحذوفٍ دلَّ عليه الحالُ مِن استضعافِ الكُفَّارِ له وعصيانِهِم له.

﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ هو أو هُم.

(٢٥) - ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ﴾: ما أدري ﴿أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا﴾: غايةً تطولُ مُدَّتُها؛ كأنَّه لَمَّا سمعَ المُشركونَ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ قالوا: متى يكونُ؟ إنكارًا، فقيل: قل: إنَّه كائنٌ لا محالةَ ولكِنْ لا أدري وقتَه.

(٢٦ - ٢٧) - ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ هو عالمُ الغيبِ ﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾: فلا يُطْلِعُ ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾؛ أي: على الغيبِ المَخصوصِ بهِ علمُه ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ لعِلْمِ بَعضِهِ حتَّى يكونَ لهُ مُعجزةً ﴿مِن رَّسُولٍ﴾ بيانٌ لـ﴿مَنِ﴾.

واستُدلَّ به على إبطالِ الكراماتِ.

وجوابُه: تخصيصُ الرَّسُولِ بالملَكِ، والإظهارِ بما يكونُ بغيرِ وسطٍ، وكراماتُ الأولِيَاءِ على المُغيَّباتِ إنَّما تكونُ تَلقِّيًا عن الملائكةِ كاطِّلاعِنا على أحوالِ الآخرةِ بتوسُّطِ الأنبياءِ.

﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾: مِن بين يَدَي المُرتَضَى ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾: حرسًا مِن الملائكةِ يَحرسُونَه مِن اختطافِ الشَّياطينِ وتَخاليطِهِم.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٣) عن طلحة وهو ابن مصرف.

(٢٨) ـ ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟﴾؛ أي: ليعلمَ النَّبيُّ الموحَى إليهِ أَنْ قد أبلغَ جبرئيلُ والملائكةُ النَّازلونَ بالوَحيِ.

أو: ليعلمَ اللهُ تَعالى أنْ أبلغَ الأنبياءُ، بمعنى: ليتعلَّقَ علمُه بهِ مَوْجُودًا.

﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ كما هي محروسةً مِن التَّغييرِ ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾: بما عندَ الرُّسُلِ ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ حتَّى القطرَ والرَّملَ.

عن النبيِّ عليهِ السَّلامُ: «مَن قرأ سورةَ الجنِّ كانَ له بعددِ كلِّ جنيٍّ صدَّقَ محمَّدًا أو كذَّبَ بهِ عتقُ رقبةٍ»[1].

***

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٤١٦)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٦١)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٧٢) سورة الجن مكية
وآياتها ثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ
بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾
وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ
فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ، أن يخبر قومه أن الجن استمعوا القرآن، فآمنوا به وصدقوه وانقادوا له فقال تعالى: ﴿قل أوحي إليَّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً * يهدي إلى الرشد﴾ أي إلى السداد والنجاح ﴿فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً﴾ كقوله تعالى: ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن﴾، وقوله تعالى: ﴿وأنه تعالى جد ربنا﴾ قال ابن عباس ﴿جد ربنا﴾ آلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه، وقال مجاهد: جلال ربنا، وقال قتادة: تعالى جلاله وعظمته وأمره، وقال السدي: تعالى أمر ربنا، وقال سعيد بن جبير: ﴿تعالى جد ربنا﴾ أي تعالى ربنا، وقوله تعالى: ﴿ما اتخذ صاحبة ولا ولداً﴾ أي تعالى عن اتخاذ الصاحبة والأولاد، أي قالت الجن: تنزه الرب جلَّ جلاله عن اتخاذ الصاحبة والولد، ثم قالوا: ﴿وإنه كان يقول سفيهنا على الله شططاً﴾، قال مجاهد ﴿سفيهنا﴾ يعنون إبليس، ﴿شططاً﴾ أي جوراً، وقال ابن زيد: أي ظلماً كبيراً، ويحتمل أن يكون المراد بقولهم: سفيهنا اسم جنس لكل من زعم أن لله صاحبة أو ولداً، ولهذا قالوا: ﴿وإنه كان يقول سفيهنا﴾ أي قبل إسلامه، ﴿على الله شططاً﴾ أي باطلاً وزوراً، ولهذا قالوا: ﴿وإنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذباً﴾ أي ما حسبنا أن الإنس والجن، يتمالأون على الكذب على الله تعالى، في نسبة الصاحبة والولد إليه، فلما سمعنا هذا القرآن وآمنا به علمنا أنهم كانوا يكذبون على الله في ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً﴾، كانت عادة العرب في جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان، أن يصيبهم بشيء يسوؤهم، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون

بهم من خوفهم منهم ﴿ زادوهم رهقاً ﴾ أي خوفاً وإرهاباً وذعراً، حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذاً بهم، كما قال قتادة ﴿ فزادوهم رهقاً ﴾ أي إثماً، وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة، وقال الثوري ﴿ فزادوهم رهقاً ﴾ أي ازدادت الجن عليهم جرأة، وقال السدي: كان الرجل يخرج بأهله فيأتي الأرض فينزلها فيقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن أن أضر أنا فيه ومالي أو ولدي أو ماشيتي، قال قتادة: فإذا عاذ بهم من دون الله رهقتهم الجن الأذى عند ذلك، وعن عكرمة قال: كان الجن يفرقون من الإنس كما يفرق الإنس منهم أو أشد، فكان الإنس إذا نزلوا وادياً هرب الجن، فيقول سيد القوم: نعوذ بسيد أهل هذا الوادي، فقال الجن: نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم، فدنوا من الإنس، فأصابوهم بالخبل والجنون، فذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً ﴾ أي إثماً[1]، وقال أبو العالية ﴿ رهقاً ﴾ أي خوفاً، وقال ابن عباس: أي إثماً، وقال مجاهد: زاد الكفار طغياناً. روى ابن أبي حاتم، عن كردم بن أبي السائب الأنصاري قال: خرجت مع أبي من المدينة في حاجة، وذلك أول ما ذكر رسول الله ﷺ بمكة، فآوانا المبيت إلى راعي غنم، فلما انتهى صف الليل جاء ذئب، فأخذ حملاً من الغنم، فوثب الراعي، فقال: يا عامر الوادي جارك فنادى مناد لا نراه، يقول: يا سرحان أرسله، فأتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم لم تصبه كدمة، وأنزل الله تعالى على رسوله بمكة: ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿ وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً ﴾ أي لن يبعث الله بعد هذه المدة رسولاً.

وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾

يخبر تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله محمداً ﷺ وأنزل عليه القرآن، وكان من حفظه له أن السماء ملئت حرساً شديداً، وحفظت من سائر أرجائها، وطردت الشياطين عن مقاعدها لئلا يسترقون شيئاً من القرآن، وهذا من لطف الله تعالى بخلقه، ورحمته بعباده، وحفظه لكتابه العزيز، ولهذا قال الجن: ﴿ وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً ، وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً ﴾ أي من يروم أن يسترق السمع اليوم، يجد له شهاباً مرصداً له، لا يتخطاه ولا يتعداه بل يمحقه ويهلكه، ﴿ وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً ﴾ أي ما ندري هذا الأمر الذي قد حدث في السماء، لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً، وهذا من أدبهم في العبارة حيث أسندوا الشر إلى غير فاعل، والخير أضافوه إلى الله عزَّ وجلَّ، وقد ورد في الصحيح: «والشر ليس إليك» وقد كانت الكواكب يرمى بها قبل ذلك، وهذا هو السبب الذي حملهم على تطلب السبب في ذلك، فأخذوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فوجدوا رسول الله ﷺ يقرأ بأصحابه في الصلاة، فعرفوا أن هذا هو الذي حفظت من أجله السماء، فآمن من آمن منهم،

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم عن عكرمة.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم.

وتمرد في طغيانه من بني، كما تقدم حديث ابن عباس عند قوله في سورة الأحقاف: ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن﴾ الآية. ولا شك أنه لما حدث هذا الأمر، وهو كثرة الشهب في السماء والرمي بها، هال ذلك الإنس والجن وانزعجوا له، وظنوا أن ذلك لخراب العالم، فأتوا إبليس فحدَّثوه بالذي كان من أمرهم فقال: ائتوني من كل أرض بقبضة من تراب أشمها، فأتوه، فشم فقال: صاحبكم بمكة فبعث سبعة نفر من جن نصيبين فقدموا فوجدوا نبي الله ﷺ قائماً يصلي في المسجد الحرام، يقرأ القرآن، فدنوا منه حرصاً على القرآن حتى كادت كلاكلهم تصيبه، ثم أسلموا فأنزل الله تعالى على رسوله ﷺ[1]

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾

يقول تعالى مخبراً عن الجن ﴿وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك﴾ أي غير ذلك، ﴿كنا طرائق قدداً﴾ أي طرائق متعددة مختلفة وآراء متفرقة، قال ابن عباس ومجاهد ﴿كنا طرائق قدداً﴾ أي منا المؤمن ومنا الكافر، وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة العباس بن أحمد الدمشقي قال، سمعت بعض الجن وأنا في منزل لي بالليل ينشد:

قلوب براها الحب حتى تعلقت ... مذاهبها في كل غرب وشارق

تهيم بحب الله والله ربها ... معلقة بالله دون الخلائق

وقوله تعالى: ﴿وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هرباً﴾ أي نعلم أن قدرة الله حاكمة علينا، وأنا لا نعجزه ولو أمعنا في الهرب، فإنه علينا قادر لا يعجزه أحد منا: ﴿وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به﴾ يفتخرون بذلك وهو مفخر لهم وشرف رفيع، وصفة حسنة، وقولهم: ﴿فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً﴾ قال ابن عباس وقتادة: فلا يخاف أن ينقص من حسناته أو يحمل عليه غير سيئاته، كما قال تعالى: ﴿فلا يخاف ظلماً ولا هضماً﴾، ﴿وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون﴾ أي منا المسلم ومنا القاسط، وهو الجائر عن الحق الناكب عنه بخلاف المقسط، فإنه العادل، ﴿فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً﴾ أي طلبوا لأنفسهم النجاة، ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً﴾ أي وقوداً تسعر بهم، ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقاً * لنفتنهم فيه﴾ اختلف المفسرون في معنى هذا على قولين: (**أحدهما**): وأن لو استقام القاسطون على طريقة الإسلام، واستمروا عليها ﴿لأسقيناهم ماء غدقاً﴾ أي كثيراً، والمراد بذلك سعة الرزق كقوله تعالى: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات

(١) هذه بعض رواية ذكرها السدي.

من السماء والأرض﴾، وعلى هذا يكون معنى قوله: ﴿لنفتنهم فيه﴾ أي لنختبرهم من يستمر على الهداية ممن يرتد إلى الغواية. قال ابن عباس: ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة﴾ يعني بالاستقامة الطاعة، وقال مجاهد: يعني الإسلام[1]. وقال قتادة: ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة﴾ يقول: لو آمنوا كلهم لأوسعنا عليهم من الدنيا. قال مقاتل: نزلت في كفار قريش حين منعوا المطر سبع سنين، (**والقول الثاني**): ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة﴾ الضلال ﴿لأسقيناهم ماء غدقاً﴾ أي لأوسعنا عليهم الرزق استدراجاً، كما قال تعالى: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾ وهذا قول أبي مجلز، وحكاه البغوي عن الربيع، وزيد بن أسلم، والكلبي، وله اتجاه ويتأيد بقوله ﴿لنفتنهم فيه﴾، وقوله: ﴿ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعداً﴾ أي عذاباً مشقاً موجعاً مؤلماً، قال ابن عباس ومجاهد ﴿عذاباً صعداً﴾ أي مشقة لا راحة معها، وعن ابن عباس: جبل في جهنم.

وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾ قال: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله، فأمر الله نبيّه ﷺ أن يوحّده وحده، وقال ابن عباس: لم يكن يوم نزلت هذه الآية في الأرض مسجد إلا المسجد الحرام، ومسجد إيليا بيت المقدس[2]، وروى ابن جرير، عن سعيد بن جبير قال، قالت الجن لنبي الله ﷺ: كيف لنا أن نأتي المسجد ونحن ناؤون؟ أي بعيدون عنك، وكيف نشهد الصلاة ونحن ناؤون عنك؟ فنزلت: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾[3]. وقال عكرمة: نزلت في المساجد كلها، وقوله تعالى: ﴿وأنه لما قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً﴾ قال ابن عباس يقول: لما سمعوا النبي ﷺ يتلو القرآن، كادوا يركبونه من الحرص لمّا سمعوه يتلو القرآن، ودنوا منه فلم يعلم بهم حتى أتاه الرسول فجعل يقرئه: ﴿قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن﴾ يستمعون القرآن، وقال الحسن: لما قام رسول الله ﷺ يقول: لا إله إلا الله ويدعو الناس إلى ربهم كادت العرب تلبد عليه جميعاً، وقال قتادة: تلبّدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفئوه، فأبى الله إلا أن ينصره ويمضيه ويظهره على من ناوأه[4]، وهو الأظهر لقوله بعده: ﴿قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً﴾ أي قال لهم الرسول لما آذوه وخالفوه وكذبوه، وتظاهروا عليه ليبطلوا ما جاء به

---

(١) وكذا قال سعيد بن جبير وعطاء والسدي وابن المسيب ومحمد بن كعب القرظي.

(٢) رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٣) أخرجه ابن جرير.

(٤) هذا القول مروي عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير، وهو اختيار ابن جرير.

من الحق واجتمعوا على عداوته ﴿إنما أدعوا ربي﴾ أي إنما أعبد ربي وحده لا شريك له وأستجير به وأتوكل عليه ﴿ولا أشرك به أحداً﴾ .

وقوله تعالى : ﴿قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً﴾ أي إنما أنا عبد من عباد الله، ليس إليّ من الأمر شيء في هدايتكم ولا غوايتكم، بل المرجع في ذلك كله إلى الله عزّ وجلّ، ثم أخبر عن نفسه أيضاً أنه لا يجيره من الله أحد، أي لو عصيته، فإنه لا يقدر أحد على إنقاذي من عذابه ﴿ولن أجد من دونه ملتحداً﴾ قال مجاهد: لا ملجأ، وقال قتادة: أي لا نصير ولا ملجأ، وفي رواية: لا ولي ولا موئل، وقوله تعالى: ﴿إلا بلاغاً من الله ورسالاته﴾ مستثنى من قوله: ﴿قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً إلا بلاغاً﴾ ويحتمل أن يكون استثناء من قوله: ﴿لن يجيرني من الله أحد﴾ أي لا يجيرني منه ويخلصني إلا إبلاغي الرسالة التي أوجب أداءها عليّ، كما قال تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾، وقوله تعالى: ﴿ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً﴾ أي أنا رسول الله أبلغكم رسالة الله فمن يعص بعد ذلك فله جزاء ﴿نار جهنم خالدين فيها أبداً﴾ أي لا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها، وقوله تعالى: ﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً﴾ أي حتى إذا رأى هؤلاء المشركون ما يوعدون يوم القيامة، فسيعلمون يومئذ ﴿من أضعف ناصراً وأقل عدداً﴾ هم أم المؤمنون الموحدون لله تعالى؛ أي بل المشركين لا ناصر لهم بالكلية، وهم أقل عدداً من جنود الله عزّ وجلّ .

قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ أن يقول للناس : إنه لا علم له بوقت الساعة، ولا يدري أقريب وقتها أم بعيد ﴿قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمداً﴾ أي مدة طويلة، ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً * إلا من ارتضى من رسول﴾ هذه كقوله تعالى: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ وهذا يعم الرسول الملكي والبشري، ثم قال تعالى: ﴿فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً﴾ أي يخصه بمزيد معقبات من الملائكة يحفظونه من أمر الله، ويساوقونه على ما معه من وحي الله، ولهذا قال: ﴿ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً﴾ ، وقد اختلف المفسرون في الضمير في قوله ﴿ليعلم﴾ إلى من يعود ؟ فقيل: إنه عائد إلى النبي ﷺ، روى ابن جرير ، عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً﴾ قال: أربعة حفظة من الملائكة مع جبريل ﴿ليعلم﴾ محمد ﷺ ﴿أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً﴾[1] ، وقال قتادة: ﴿ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم﴾ قال: ليعلم نبي الله أن الرسل قد

---

(١) حكاه ابن جرير وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير .

بلغت عن الله، وأن الملائكة حفظتها ودفعت عنها[١]، وقيل المراد: ليعلم أهل الشرك أن قد أبلغوا رسالات ربهم، قال مجاهد: ليعلم من كذب الرسل أن قد أبلغوا رسالات ربهم، وفي هذا نظر، ويحتمل أن يكون الضمير عائداً إلى الله عزَّ وجلَّ[٢]، ويكون المعنى في ذلك أنه يحفظ رسله بملائكته ليتمكنوا من أداء رسالاته، ويحفظ ما ينزله إليهم من الوحي ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم، ويكون ذلك كقوله تعالى: ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾، وكقوله تعالى: ﴿وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين﴾ إلى أمثال ذلك، مع العلم بأنه تعالى يعلم الأشياء قبل كونها قطعاً لا محالة، ولهذا قال بعد ذلك: ﴿وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً﴾.

[آخر تفسير سورة الجن، ولله الحمد والمنة]

* * *

(١) رواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة، واختاره ابن جرير.

(٢) حكاه ابن الجوزي في (زاد المسير).

تفسير سورة الجن

وهى مكية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧) ﴾ .

يقول تعالى آمرا رسوله ﷺ أن يخبر قومه : أن الجن استمعوا القرآن فآمنوا به وصدقوه وانقادوا له ، فقال تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ﴾ أى : إلى السداد والنجاح ، ﴿ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ . وهذا المقام شبيه بقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ﴾ [الأحقاف:٢٩] . وقد قدمنا الأحاديث الواردة فى ذلك بما أغنى عن إعادتها هاهنا .

وقوله : ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ﴾ : قال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ أى : فعلُه وأمره وقدرته .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : جد الله : آلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه .

وروى عن مجاهد وعكرمة : جلال ربنا . وقال قتادة : تعالى جلاله وعظمته وأمره . وقال السدى : تعالى أمر ربنا . وعن أبى الدرداء ، ومجاهد أيضا وابن جريج : تعالى ذكره . وقال سعيد ابن جبير : ﴿ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ﴾ أى : تعالى ربنا .

فأما ما رواه ابن أبى حاتم : حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ (١) ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : الجد: أب. ولو علمت الجن أن فى الإنس جدا ما قالوا : تعالى جَدَ ربنا .

فهذا إسناد جيد ، ولكن لست أفهم ما معنى هذا الكلام ؛ ولعله قد سقط شىء ، والله أعلم.

وقوله : ﴿ مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ أى : تعالى عن اتخاذ الصاحبة والأولاد ، أى : قالت

---

(١) فى م : « عبد الله بن سويد الكوفى » .

الجن : تنزه الرب تعالى جلاله وعظمته ، حين أسلموا وآمنوا بالقرآن ، عن اتخاذ الصاحبة والولد .

ثم قالوا : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴾، قال مجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، والسُّدِّى: ﴿ سَفِيهُنَا ﴾ يعنون : إبليس، ﴿ شَطَطًا ﴾، قال السُّدِّى ، عن أبى مالك : ﴿ شَطَطًا ﴾ أى : جورا . وقال ابن زيد : ظلما كبيرا .

ويحتمل أن يكون المراد بقولهم : ﴿ سَفِيهُنَا ﴾ : اسم جنس لكل من زعم أن لله صاحبة أو ولدا. ولهذا قالوا : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا ﴾ أى : قبل إسلامه ﴿ عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴾ أى: باطلا وزورا ؛ ولهذا قالوا : ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ أى :ما حسبنا أن الإنس والجن يتمالئون على الكذب على الله فى نسبة الصاحبة والولد إليه . فلما سمعنا هذا القرآن وآمنا به، علمنا أنهم كانوا يكذبون على الله فى ذلك .

وقوله : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ أى : كنا نرى أن لنا فضلا على الإنس ؛ لأنهم كانوا يعوذون بنا ، أى : إذا نزلوا واديا أو مكانا موحشا من البرارى وغيرها كما كان عادة العرب فى جاهليتها . يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان ، أن يصيبهم بشيء يسوؤهم كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه فى جوار رجل كبير وذمامه وخفارته ، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون (١) بهم من خوفهم منهم ،﴿ زَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ أى : خوفا وإرهابا وذعرا ، حتى تبقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذا بهم ، كما قال قتادة : ﴿ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ أى : إثما ، وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة .

وقال الثورى ، عن منصور عن إبراهيم : ﴿ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ أى : ازدادت الجن عليهم جراءة .

وقال السدى : كان الرجل يخرج بأهله فيأتى الأرض فينزلها فيقول : أعوذ بسيد هذا الوادى من الجن أن أضَرَّ أنا فيه أو مالى أو ولدى أو ماشيتى ، قال : فإذا عاذ بهم من دون الله ، رَهقَتهم الجن الأذى عند ذلك .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد القطان ،حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبى، حدثنا الزبير بن الخرِّيت ، عن عِكْرِمة قال : كان الجن يَفْرَقُون من الإنس كما يفَرق الإنس منهم أو أشد ، وكان الإنس إذا نزلوا واديا هرب الجن ، فيقول سيد القوم : نعوذ بسيد أهل هذا الوادى . فقال الجن : نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم . فدنوا من الإنس فأصابوهم بالخَبَل والجنون ، فذلك قول الله : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ .

وقال أبو العالية ، والربيع ، وزيد بن أسلم : ﴿ رَهَقًا ﴾ أى : خوفا . وقال العوفى ، عن ابن عباس : ﴿ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ أى : إثما . وكذا قال قتادة . وقال مجاهد : زاد الكفار طغيانا .

(١) فى م : « سيعوذون » .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا فروة بن أبى المغراء الكندى ، حدثنا القاسم بن مالك ـ يعنى المزنى ـ عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن أبيه ، عن كَردم بن أبى السائب الأنصارى قال : خرجت مع أبى من المدينة فى حاجة ، وذلك أول ما ذكر رسول الله ﷺ بمكة ، فآوانا المبيت إلى راعى غنم . فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حَمَلا من الغنم ، فوثب الراعى فقال : يا عامر الوادى ، جارك . فنادى مناد لا نراه ، يقول : يا سِرْحان ، أرسله . فأتى الحملَ يشتد حتى دخل فى الغنم لم تصبه كدمة . وأنزل الله تعالى على رسوله بمكة : ﴿ **وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا** ﴾ .

ثم قال : ورُوى عن عبيد بن عمير ، ومجاهد ، وأبى العالية ، والحسن ، وسعيد بن جبير ، وإبراهيم النَّخَعى ، نحوه .

وقد يكون هذا الذئب الذى أخذ الحمل ـ وهو ولد الشاة ـ كان جنّيا حتى يُرهب الإنسى ويخاف منه ، ثم ردَّه عليه لما استجار به ، ليضله ويهينه ، ويخرجه عن دينه ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا** ﴾ أى : لن يبعث الله بعد هذه المدة رسولا. قاله الكلبى ، وابن جرير .

﴿ **وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا (٩) وَأَنَّا لا نَدْرِى أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠)** ﴾ .

يخبر تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله محمداً ﷺ وأنزل عليه القرآن ، وكان من حفظه له أن السماء مُلئَت حرسا شديداً ، وحفظت من سائر أرجائها ، وطردت الشياطين عن مقاعدها التى كانت تقعد فيها قبل ذلك ؛ لئلا يسرقوا شيئا من القرآن . فيلقوه على ألسنة الكهنة ، فيلتبس الأمر ويختلط ولا يدرى من الصادق . وهذا (١) من لطف الله بخلقه(٢) ، ورحمته بعباده ، وحفظه لكتابه العزيز ، ولهذا قالت الجن : ﴿ **وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا . وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا** ﴾ أى : من يروم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهابا مرصدا له ، لا يتخطاه ولا يتعداه ، بل يمحقه ويهلكه ، ﴿ **وَأَنَّا لا نَدْرِى أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا** ﴾ أى : ما ندرى هذا الأمر الذى قد حدث فى السماء ، لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض ، أم أراد بهم ربهم رشدا ؟ وهذا من أدبهم فى العبارة حيث أسندوا الشر إلى غير فاعل ، والخير أضافوه إلى الله عز وجل . وقد ورد فى الصحيح : « والشر ليس إليك » . وقد كانت الكواكب يُرمَى بها قبل ذلك ، ولكن ليس بكثير بل فى الأحيان بعد الأحيان ، كما فى حديث ابن عباس (٣) : بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذا رمى بنجم فاستنار ،فقال : « ما كنتم تقولون

(١) فى م : « فكان هذا » . (٢) فى م : « عليه » . (٣) فى م : « كما فى حديث العباس » .

فى هذا ؟ » فقلنا : كنا نقول : يولد عظيم ، يموت عظيم . فقال : « ليس كذلك ، ولكن الله إذا قضى الأمر فى السماء » ،وذكر تمام الحديث ، وقد أوردناه فى سورة « سبأ » بتمامه (١). وهذا هو السبب الذى حَمَلهم على تطلب السبب فى ذلك ، فأخذوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فوجدوا رسول الله ﷺ يقرأ بأصحابه فى الصلاة ، فعرفوا أن هذا هو الذى حُفظت من أجله السماء، فآمن من آمن منهم ، وتمرد فى طغيانه من بقى ، كما تقدم حديث ابن عباس فى ذلك، عند قوله فى سورة «الأحقاف » : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ الآية[الأحقاف:٢٩] . ولا شك أنه لما حدث هذا الأمر ،وهو كثرة الشهب فى السماء والرمى بها ، هال ذلك الإنس والجن وانزعجوا له وارتاعوا لذلك ، وظنوا أن ذلك لخراب العالم ــ كما قال السدى: لم تكن السماء تحرس إلا أن يكون فى الأرض نبى أو دين لله ظاهر ، وكانت الشياطين قبل محمد ﷺ قد اتخذت المقاعد فى السماء الدنيا ، يستمعون ما يحدث فى السماء من أمر . فلما بعث الله محمداً نبيا ، رُجموا ليلة من الليالى ، ففزع لذلك أهل الطائف ، فقالوا : هلك أهل السماء ، لما رأوا من شدة النار فى السماء واختلاف الشهب . فجعلوا يعتقون أرقاءهم ويُسَيِّبون مواشيهم ، فقال لهم عبد ياليل بن عمرو ابن عمير : ويحكم يا معشر أهل الطائف . أمسكوا عن أموالكم ، وانظروا إلى معالم النجوم ،فإن رأيتموها مستقرة فى أمكنتها فلم يهلك أهل السماء ، إنما هذا من أجل ابن أبى كبشة ــ يعنى: محمداً ﷺ ــ وإن أنتم لم تروها فقد هلك أهل السماء . فنظروا فرأوها ، فكفوا عن أموالهم . وفزعت الشياطين فى تلك الليلة ، فأتوا إبليس فحدثوه بالذى كان من أمرهم ، فقال : ائتونى من كل أرض بقبضة من تراب أشمها. فأتوه فَشَم فقال : صاحبكم بمكة .فبعث سبعة نفر من جن نصيبين ، فقدموا مكة فوجدوا رسول الله (٢) ﷺ قائما يصلى فى المسجد الحرام يقرأ القرآن، فدنوا منه حرصا على القرآن حتى كادت كَلاكِلُهم تصيبه ، ثم أسلموا . فأنزل الله تعالى أمرهم على نبيه ﷺ ،وقد ذكرنا هذا الفصل مستقصى فى أول البعث من (كتاب السيرة) المطول ، والله أعلم ، ولله الحمد والمنة .

﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (١١) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا (١٢) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (١٣) وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥) وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا (١٦) لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧) ﴾ .

يقول مخبرا عن الجن : إنهم قالوا مخبرين عن أنفسهم : ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ ﴾ أى : غير ذلك، ﴿ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴾ أى : طرائق متعددة مختلفة وآراء متفرقة .

(١) عند تفسير الآية :٢٣ .
(٢) فى م : « نبى الله » .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد : ﴿ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴾ أى : منا المؤمن ،ومنا الكافر .

وقال أحمد بن سليمان النَّجاد فى أماليه ، حدثنا أسلم بن سَهل بَحْشَلُ ، حدثنا على بن الحسن ابن سليمان ــ وهو أبو الشعثاء الحضرمى ، شيخ مسلم ــ حدثنا أبو معاوية (١) قال : سمعتُ الأعمش يقول : تروح إلينا جنى ، فقلت له : ما أحب الطعام إليكم ؟ فقال الأرز . قال : فأتيناهم به ، فجعلت أرى اللقم ترفع ولا أرى أحدا .فقلت : فيكم من هذه الأهواء التى فينا ؟ قال : نعم. قلت : فما الرافضة فيكم (٢) ؟ قال (٣) : شرنا .عرضت هذا الإسناد على شيخنا الحافظ أبى الحجاج المِزِّى فقال : هذا إسناد صحيح إلى الأعمش .

وذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمة العباس بن أحمد الدمشقى قال(٤) : سمعتُ بعض الجنّ وأنا فى منزلى بالليل ينشد :

قُلوبٌ بَرَاها الحبّ حتى تعلَّقت ... مَذَاهبُها فى كُلّ غَرب وشَارِقِ
تَهيم بحب الله ، واللهُ ربُّها ... مُعلَّقَةٌ بالله دُونَ الخَلائقِ (٥)

وقوله : ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴾ أى : نعلم أن قدرة الله حاكمة علينا، وأنا لا نعجزه فى الأرض ،ولو أمعنا فى الهرب، فإنه علينا قادر (٦) ، لا يعجزه أحد منا .

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ﴾: يفتخرون بذلك ،وهو مفخر (٧)لهم،وشرف رفيع،وصفة حسنة.

وقولهم : ﴿ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا ﴾ ، قال ابن عباس ، وقتادة ، وغيرهما : فلا يخاف أن يُنقص من حسناته أو يحمل عليه غير سيئاته ، كما قال تعالى : ﴿ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا ﴾ [طه:١١٢] .

﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ﴾ أى : منا المسلم ومنا القاسط ، وهو : الجائر عن الحق الناكب عنه ، بخلاف المقسط فإنه العادل ، ﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴾ أى : طلبوا لأنفسهم النجاة ، ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ أى : وقوداً تُسعر بهم .

وقوله : ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا . لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ ، اختلف المفسرون فى معنى هذا على قولين :

أحدهما : وأن لو استقام القاسطون على طريقة الإسلام وعدلوا إليها واستمروا عليها ، ﴿لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾ أى : كثيراً . والمراد بذلك سَعَة الرزق ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ [المائدة:٦٦] ، وكقوله :

---

(١) فى أ : « أبو عوانة » . (٢) فى أ :« منكم » . (٣) فى م :« قالوا » .

(٤) فى م : « أنه قال » .

(٥) تاريخ دمشق (٨/ ٨٨٧ « المخطوط ») .

(٦) فى م :« فإنه قادر علينا » . (٧) فى أ : « وهو مفتخر » .

﴿ ولَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا واتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ [الأعراف:٩٦] . وعلى هذا يكون معنى قوله: ﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ أى : لنختبرهم ، كما قال مالك ، عن زيد بن أسلم: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ﴾: لنبتليهم ، من يستمر على الهداية ممن يرتد إلى الغواية ؟ .

ذكر من قال بهذا القول : قال العوفى ، عن ابن عباس : ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ ﴾ يعنى بالاستقامة : الطاعة . وقال مجاهد : ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ ﴾ قال : الإسلام . وكذا قال سعيد بن جبير ، وسعيد بن المسيب ، وعطاء ، والسدى ، ومحمد بن كعب القرظى .

وقال قتادة : ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ ﴾ يقول : لو آمنوا كلهم لأوسعنا عليهم من الدنيا .

وقال مجاهد : ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ ﴾ أى : طريقة الحق . وكذا قال الضحاك ، واستشهد على ذلك بالآيتين اللتين ذكرناهما ، وكل هؤلاء أو أكثرهم قالوا فى قوله : ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أى : لنبتليهم به .

وقال مقاتل : فنزلت فى كفار قريش حين مُنعوا المطر سبع سنين .

والقول الثانى : ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ ﴾ : الضلالة ﴿لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾ أى : لأوسعنا عليهم فى الرزق استدراجا ، كما قال : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤] ، وكقوله : ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ . نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون:٥٥ ، ٥٦] ،وهذا قول أبى مجلز لاحق بن حُمَيد؛ فإنه فى قوله : ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ ﴾ أى : طريقة الضلالة . رواه ابن جرير ، وابن أبى حاتم ، وحكاه البغوى عن الربيع بن أنس ، وزيد بن أسلم ، والكلبى ، وابن كيسان . وله اتجاه ،ويتأيد بقوله : ﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ .

وقوله : ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ نَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ أى : عذاباً شاقاً شديداً موجعاً مؤلما .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، وابن زيد : ﴿ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ أى : مشقة لا راحة معها .

وعن ابن عباس : جبل فى جهنم . وعن سعيد بن جبير : بئر فيها .

﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠) قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (٢٣) حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا

يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾ .

يقول تعالى آمراً عباده أن يُوَحِّدوه فى مجال عبادته ، ولا يُدْعى معه أحد ولا يشرك به [١] ، كما قال قتادة فى قوله : ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾ . قال : كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبِيَعِهِم ، أشركوا بالله ، فأمر الله نبيه ﷺ أن يوحدوه وحده .

وقال ابن أبى حاتم : ذكر على بن الحسين : حدثنا إسماعيل ابن بنت السدى ، أخبرنا رجل سماه ، عن السدى ، عن أبى مالك ـ أو أبى صالح ـ عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾ قال : لم يكن يوم نزلت هذه الآية فى الأرض مسجد إلا المسجد الحرام ، ومسجد إيليا : بيت المقدس .

وقال الأعمش : قالت الجن : يا رسول الله ، ائذن لنا نشهد معك الصلوات فى مسجدك . فأنزل الله : ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾ يقول : صلوا ، لا تخالطوا الناس .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مِهْران ، حدثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أبى خالد، عن محمود ، عن سعيد بن جبير ، : ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ** ﴾ قال : قالت الجن لنبى الله [٢] ﷺ : كيف لنا أن نأتى المسجد ونحن ناؤون [عنك] [٣] ؟ ، وكيف نشهد الصلاة نحن ناؤون عنك ؟ فنزلت: ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾ [٤] .

وقال سفيان ، عن خُصَيْف ، عن عكرمة : نزلت فى المساجد كلها .

وقال سعيد بن جبير . نزلت فى أعضاء السجود ، أى : هى لله فلا تسجدوا بها لغيره . وذكروا عند هذا القول الحديث الصحيح ، من رواية عبد الله بن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ :« أمرت أن أسجد على سبعة أعظم: على الجبهة ـ أشار [٥] بيديه إلى أنفه ـ واليدين والركبتين وأطراف القدمين » [٦] .

وقوله : ﴿ **وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا** ﴾ ، قال العَوفى ، عن ابن عباس يقول : لما سمعوا النبى ﷺ يتلو القرآن كادوا يركبونه ؛ من الحرص ، لما سمعوه يتلو القرآن ، ودنوا منه فلم يعلم بهم حتى أتاه الرسول فجعل يقرئه : ﴿ **قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ** ﴾ ، يستمعون القرآن .

هذا قول ، وهو مروى عن الزبير بن العوام ، رضى الله عنه .

وقال ابن جرير : حدثنى محمد بن مَعْمَر ، حدثنا أبو مسلم ، عن أبى عَوَانة ، عن أبى بشر ،

---

(١) فى م : « ولا يشرك به أحداً » . (٢) فى م: « قالت الجن للنبى » . (٣) زيادة من م .
(٤) تفسير الطبرى (٢٩/٧٣) .
(٥) فى م :« وأشار » .
(٦) رواه البخارى فى صحيحه برقم (٨١٢) ، صحيح مسلم برقم (٤٩٠) .

عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال الجن لقومهم : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ ، قال : لما رأوه يصلي وأصحابه، يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده ، قالوا : عجبوا من طواعية أصحابه له ، قال : فقالوا لقومهم : ﴿ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ .

وهذا قول ثان ، وهو مروى عن سعيد بن جبير أيضا .

وقال الحسن : لما قام رسول الله ﷺ يقول : « لا إله إلا الله » ، ويدعو الناس إلى ربهم ، كادت العرب تَلَبُّد عليه جميعاً .

وقال قتادة فى قوله : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ قال :تَلَبَّدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفئوه ، فأبى الله إلا أن ينصره ويُمضيه (١) ويظهره على من ناوأه .

وهذا قول ثالث ، وهو مَروىّ عن ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وقول ابن زيد ، واختيار ابن جرير ، وهو الأظهر لقوله بعده : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّى وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴾ أى : قال لهم الرسول ــ لما آذوه (٢) وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه ، ليبطلوا ما جاء به من الحق واجتمعوا على عداوته : ﴿ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّى ﴾ أى : إنما أعبد ربى وحده لا شريك له ، وأستجير به وأتوكل عليه، ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ .

وقوله : ﴿ قُلْ إِنِّى لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ أى : إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ ، وعبد من عباد الله ليس إلىّ من الأمر شىء فى هدايتكم ولا غوايتكم ، بل المرجع فى ذلك كله إلى الله عز وجل .

ثم أخبر عن نفسه أيضا أنه لا يجيره من الله أحد ، أى : لو عصيته فإنه لا يقدر أحد على إنقاذى من عذابه ، ﴿ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ ، قال مجاهد ، وقتادة ، والسدى : لا ملجأ . وقال قتادة أيضا : ﴿ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ أى : لا نصير ولا ملجأ . وفى رواية : لا ولىّ ولا مَوئلَ .

وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ﴾ : قال بعضهم : هو مستثنى من قوله : ﴿ لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ ، ﴿ إِلَّا بَلَاغًا﴾ ، ويحتمل أن يكون استثناء من قوله :﴿لَن يُجِيرَنِى مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ ﴾ أى: لا يجيرنى منه ويخلصنى إلا إبلاغى الرسالة التى أوجب أداءها علىّ ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن (٣) لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[المائدة: ٦٧] .

وقوله: ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ أى: إنما أبلغكم رسالة الله، فمن يعص بعد ذلك فله جزاء على ذلك نار جهنم خالدين فيها أبداً ، لا محيد لهم عنها ، ولا خروج

---

(١) فى م :« ويعينه » .   (٢) فى م : « لما نادوه » .   (٣) فى م :« فإن » وهو خطأ .

لهم منها .

وقوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴾ أى : حتى إذا رأى هؤلاء المشركون من الجن والإنس ما يوعدون يوم القيامة فسيعلمون يومئذ من أضعف ناصراً وأقل عدداً ، هم أم المؤمنون الموحدون لله عز وجل ، أى : بل المشركين لا ناصر لهم بالكلية ، وهم أقل عدداً من جنود الله عز وجل .

﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِى أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّى أَمَدًا (٢٥) عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨) ﴾ .

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ أن يقول للناس : إنه لا علم له بوقت الساعة ، ولا يدرى أقريب وقتها أم بعيد ؟ ﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِى أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّى أَمَدًا ﴾ ؟ أى : مدة طويلة .

وفى هذه الآية الكريمة دليل على أن الحديث الذى يتداوله كثير من الجهلة من أنه عليه السلام ، لا يؤلف تحت الأرض ، كذب لا أصل له ، ولم نره فى شىء من الكتب . وقد كان ﷺ يُسأل عن وقت الساعة فلا يجيب عنها ، ولما تَبَدَّى له جبريل فى صورة أعرابى كان فيما سأله أن قال: يا محمد، فأخبرنى عن الساعة ؟ قال : « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل » [(١)]. ولما ناداه ذلك الأعرابى بصوت جَهورىّ فقال : يا محمد ، متى الساعة ؟ قال : « ويحك . إنها كائنة ، فما أعددت لها ؟ » . قال : أما إنى لم أعد لها كثير [(٢)] صلاة ولا صيام ، ولكنى أحب الله ورسوله . قال : «فأنت مع من أحببت » . قال أنس : فَمَا فرح المسلمون بشىء فرحهم بهذا الحديث [(٣)] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا محمد بن مُصَفَّى ، حدثنا محمد بن حمير [(٤)] ، حدثنى أبو بكر بن أبى مريم ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن أبى سعيد الخُدرى ، عن النبى ﷺ قال: « يا بنى آدم ، إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى ، والذى نفسى بيده ، إنما توعدون لآت » [(٥)] .

وقد قال أبو داود فى آخر « كتاب الملاحم » : حدثنا موسى بن سهيل ، حدثنا حجاج بن إبراهيم، حدثنا ابن وهب ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن عبد الرحمن بن جُبَير ، عن أبيه ، عن أبى ثَعلبة الخُشنى قال : قال رسول الله ﷺ : « لن يعجز الله هذه الأمة من نصف يوم » [(٦)] .

(١) هو جزء من حديث جبريل الطويل ، رواه مسلم فى صحيحه برقم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

(٢) فى م : « كبير » .

(٣) رواه مسلم فى صحيحه برقم (٢٦٣٩) من حديث أنس ، رضى الله عنه .

(٤) فى أ : « محمد بن جبير » .

(٥) ورواه البيهقى فى شعب الإيمان برقم (١٠٥٦٤) من طريق الحسن بن سفيان ، عن محمد بن المصفى ، به.

(٦) سنن أبى داود برقم (٤٣٤٩) ، ورواه الحاكم فى المستدرك (٤/ ٤٢٤) من طريق ابن وهب ، به . وقال الحاكم :« صحيح على شرطهما ولم يخرجاه » .

انفرد به أبو داود ، ثم قال أبو داود :

حدثنا عمرو بن عثمان . حدثنا أبو المغيرة ، حدثنى صفوان ، عن شُرَيح بن عبيد ، عن سعد بن أبى وقاص عن النبى ﷺ أنه قال : « إنى لأرجو ألا تعجز أمتى عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم » . قيل لسعد : وكم نصف يوم ؟ قال : خمسمائة عام . انفرد به أبو داود (١) .

وقوله : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ ،هذه كقوله تعالى : ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ ﴾ [البقرة:٢٥٥] . وهكذا قال هاهنا : إنه يعلم الغيب والشهادة ، وإنه لا يطلع أحد من خلقه على شىء من علمه إلا مما أطلعه تعالى عليه ؛ ولهذا قال : ﴿ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ ، وهذا يعم الرسول الملكى والبشرى .

ثم قال : ﴿ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ أى : يَخْتَصّه بمزيد معقبات من الملائكة يحفظونه من أمر الله ، ويساوقونه على ما معه من وحى الله ؛ ولهذا قال : ﴿ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ .

وقد اختلف المفسرون فى الضمير الذى فى قوله : ﴿ لِيَعْلَمَ ﴾ ، إلى من يعود ؟ فقيل : إنه عائد على النبى ﷺ .

قال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب القُمّى (٢)، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير فى قوله : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ قال : أربعة حفظة من الملائكة مع جبريل ، ﴿ لِيَعْلَمَ ﴾ محمد ﷺ ﴿ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ .

ورواه ابن أبى حاتم من حديث يعقوب القمى (٣) ، به . وهكذا رواه الضحاك ، والسدى ، ويزيد بن أبى حبيب .

وقال عبد الرزاق ، عن معْمَر ، عن قتادة : ﴿ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ ﴾ ، قال : ليعلم نبى الله أن الرسل قد بلغت عن الله ، وأن الملائكة حفظتها ودفعت عنها . وكذا رواه سعيد بن أبى عَرُوبة ، عن قتادة . واختاره ابن جرير .

وقيل غير ذلك ، كما رواه العَوفى عن ابن عباس فى قوله : ﴿ إِلا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ ، قال : هى معقبات من الملائكة يحفظون النبى من الشيطان ، حتى يتبين الذى أرسل به إليهم ، وذلك حين يقول ، ليعلم أهل الشرك أن قد أبلغوا رسالات ربهم .

وكذا قال ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد : ﴿ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ ﴾ قال : ليعلم من كذب الرسل أن قد أبلغوا رسالات ربهم . وفى هذا نظر .

---

(١) سنن أبى داود برقم (٤٣٥٠) ، وشريح بن عبيد لم يدرك سعد بن أبى وقاص ، فهو منقطع .

(٢، ٣) فى أ : « العمى » .

وقال البغوى : قرأ يعقوب : « ليُعلَم » بالضم ، أى : ليعلم الناس أن الرسل بُلّغوا .

ويحتمل أن يكون الضمير عائداً إلى الله عز وجل ، وهو قول حكاه ابن الجوزى فى « زاد المسير» (١) . ويكون المعنى فى ذلك : أنه يحفظ رسله بملائكته ليتمكنوا من أداء رسالاته ، ويحفظ ما بيِّن إليهم من الوحى ؛ ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ، ويكون ذلك كقوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ [البقرة:١٤٣] ، وكقوله : ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴾ [العنكبوت:١١]، إلى أمثال ذلك ، مع العلم بأنه تعالى يعلم الأشياء قبل كونها قطعا لا محالة ؛ولهذا قال بعد هذا :﴿ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ .

(١) زاد المسير (٨/ ٣٨٦) .

سورة الجنّ

مكيّة، وهي ثمان وعشرون آية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ① يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ② وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ③ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطٗا ④ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ⑤﴾

﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ وقُرئ: "أُحِيَ"[١] أصله وُحِيَ، وقد قُرئ كذلك،[٢] مِن "وَحَى إليه"، فقُلبت "الواو" المضمومة همزة كـ"أَعِد" و"أَزِن" في "وُعِد" و"وُزِن". ﴿أَنَّهُ﴾ بالفتح لأنّه فاعل ﴿أُوحِيَ﴾، والضمير للشأن. ﴿ٱسۡتَمَعَ﴾ أي: القرآن كما ذُكر في "الأحقاف"[٣] وقد حُذف لدلالة ما بعده عليه. ﴿نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ النفرُ ما بين الثلاثة والعشرة، والجنّ: أجسام عاقلة خفيّة يغلب عليهم الناريّة أو الهوائيّة. وقيل: نوع مِن الأرواح المجرّدة. وقيل: هي النفوس البشريّة المفارقة عن أبدانها.[٤] وفيه دلالة على أنّه عليه السلام لم يشعر بهم وباستماعهم ولم يقرأ عليهم، وإنّما اتّفق حضورهم في بعض أوقات قراءته فسمعوها فأخبره الله تعالى بذلك، وقد مرّ ما فيه مِن التفصيل في "الأحقاف".[٥]

﴿فَقَالُوٓاْ﴾ لقومهم عند رجوعهم إليهم ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا﴾ كتابًا مقروًا ﴿عَجَبٗا﴾ بديعًا مُباينًا لكلام الناس في حُسن النظم ودِقّة المعنى، وهو مصدر وُصف به للمبالغة.

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن أبي عبلة وجُؤَيّة بن عائذ. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٨٧.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن أبي عبلة والعتكي عن أبي عمرو. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٣؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٨٧.

٣ في الآية التاسعة والعشرين منها.

٤ القولان في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣/٤٥٤.

٥ في تفسير الآية التاسعة والعشرين منها.

﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ إلى الحقّ والصواب ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ أي: بذلك القرآن ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ حسبما نطق به ما فيه مِن دلائل التوحيد.

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ بالفتح، قالوا: هو وما بعده مِن الجُمل المصدّرة بأنّ في أحدَ عشرَ موضعًا عطفٌ على محلّ الجارّ والمجرور في ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾، كأنّه قيل: فصدّقناه وصدّقنا أنّه تعالى جَدُّ ربّنا، أي: ارتفع عظمته، مِن "جَدّ فلان في عيني"، أي: عظُم تمكُّنه أو سلطانه أو غِناه، على أنّه مستعار مِن الجَدّ الذي هو البَخْت، والمعنى وَصْفُه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته أو لسلطانه أو لغِناه. وقُرئ بالكسر،[1] وكذا الجمل المذكورة عطفًا على المحكيّ بعد القول.[2] وهو الأظهرُ لوضوح اندراج كلّها تحت القول، وأمّا اندراج الجُمل الآتية تحت الإيمان والتصديق كما يقتضيه العطف على محلّ الجارّ والمجرور، ففيه إشكال، كما ستُحيط به خُبرًا.

وقوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ بيان لحُكم تعالِي جدِّه. وقُرئ: "جَدًّا رَبُّنَا"[3] على التمييز و"جِدُّ رَبِّنَا"[4] / بالكسر، أي: صِدق ربوبيّته وحقّ إلهيّته عن اتّخاذ الصاحبة والولد، وذلك أنّهم لمّا سمعوا القرآن ووُفِّقوا للتوحيد والإيمان تنبّهوا للخطأ فيما اعتقده كفَرة الجنّ مِن تشبيه الله تعالى بخَلْقه في اتّخاذ الصاحبة والولد فاستعظموه ونزّهوه تعالى عنه. [٢٣٢و]

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ أي: إبليسُ أو مَرَدة الجنّ ﴿عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾ أي: قولًا ذا شَطَط، أي: بُعدٍ عن القَصْد ومُجاوزةٍ للحدّ، أو هو شطَط في نفسه لفَرْط بُعده عن الحقّ، وهو نسبة الصاحبة والولد إليه تعالى، وتعلُّق الإيمان والتصديق بهذا القول ليس باعتبار نفسه، فإنّهم كانوا عالمين بقول سفهائهم مِن قبلُ أيضًا؛ بل باعتبار كونه شطَطًا كأنّه قيل: وصدّقنا أنّ ما كان يقوله سفيهنا في حقّه تعالى كان شطَطًا.

---

[1] قرأ بها نافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وأبو بكر. النشر لابن الجزري، ٣٩١/٢.

[2] انظر تفصيله في النشر لابن الجزري، ٣٩١/٢-٣٩٢.

[3] قراءة شاذّة، مرويّة عن عكرمة. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٨٧.

[4] قراءة شاذّة، مرويّة عن عكرمة وزيد بن عليّ. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٨٧.

وأمّا تعلّقهما بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ فغيرُ ظاهر، وهو اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيههم، أي: كنّا نظنّ أنّه لن يكذب على الله تعالى أحد أبدًا، ولذلك اتّبعنا قوله. و﴿كَذِبًا﴾ مصدر مؤكِّد لـ﴿تَقُولَ﴾ لأنّه نوع مِن القول أو وصفٌ لمصدره المحذوف، أي: قولًا كذبًا، أي: مكذوبًا فيه. وقُرئ: "لَنْ تَقَوَّلَ"[1] بحذف إحدى التاءين فـ﴿كَذِبًا﴾ مصدر مؤكِّد له؛ لأنّ الكذب هو التقوّل.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ كان الرجل مِن العرب إذا أمسى في وادٍ قَفْر وخاف على نفسه يقول: أعوذ بسيّد هذا الوادي مِن سفهاء قومه، يريد الجنّ وكبيرهم، فإذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا: سُدنا الإنسَ والجنّ، وذلك قوله تعالى: ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ أي: زاد الرجال العائذون الجنَّ ﴿رَهَقًا﴾ أي: تكبّرًا وعُتوًّا، أو فزاد الجنُّ العائذين غيًّا بأن أضلّوهم حتّى استعاذوا بهم.

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟﴾ أي: الإنس ﴿كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ أيها الجنّ على أنّه كلام بعضهم لبعض ﴿أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾. وقيل: المعنى أنّ الجنّ ظنّوا كما ظننتُم أيّها الكفرة... إلخ، فيكون هذه الآية وما قبلها مِن جملة الكلام المُوحى به.[2] والأقربُ أنّهما كذلك على كلّ تقدير عطفًا على ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾؛ إذ لا معنى لإدراجهما تحت ما ذُكر مِن الإيمان والتصديق.

وكذا قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ وما بعده مِن الجمل المصدَّرة بـ﴿أَنَّا﴾ ينبغي أن تكون معطوفةً على ذلك، على أنّ المُوحى عين عبارة الجنّ بطريق الحكاية، كأنّه قيل: قل أوحيَ إليّ كيت وكيت وهذه العبارات، أي:

---

[1] قرأ بها يعقوب. النشر لابن الجزري، ٣٩٢/٢.

[2] الكلام بمعناه في الكشّاف للزمخشري، ٤٧١/٤.

[٢٣٢ظ] طلبنا بلوغ السماء أو خبرها. واللّمس مستعار مِن المَسّ / للطلب كـ"الجَسّ". يقال: "لمسَه والتمسه وتلمَّسه" كـ"طلَبه واطّلبه وتطلّبه".

﴿فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا﴾ أي: حرّاسًا اسم جَمْع كـ"خَدَم"، مفرد اللفظ، ولذلك قيل: ﴿شَدِيدًا﴾ قويًّا، وهم الملائكة يمنعونهم عنها، ﴿وَشُهُبًا﴾ جمع "شِهاب"، وهي الشُّعلة المقتبَسة مِن نار الكواكب.

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ﴾ قبل هذا ﴿مِنْهَا﴾ مِن السماء ﴿مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ خاليةً عن الحرَس والشُّهب، أو صالحةً للترصّد والاستماع، و﴿لِلسَّمْعِ﴾ متعلِّق بـ﴿نَقْعُدُ﴾، أي: لأجل السمع أو بمضمر هو صفة لـ﴿مَقَـٰعِدَ﴾، أي: مقاعدَ كائنةً للسمع. ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ﴾ في مقعَد مِن المقاعد ﴿يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ أي: شِهابًا راصدًا له ولأجله يصدّه عن الاستماع بالرَّجم، أو ذوي شِهاب راصدين له، على أنّه اسم مفرد في معنى الجمع كـ"الحَرَس".

قيل: حدَث هذا عند مَبعَث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، والصحيحُ أنّه كان قبل البعث أيضًا، لكنّه كثُر الرجم بعد البعثة وزاد زيادةً حتّى تنبّه لها الإنس والجنّ، ومُنع الاستراق أصلًا، فقالوا: ما هذا إلّا لأمر أرادَه الله تعالى بأهل الأرض، وذلك قولهم: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بحراسة السماء ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ أي: خيرًا، ونسبة الخير إلى الله تعالى دون الشرّ مِن الآداب الشريفة القرآنيّة، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء، ٢٦/٨٠] ونظائرِه.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾ أي: الموصوفون بصلاح الحال في شأن أنفسهم وفي معاملتهم مع غيرهم المائلون إلى الخير والصلاح حسبما تقتضيه الفطرة السليمة،

لا إلى الشرّ والفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة. ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: قوم دون ذلك، فحُذف الموصوف وهم المقتصِدون في صلاح الحال على الوجه المذكور، لا في الإيمان والتّقوى كما تُوهِّم،[1] فإنّ هذا بيان لحالهم قبل استماع القرآن، كما يعرب عنه قوله تعالى: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾، وأمّا حالهم بعد استماعه فسيُحكى بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾،[2] أي: كنّا قبل هذا ذوي طرائق، أي: مذاهبَ، أو مثلَ طرائق في اختلاف الأحوال، أو كانت طرائقنا طرائقَ قِدَدًا، أي: متفرِّقةً مختلفةً جمع "قِدّة" مِن "قَدّ" كـ"القِطعة" مِن "قَطَع".

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا﴾ أي: علِمنا الآن ﴿أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ﴾ أي: أنّ الشأن لن نعجز الله كائنين ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أينما كنّا مِن أقطارها ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ هاربين منها إلى السماء، أو لن نعجزه في الأرض إن أراد بنا أمرًا ولن نعجزه هربًا / إن طلبَنا. [٢٣٣و]

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰ﴾ أي: القرآن الذي هو الهدى بعينه ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ مِن غير تلعثُم وتردُّد ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ﴾ وبما أنزله ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ فهو لا يخاف ﴿بَخْسًا﴾ أي: نقصًا في الجزاء ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ ولا أن ترهَقه ذِلّة، أو جزاءَ بخسٍ ولا رَهَقٍ؛ إذ لم يبخس أحدًا حقًّا ولا رَهِق ظلم أحد، فلا يخاف جزاءهما. وفيه دلالة على أنّ مِن حقّ مَن آمن بالله تعالى أن يجتنب المظالم. وقُرئ: "فَلَا يَخَفْ"،[3] والأوّل أدلّ على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ الجائرون عن طريق الحقّ الذي هو الإيمان والطاعة، ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى مَن أسلَم، والجمع باعتبار المعنى، ﴿تَحَرَّوْا۟﴾ توخّوا ﴿رَشَدًا﴾ عظيمًا يبلّغهم إلى دار الثواب.

﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ الجائرون عن سنَن الإسلام ﴿فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ تُوقَد بهم كما تُوقَد بكفَرة الإنس.

---

[1] ما وقفت عليه فيما بين يديّ مِن المظانّ.

[2] في الآيتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة.

[3] قراءة شاذّة، مرويّة عن يحيى بن وثّاب. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٣.

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ "أنْ" مخفَّفة مِن الثقيلة، والجملة معطوفة قطعًا على ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾،[١] والمعنى وأُوحيَ إليّ أنّ الشأن لو استقام الجنّ والإنس أو كلاهما ﴿عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ التي هي مِلّة الإسلام ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ أي: لوسّعنا عليهم الرزق، وتخصيصُ الماء الغَدَق -وهو الكثير- بالذِّكر، لأنّه أصل المعاش والسَّعة، ولعِزّة وجوده بين العرب. وقيل: لو استقام الجنّ على الطريقة المُثلى، أي: لو ثبت أبوهم الجانّ على ما كان عليه مِن عبادة الله تعالى وطاعته ولم يتكبّر عن السجود لآدمَ عليه السلام ولم يكفرِ وتبِعه ولده في الإسلام لأنعمنا عليهم ووسَّعنا رزقهم.[٢]

﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لنختبرهم كيف يشكرونه. وقيل: معناه أنّه لو استقام الجنّ على طريقتهم القديمة ولم يُسلِموا باستماع القرآن لوسَّعنا عليهم الرزق استدراجًا لنُوقعهم في الفتنة ونعذِّبهم في كفران النعمة.[٣] ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ عن عبادته أو عن موعظته أو وحيه ﴿يَسْلُكْهُ﴾ يُدخله ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ أي: شاقًّا صعبًا يعلو المعذَّب ويغلِبه، على أنّه مصدر وُصف به مبالغةً.

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾

[٢٣٣ظ] / ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ عطفٌ على قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾،[٤] أي: وأوحيَ إليّ أنّ المساجد مختصّة بالله تعالى. وقيل: معناه ولأنّ المساجد لله[٥] ﴿فَلَا تَدْعُوا۟﴾ أي: لا تعبدوا فيها ﴿مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ غيره. وقيل: المراد بـ﴿ٱلْمَسَٰجِدَ﴾ المسجد الحرام، والجَمْعُ لأنّ كلّ ناحية منه مسجِد، له قبلة مخصوصة، أو لأنّه قبلة المساجد.[٦] وقيل: الأرضُ كلّها؛ لأنّها جُعلت مسجدًا للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم.[٧] وقيل:

---

١ في الآية الأولى مِن هذه السورة.
٢ الكلام في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٧٤.
٣ الكلام في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٧٤.
٤ في الآية الأولى مِن هذه السورة.
٥ القول في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٧٤.
٦ القول في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٧٥؛ وأنوار التنزيل للبيضاوي، ٣/٤٥٧.
٧ مرويّ عن الحسن في معالم التنزيل للبغوي، ٨/٢٤٢؛ والكشّاف للزمخشري، ٤/٤٧٤-٤٧٥.

مواضعُ السجود، على أنّ المراد نهي السجود لغير الله تعالى.[١] وقيل: أعضاءُ السجود السبعة. وقيل: السجدات، على أنّه جَمْع المصدر الميمي.[٢]

﴿وَأَنَّهُۥ﴾ مِن جملة المُوحى، أي: وأوحيَ إليّ أنّ الشأن ﴿لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾ أي: النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وإيراده بلفظ العبد للإشعار بما هو المقتضي لقيامه وعبادته وللتواضع؛ لأنّه واقع موقع كلامه عن نفسه. ﴿يَدۡعُوهُ﴾ حال مِن فاعل ﴿قَامَ﴾، أي: يعبده، وذلك قيامه لصلاة الفجر بنخلة، كما مرّ تفصيله في "الأحقاف".[٣]

﴿كَادُواْ﴾ أي: الجنّ ﴿يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا﴾ متراكِمين مِن ازدحامهم عليه تعجُّبًا ممّا شاهدوا مِن عبادته وسمعوا مِن قراءته واقتداءِ أصحابه به قِيامًا وركوعًا وسجودًا؛ لأنّهم رأوا ما لم يروا مِثلَه وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره. وقيل: معناه لمّا قام عليه السلام يعبد الله وحدَه مخالِفًا للمشركين كاد المشركون يزدحمون عليه متراكمين. واللِّبد جمع لِبْدة: وهي ما تلبَّد بعضه على بعض، ومنها لِبْدة الأسَد. وقُرئ: "لُبَدًا"[٤] جمع "لُبْدة" وهي بمعنى اللِّبدة، و"لُبَّدًا"[٥] جمع "لابِد" كـ"ساجد" و"سُجَّد"، و"لُبُدًا"[٦] بضمّتين جمع "لَبُود" كـ"صَبور" و"صُبُر"، وعن قتادة: تلبَّدت الإنس والجنّ على هذا الأمر ليطفئوه، فأبى الله إلّا أن يُظهره على مَن ناوأه.[٧]

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٠ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ٢١ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ٢٢ إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ٢٣﴾

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ﴾ أي: أعبد ﴿رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ﴾[٨] بربّي في العبادة ﴿أَحَدٗا﴾ فليس ذلك ببِدع ولا مستنكَر يوجِب التعجّب أو الإطباق على عداوتي. وقُرئ:

---

١ القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٤٥٧/٣.
٢ القولان في الكشّاف للزمخشري، ٤٧٥/٤.
٣ في تفسير الآية التاسعة والعشرين منها.
٤ قرأ بها هشام بخلاف عنه. النشر لابن الجزري، ٣٩٢/٢.
٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن الجَحدريّ والحسن وابن محيصن. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٣؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٨٩؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٨٤٣.
٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن الجَحدري. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٨٩.
٧ مَرويّ عن الحسن وقتادة وابن زيد في جامع البيان للطبري، ٣٤٤/٢٣-٣٤٥؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٢٤٣/٨؛ وعن قتادة في الكشّاف للزمخشري، ٤٧٥/٤.
٨ م س - به

"قَالَ"،[١] على أنّه حكاية لقوله عليه السلام للمتراكِمين عليه.[٢] والأوّل هو الأظهر والأوفَق لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ كأنّه أريدَ: لا أملِك ضرًّا ولا نفعًا ولا غيًّا ولا رَشدًا، فتُرِك مِن كلا المتقابلَين ما ذُكر في الآخر.

﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ إن أرادني بسوء ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ مُلتجأ ومَعدِلًا، هذا بيان لعجزه عليه السلام / عن شئون نفسه بعد بيان عجزه [٢٣٤و] عليه السلام عن شئون غيره.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ استثناء مِن قوله: ﴿لَآ أَمْلِكُ﴾ فإنّ التبليغ إرشاد ونفع وما بينهما اعتراضٌ مؤكِّد لنفي الاستطاعة أو مِن ﴿مُلْتَحَدًا﴾ أي: لن أجد مِن دونه مَنجًى إلّا أن أبلِّغ عنه ما أرسلني به، وقيل: ﴿إِلَّا﴾ مركَّبة مِن "إن" الشرطيّة و"لا" النافية، ومعناه: "إنْ لا أبلِّغ بلاغًا مِن الله"، والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه.[٣] ﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ عطفٌ على ﴿بَلَٰغًا﴾، و﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ صفته لا صلته، أي: لا أملك لكم إلّا تبليغًا كائنًا منه تعالى ورسالاتِه التي أرسلني بها.

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في الأمر بالتوحيد، إذ الكلام فيه، ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ وقُرِئ بفتح "الهمزة"[٤] على "فحقُّه" أو "فجزاؤه أنّ له نار جهنّم". ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ في النار أو في جهنّم، والجمع باعتبار المعنى. ﴿أَبَدًا﴾ بلا نهاية.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾

---

١ قرأ بها نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والكسائي ويعقوب وخلف. النشر لابن الجزري، ٣٩٢/٢.

٢ الوجه في الكشّاف للزمخشري، ٤٧٦/٤.

٣ القول بإيجاز في الكشّاف للزمخشري، ٤٧٦/٤؛ وهو مع ذكر تقدير الجواب في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٤٥٧/٣.

٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن طلحة وزيد بن عليّ وعيسى بن عمر. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٣؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٨٩.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ غاية لمحذوف يدلّ عليه الحال مِن استضعاف الكفّار لأنصاره عليه السلام واستقلالهم لعدده، كأنّه قيل: لا يزالون على ما هم عليه حتّى إذا رأوا ما يوعدون مِن فنون العذاب في الآخرة ﴿فَسَيَعۡلَمُونَ﴾ حينئذ ﴿مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا﴾.[١] وحَملُ ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ على ما رأوه يوم بدر،[٢] يأباه قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ﴾ أي: ما أدري ﴿أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا﴾؛ فإنّه ردّ لِما قاله المشركون عند سماعهم ذلك متى يكون ذلك الموعود إنكارًا له واستهزاءً به، فقيل: قل إنّه كائن لا محالةَ، وأمّا وقته فما أدري متى يكون.

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ بالرفع، قيل: هو بدل مِن ﴿رَبِّيٓ﴾، أو بيان له،[٣] ويأباه "الفاء" في قوله تعالى: ﴿فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ إذ يكون النظم حينئذ: أم يجعل له عالمُ الغيب أمدًا فلا يُظهِر عليه أحدًا. وفيه مِن الاختلال ما لا يخفى. فهو خبر مبتدأ محذوف، / أي: هو عالم الغيب.[٤] والجملة استئناف مقرِّر لِما قبله مِن عدم الدِراية، و"الفاء" لترتيب عدم الإظهار على تفرُّده تعالى بعِلم الغيب على الإطلاق، أي: فلا يُطلِع على غَيبه إطلاعًا كاملًا ينكشف به جليّةُ الحال انكشافًا تامًّا موجِبًا لعين اليقين أحدًا مِن خَلْقه. [٢٣٤ظ]

﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ أي: إلّا رسولًا ارتضاه لإظهاره على بعض غيوبه المتعلِّقة برسالته كما يُعرِب عنه بيانُ مَن ارتضى بالرسول تعلُّقًا ما، إمّا لكونه مِن مبادي رسالته بأن يكون معجزةً دالّةً على صحّتها، وإمّا لكونه مِن أركانها وأحكامها، كعامّة التكاليف الشرعيّة التي أُمِر بها المكلَّفون، وكيفيّاتِ أعمالهم وأجزيتها المترتِّبة عليها في الآخرة، وما تتوقَّف هي عليه مِن أحوال الآخرة التي مِن جملتها قيامُ الساعة والبعث وغيرُ ذلك مِن الأمور الغيبيّة التي بيانها مِن وظائف الرسالة. وأمّا ما لا يتعلّق بها على أحد الوجهين مِن الغيوب

---

١ الكلام في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٧٦-٤٧٧.

٢ حمله على ذلك الزمخشري في الكشّاف، ٤/٤٧٦.

٣ الوجهان في اللباب لابن عادل، ١٩/٤٤٢.

٤ وهو ثالث الوجوه المذكورة في اللباب لابن عادل، ١٩/٤٤٢.

التي مِن جملتها وقتُ قيام الساعة، فلا يُظهِر عليه أحدًا أبدًا، على أنّ بيان وقتِه مُخِلّ بالحكمة التشريعيّة التي عليها يدور فلَك الرسالة.

وليس فيه ما يدلّ على نفي كراماتِ الأولياء المتعلِّقة بالكشف،[1] فإنّ اختصاص الغاية القاصية مِن مراتب الكشفِ بالرسل لا يستلزم عدمَ حصول مرتبةٍ ما مِن تلك المراتب لغيرهم أصلًا، ولا يدّعي أحد لأحد مِن الأولياء ما في رُتبة الرسل عليهم السلام مِن الكشف الكامل الحاصل بالوحي الصريح.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ تقرير وتحقيق للإظهار المستفاد مِن الاستثناء وبيانٌ لكيفيّته، أي: فإنّه تعالى يسلك مِن جميع جوانب الرسول عند إظهاره على غيبه حرَسًا مِن الملائكة يُحرسونه مِن تعرُّض الشياطين لِما أظهره عليه مِن الغيوب المتعلِّقة برسالته.

[٢٣٥و] وقوله تعالى: / ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ متعلِّق بـ﴿يَسْلُكُ﴾، غايةٌ له مِن حيث إنّه مترتِّب على الإبلاغ المترتِّب عليه؛ إذ المراد به العِلم المتعلِّق بالإبلاغ الموجود بالفعل. و"أنْ" مخفَّفة مِن الثقيلة، واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف، والجملة خبرها. و﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ عبارة عن الغيب الذي أريدَ إظهار المرتضى عليه، والجمع باعتبار تعدُّد أفراده.

وضمير ﴿أَبْلَغُوا۟﴾ إمّا لـ"الرصَد" فالمعنى أنّه تعالى يسلُكهم مِن جميع جوانب المرتضى ليعلم أنّ الشأن قد أبلغوه رسالات ربّهم سالمةً عن الاختطاف والتخليط عِلمًا مستتبعًا للجزاء، وهو أن يعلمه موجودًا حاصلًا بالفعل، كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ﴾ [محمد، ٣١/٤٧]. والغايةُ في الحقيقة هو الإبلاغ والجهاد، وإيرادُ عِلمه تعالى لإبراز اعتنائه تعالى بأمرهما والإشعار بترتيب الجزاء عليهما والمبالغة في الحثّ عليهما والتحذير عن التفريط فيهما. وإمّا لـ﴿مَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾،[2] والجمع باعتبار معنى ﴿مَن﴾ كما أنّ الإفراد في الضميرين السابقين باعتبار لفظهما

---

[1] على ما ذهب إليه الزمخشري في الكشّاف، ٤٧٧/٤؛ وردّه البيضاوي في أنوار التنزيل، ٥٨/٣، بأنّ كراماتِ الأولياء عن المغيّبات تكون بتوسّط الأنبياء.

[2] السياق: إمّا لـ"الرصَد"... وإمّا لـ﴿مَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾...

فالمعنى ليعلم أنّه قد أبلغ الرسل الموحى إليهم رسالات ربّهم إلى أممهم كما هي مِن غير اختطاف ولا تخليط بعد ما أبلغها الرصَد إليهم كذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ﴾ أي: بما عند الرصَد أو الرسل عليهم السّلام، حالٌ مِن فاعل ﴿يَسۡلُكُ﴾ بإضمار "قد" أو بدونه على الخِلاف المشهور،[1] جيء بها لتحقيق استغنائه تعالى في العِلم بالإبلاغ عمّا ذُكر مِن سَلْك الرَّصَد على الوجه المذكور، أي: يسلكهم بين يديه ومِن خلفه ليترتّب عليه عِلمه تعالى بما ذُكر، والحال أنّه تعالى قد أحاط بما لديهم مِن الأحوال جميعًا.

﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ﴾ ممّا كان وما سيكون ﴿عَدَدًا﴾ أي: فردًا فردًا، وهو تمييز منقول مِن المفعول به، كقوله تعالى: ﴿وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونًا﴾ [القمر، ١٢/٥٤]. والأصل أحصى عدد كلّ شيء. وقيل: هو حال، أي: معدودًا محصورًا، أو مصدر بمعنى "إحصاءً".[2]

وأيّا ما كان ففائدته بيان أنّ عِلمه تعالى بالأشياء ليس على وجه كلّي إجمالي؛ بل على وجه جزئي تفصيلي، فإنّ الإحصاء قد يُراد به الإحاطة الإجماليّة كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَا﴾ [إبراهيم، ٣٤/١٤] / أي: لا تقدروا على حصرها إجمالًا فضلًا عن التفصيل، وذلك لأنّ أصل الإحصاء أنّ الحاسب إذا بلغ عَقدًا معيّنًا مِن عقود الأعداد كالعشرة والمائة والألف وضَع حصاةً ليحفظ بها كمّيّةَ ذلك العقد، فيبني على ذلك حسابه هذا. [٢٣٥ظ]

وأمّا ما قيل: مِن أنّ قوله تعالى: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ﴾... إلى آخره، معطوفٌ على مقدّر يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿لِّيَعۡلَمَ﴾، كأنّه قيل: قد عَلِم ذلك و﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ﴾... إلخ،[3] فبمَعزل مِن السَّداد.

عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «مَن قرأ سورة الجنّ كان له بعدد كلّ جنّيّ صدّق محمّدًا وكذّب به عِتقُ رقبة».[4]

---

١ انظر تفصيل المسألة في الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري، ٢٥٢/١-٢٥٨.

٢ الوجهان في الكشّاف للزمخشري، ٤٧٧/٤.

٣ أوردَ هذا الوجه ابن عادل في اللباب، ٤٤٨/١٩.

٤ الكشف والبيان للثعلبي، ٤١٦/٢٧؛ الكشّاف للزمخشري، ٤٧٧/٤؛ اللباب لابن عادل، ٤٤٨/١٩. وهو جزء مِن حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه في فضائل السور. انظر: الموضوعات لابن الجوزي، ٢٤٠/١.

٧٢

سُورَةُ الجِنِّ

مكية، ثمانٍ وعشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿قُلْ﴾ ـ يا مُحمّد ـ للناس: ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ أي: أُخبِرتُ بالوحي من الله ﴿أَنَّهُ﴾ ـ الضمير للشأن ـ ﴿استَمَعَ﴾ لقِراءتي ﴿نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ﴾ جِنُّ نَصِيبِينَ ـ وذلك في صلاة الصبح ببطن نخلةَ موضع بين مكة والطائف، وهم الذين ذُكروا في قوله تعالى: «وإِذْ صَرَفْنا إلَيكَ نَفَرًا مِنَ الجِنِّ» الآيَةَ ـ ﴿فقالُوا﴾ لقومهم لمّا رجَعوا إليهم:

﴿إنّا سَمِعْنا قُرآنًا عَجَبًا﴾ يُتعجّب منه في فصاحته وغزارة معانيه وغير ذلك، ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ﴿يَهدِي إلَى الرُّشدِ﴾: الإيمان والصواب، ﴿فآمَنّا بِهِ، ولَن نُشرِكَ﴾ بعد اليوم ﴿بِرَبِّنا أحَدًا، وإنَّهُ﴾ ـ الضميرُ للشأن فيه وفي الموضعين بعده ـ ﴿تَعالَى جَدُّ رَبِّنا﴾: تنزّهَ جلاله.........................

سُورَةُ الجِنِّ

قولُهُ: (للنَّاسِ) التَّخصيصُ لحكايَةِ الجِنِّ، ويمكِنُ عمُومُ الخطابِ؛ لأنَّه أحوالُ بعضِهِم.

قولُهُ: (نَصِيبِينَ) بلَدٌ، قاعدَةُ ديارِ ربيعَةَ[1].

قولُهُ: (بينَ مَكَّةَ) على ليلَةٍ.

قولُهُ: (يُتَعَجَّبُ) أي: كِتاباً أو مَقروءاً يتعَجَّبُ منه، مصدَرٌ وُصِفَ به للمُبالَغَة.

قولُهُ: (بَعدَ اليَومِ) على ما نَطَقَ به الأدلَّةُ القاطِعَةُ على التَّوحيدِ.

قولُهُ: (الضَّمِيرُ) على القِراءَتَين الآتِيَتَينِ.

---

(١) في «معجم البلدان» (٥/ ٢٨٨): مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادّة القوافل من الموصل إلى الشام.

وعظمته عمّا نُسب إليه، ﴿ما اتَّخَذَ صاحِبَةً﴾: زوجة ﴿ولا وَلَدًا، وإنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهُنا﴾: جاهلُنا ﴿عَلَى اللهِ شَطَطًا﴾: غلوًّا في الكذب بوصفه بالصاحبة والولد، ٥ ـ ﴿وإنّا ظَنَنّا أنْ﴾: مُخففةٌ، أي: أنّه ﴿لَن تَقُولَ الإنسُ والجِنُّ عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ بوصفه بذلك، حتّى تبيّنّا كذبهم بذلك.

٦ ـ قال تعالى: ﴿وإنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الإنسِ يَعُوذُونَ﴾: يستعيذون ﴿بِرِجالٍ مِنَ الجِنِّ﴾ حين ينزلون في سفرهم بمَخوف، فيقول كُلّ رجل: «أعوذُ بسيّد هذا المكان مِن شرّ سُفهائه»، ﴿فزادُوهُم﴾ بعَوذهم بهم ﴿رَهَقًا﴾: طغيانًا، فقالوا: «سُدنا الجِنَّ والإنس»، ٧ ـ ﴿وإنَّهُم﴾ أي: الجنّ ﴿ظَنُّوا كَما ظَنَنتُم﴾ ـ يا إنسُ ـ ﴿أنْ﴾: مُخفّفةٌ أي: أنّه ﴿لَن يَبعَثَ اللهُ أحَدًا﴾ بعد موته.

٨ ـ قال الجِنّ: ﴿وإنّا لَمَسْنا السَّماءَ﴾: رُمنا استراقَ السمعِ منها، ﴿فوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَسًا﴾ من الملائكة ﴿شَدِيدًا، وشُهُبًا﴾:..

قولُهُ: (وعَظَمَتُهُ) أو سُلطانُهُ، أو غِناهُ.

قولُهُ: (مِمَّا نُسِبَ إلَيهِ) من الشَّريكِ وغيرِهِ، أو تفسيرُهُ ما بعدَهُ.

قولُهُ: (جَاهِلُنَا) إبليسُ، أو مَرَدَةُ الجنِّ.

قولُهُ: (غُلوًّا) أي: قَولاً ذا شَطَطٍ، وهو البُعدُ ومُجاوَزَةُ الحَدِّ.

قولُهُ: (بذَلِكَ) أي: باتِّخاذِ الصَّاحِبَةِ والوَلَدِ.

قولُهُ: (تَبيَّنَّا) أي: عَلِمنا.

قولُهُ: (بذَلِكِ) أي: بالقرآنِ، وهذا اعتِذارٌ عن اتباعِهِم للسَّفيهِ في ذلك بظنِّهِم أنَّ أحداً لا يكذِبُ على الله، و(﴿كذباً﴾) نُصِبَ على المصدَرِ؛ لأنَّهُ نَوعٌ من القَولِ أو الوَصفِ لمَحذوفٍ؛ أي: قَولاً مَكذوباً فيه.

قولُهُ: (يَنزِلُونَ) أي: حين يَنزِلون؛ يعني: الرِّجالَ من الإنسِ.

قولُهُ: (طُغيَاناً) وكِبراً.

قولُهُ: (يَا إنسُ) أو بالعكسِ، والآيَتانِ من كَلامِ الجنِّ بعضِهِم لبَعضٍ، أو استئنافُ كلامٍ من الله، ومن فَتَحَ ﴿أن﴾ فيهما جعَلَهُما منَ الموحى به.

قولُهُ: (مُخَفَّفَةٌ) سادٌّ مَسَدَّ مَفعُولَي: ﴿ظَنُّوا﴾.

قولُهُ: (رُمْنَا) أي: طَلَبنا.

قولُهُ: (استِرَاقَ السَّمعِ) أي: خَبَرَ السَّماءِ، أو بُلوغَ السَّماءِ.

قولُهُ: (مِنَ المَلائِكَةِ) الذينَ يمنَعونَهُم عنها، اسمُ جَمعٍ كالخَدَم.

نُجومًا مُحرِقة ـ وذلك لمّا بُعث النبي ﷺ ـ ٩ ـ ﴿وإنّا كُنّا﴾ أي: قبلَ مَبعثه ﴿نَقعُدُ مِنها مَقاعِدَ لِلسَّمعِ﴾ أي: نستمع، ﴿فمَن يَستَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهابًا رَصَدًا﴾ أُرصِد له ليُرمى به.

١٠ ـ ﴿وإنّا لا نَدرِي: أَشَرٌّ أُرِيدَ﴾ بعدم استراق السمع ﴿بِمَن في الأرضِ؟ أم أرادَ بِهِم رَبُّهُم رَشَدًا﴾ خيرًا؟ ١١ ـ ﴿وإنّا مِنّا الصّالِحُونَ﴾ بعد استماع القُرآن، ﴿ومِنّا دُونَ ذلِكَ﴾ أي: قومٌ غير صالحين، ﴿كُنّا طَرائقَ قِدَدًا﴾: فِرَقًا مُختلفة مُسلمين وكافرين.

١٢ ـ ﴿وإنّا ظَنَنّا أنْ﴾: مُخفّفةٌ أي: أنّه ﴿لَن نُعجِزَ اللهَ في الأرضِ، ولَن نُعجِزَهُ هَرَبًا﴾ أي: لا نفوته كائنين في الأرض أو هاربين منها إلى السماء، ١٣ ـ ﴿وإنّا لَمّا سَمِعْنا الهُدَى﴾: القُرآن ﴿آمَنّا بِهِ ـ فمَن يُؤمِنْ بِرَبِّهِ فلا يَخافُ﴾، بتقدير «هو» بعد الفاء، ....

قولُهُ: (أي: نَستَمِعُ) يعني: مقاعِدَ خاليَةً عن الحَرسِ والشُّهُب.

قولُهُ: (أُرْصِدَ) أو راصِداً لأجلِهِ يمنَعهُ عن الاستِماعِ بالرَّجمِ.

قولُهُ: (بعَدَمِ) أو بحراسَةِ السَّماءِ.

قولُهُ: (بَعدَ استِمَاعِ القُرْآنِ) أي: المؤمِنونَ الأبرارُ.

قولُهُ: (أي: قَومٌ) فحَذَفَ الموصوفَ، وهم المقتَصِدونَ.

قولُهُ: (فِرَقاً) أي: ذَوي طرائِقَ؛ أي: مَذاهِب.

قولُهُ: (مُختَلِفَةً) مُتفرِّقَةً، جمعُ: قِدَّة، من قَدَّ إذا قَطَعَ.

قولُهُ: (مُسلِمِينَ وكَافِرِينَ) هو قولُ مُجاهِدٍ[1]، وقالَ الحسنُ والسُّدِّي: الجنُّ أمثالُكُم، فمِنهُم قدريَّةٌ، ومُرجئَةٌ، ورافضَةٌ[2].

قولُهُ: (أي: أنَّهُ) يعني: عَلِمْنا.

قولُهُ: (في الأَرضِ) أينَ ما كُنّا فيها.

قولُهُ: (أو هَارِبِينَ) أشارَ إلى أنَّ الواو بمعنى: أو؛ للتَّنويعِ أو للتَّخييرِ.

قولُهُ: (بِتَقدِيرِ هُو) وقُرِئَ: (فَلا يَخَفْ)[3].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٦٥٩).

(٢) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٦٨٩)، والثعلبي في «الكشف والبيان» (٢٧/ ٤٣٣) (٣٢٥٢) عن السدي.

(٣) وهي قراءة شاذة، ونسبت لابن وثاب، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٨٨).

﴿بَخْسًا﴾: نقصًا من حسناته ﴿ولا رَهَقًا﴾: ظُلمًا بالزيادة في سيّئاته ـ ١٤ ـ ﴿وإنّا مِنّا المُسلِمُونَ ومِنّا القاسِطُونَ﴾: الجائرون بكُفرهم. ﴿فمَن أسلَمَ فأُولئِكَ تَحَرَّوا رَشَدًا﴾: قصدوا هِداية، ١٥ ـ ﴿وأمّا القاسِطُونَ فكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾: وَقودًا.

وانا وانهم وانه: في اثني عشر موضعًا ـ هي «وإنه تعالى» و«إنا منّا المسلمون» وما بينهما ـ بكسر الهمزة استئنافًا، وبفتحها بما يُوجّه به. قال تعالى في كُفّار مكّة:

١٦ ـ ﴿وأنْ﴾ ـ مُخففةٌ من الثقيلة واسمها محذوف، أي: وأنّهم، وهو معطوف على «أنّه استمع» ـ ﴿لَوِ استَقامُوا علَى الطَّرِيقةِ﴾ أي: طريقة الإسلام ﴿لَأسقَيناهُم ماءً غَدَقًا﴾: كثيرًا من السماء ـ وذلك بعد ما رُفع المطرُ عنهم سبعَ سنين ـ ١٧ ـ ﴿لِنَفتِنَهُم﴾: لنختبرهم ﴿فِيهِ﴾ فنعلمَ: كيف شُكرُهم عِلمَ ظهور؟ ﴿ومَن يُعرِضْ عَن ذِكرِ رَبِّهِ﴾: القُرآنِ ﴿نَسلُكْهُ﴾، بالنون والياء، ....

قولُهُ: (الجَائِرُونَ) عن طَريقِ العَدلِ، وهو الإيمانُ والطَّاعَةُ.

قولُهُ: (هِدَايَةً) عظيمَةً تُرشِدُهُم إلى الصَّوابِ في الدُّنيا، وتهدِيهِم إلى دارِ الثَّوابِ في العُقبى.

قولُهُ: (وَقُوداً) يوقَدُ بهم، كما يوقَدُ بكفَّارِ الإنسِ.

قولُهُ: (بكَسرِ الهَمزَةِ) نافعٌ ومكّيٌّ وبصريٌّ وشُعبَةُ[1].

قولُهُ: (استِئنَافاً) أو من جُملةِ المحكيِّ بعد القَولِ.

قولُهُ: (بمَا يُوجَّهُ بِهِ) بأن ما لم يكُن من مقُولِهِم فمَعطوفٌ على محَلِّ الجار والمجرُور في ﴿بِهِ﴾، كأنَّهُ قيل: صدَّقناهُ وصَدَّقنا أنَّه تعالى جَدُّ ربِّنا[2].

قولُهُ: (أي: طَرِيقَةِ الإسلامِ) والضَّميرُ للجِنِّ، أو الإنسِ، أو كِليهِما.

(كَثِيراً) أي: لوَسَّعنا عليهِمِ الرِّزقَ، وتَخصيصُ الماءِ بالذِّكرِ؛ لأنَّه أصلُ المعاشِ والسَّعَةِ، ولعِزَّةِ وجودِهِ بين العَرَب.

قولُهُ: (القُرآنِ) أو عبادَتِهِ، أو موعِظَتِه.

قولُهُ: (والياء) كُوفيٌّ[3].

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٥).

(٢) انظر: «تفسير البيضاوي» (٥/ ٢٥١).

(٣) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٥).

نُدخله ﴿عَذابًا صَعَدًا﴾: شاقًّا، ١٨ ـ ﴿وأَنَّ المَسَاجِدَ﴾: مواضعَ الصلاة ﴿لِلهِ. فلا تَدْعُوا﴾ فيها ﴿مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ بأن تُشركوا كما كانت اليهود والنصارى، إذا دخلوا كنائسَهم وبِيَعَهم أشركوا.

١٩ ـ ﴿وأَنَّهُ﴾ بالفتح، وبالكسر استئنافًا، والضمير للشأن ﴿لَمّا قامَ عَبدُ اللهِ﴾ مُحمّد النبيّ ﷺ ﴿يَدعُوهُ﴾: يعبده ببطن نخلةَ ﴿كادُوا﴾ أي: الجِنُّ المُستمعون لقِراءته ﴿يَكُونُونَ عليهِ لِبَدًا﴾، بكسر اللام وضمّها، جمعُ لِبْدة، كاللِّبَد في رُكوب بعضهم بعضًا، ازدحامًا حِرصًا على سماع القُرآن.........

قولُهُ: (شَاقًّا[١]) يَعلو المعذَّبَ ويَغلِبهُ، مصدرٌ وُصفَ به.

قولُهُ: (مَوَاضِعَ الصَّلاةِ) تختَصُّ به تعالى، أو الأرضَ كُلَّها، لأنَّها جُعِلت للنَّبيِّ مَسجِداً، وقيل: المسجِدَ الحَرامَ؛ لأنَّه قِبلَةُ المساجِدِ، أو مواضِعَ السُّجودِ على أنَّ المراد: النَّهيُ عن السُّجودِ لغَيرِ الله، أو عن الخُضوعِ والتَّذلُّلِ لغَيرِ خالِقِها، كما قالَهُ الواسِطيُّ[٢].

قولُهُ: (بأَن تُشرِكُوا) قالَ القاضِي[٣]: فلا تَعبُدوا فيها غيرَهُ، ولعَلَّ المعنى: معَ وُجودِ الله.

قولُهُ: (والكَسرِ) نافِعٌ وشُعبةُ[٤].

قولُهُ: (استِئنَافاً) من اللهِ، وأمَّا الفتحُ فعلى أنَّه من جُملَةِ الموحى به.

قولُهُ: (مُحَمَّدٌ) وإنَّما ذُكِرَ لفظُ العَبدِ للتَّواضُعِ، كذا قالَهُ القاضِي[٥]، وعندِي أنَّه للتَّشريفِ ولله دَرُّ القائِلِ[٦]:

لا تَدْعُنِـــي إلا بِيَـــا عَبْدَهَا فَإِنَّـــهُ أَشْـــرَفُ أَســـمَائِي

وقيلَ: للإشعارِ بما هو المقتَضِي لقيامِهِ، ويمكِنُ أن يَكونَ لتَصحِيحِ الإضافَةِ، ولذا قيل: سمَّاهُ عَبدَ الله؛ لأنَّه هو المظهِرُ لاسمِ الله لا غيرُهُ بالأصالَةِ، وغيرُه إنَّما هو بالتَّبعيَّةِ.

قولُهُ: (وضَمِّهَا) هشامٌ بخُلْفٍ عنه[٧].

قولُهُ: (جَمعُ: لِبدَةٍ) وهو ما تلبَّدَ بعضُهُ على بَعضٍ.

---

(١) في الأصول: «مشاقاً»، وما أثبته من «الجلالين».

(٢) انظر: «حقائق التفسير» (٢/ ٣٥٤) ونقله عن ابن عطاء.

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٥٣).

(٤) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٥).

(٥) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٥٣).

(٦) ذكره أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ١٩٦) من قول أبي عبد الله المغربي.

(٧) انظر: «الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٨٨).

٢٠ ـ ﴿قالَ﴾ مُجيبًا للكُفّار في قولهم: «ارجِع عمّا أنتَ فيه» ـ وفي قِراءةٍ: «قُلْ» ـ ﴿إنَّما أدعُو رَبِّي﴾ إلـهًا، ﴿ولا أُشرِكُ بِهِ أحَدًا﴾.

٢١ ـ ﴿قُلْ: إنِّي لا أملِكُ لَكُم ضَرًّا﴾: غيًّا ﴿ولا رَشَدًا﴾: خيرًا ـ ٢٢ ـ ﴿قُلْ: إنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ﴾: من عذابه إن عصيتُه ﴿أحَدٌ، ولَن أجِدَ مِن دُونِهِ﴾ أي: غيرِه ﴿مُلتَحَدًا﴾: مُلتجأ ـ ٢٣ ـ ﴿إلاّ بَلاغًا﴾: استثناءٌ من مفعول «أملِكُ» أي: لا أملك لكم إلاّ البلاغَ إليكم ﴿مِنَ اللهِ﴾ أي: عنه، ﴿ورِسالاتِهِ﴾: عطفٌ على «بلاغًا». وما بين المُستثنى منه والاستثناء اعتراضٌ لتأكيد نفي الاستطاعة، ﴿ومَن يَعصِ اللهَ ورَسُولَهُ﴾ في التوحيد فلم يُؤمن ﴿فإنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ﴾: حالٌ من ضمير «مَن» في «له» رِعايةً لمعناها، وهي حال مُقدّرة، والمعنى: يدخلونها مُقدَّرًا خلُودُهم ﴿فِيها أبدًا﴾.

قولُهُ: (وفي قِرَاءَةٍ) لعاصِمٍ وحمزَةَ[١].

قولُهُ: (خَيراً) مُقتَضى حُسنِ المقابَلَةِ: هدايَةً، أو تفسيرُ (ضَرًّا) بشَرٍّ، ولذا قالَ القاضِي[٢]: (ضَرًّا ولا رَشَداً): ولا نَفعاً أو غَيًّا ولا رَشداً، عَبَّرَ عن أحدِهما باسمِهِ، وعن الآخَرِ باسمِ سَبَبِهِ، أو مُسبَّبِهِ إشعاراً بالمعنَيَينِ، انتهى.

أقولُ: وهذا من ألطَفِ أنواعِ البَديعِ وأبدَعِها ويُسمَّى: بالاحتِباك، وهو أن يحذِفَ من الأوَّلِ ما أُثبِتَ نظيرُهُ في الثَّاني، ومن الثَّاني ما أُثبِتَ نظيرُهُ في الأوَّلِ، على ما ذكرَهُ في «الإتقان»[٣].

قولُهُ: (إن عَصَيتُهُ) أو إن أرادَ بي سُوءاً.

قولُهُ: (مُلتَجَأ) ومُنْحَرَفاً.

قولُهُ: (مِن مَفعُولِ: ﴿أملِكُ﴾) فإنَّ التَّبليغَ إرشادٌ ونَفعٌ.

قولُهُ: (أي: لا أملِكُ لَكُم) يعني: شَيئاً من الضَّرِّ والرَّشَدِ.

قولُهُ: (أي: عَنهُ) و﴿من﴾ بمعنى: عن، أو صِفَةُ ﴿بَلاغاً﴾ فإنَّ صلتَهُ عن؛ كقولِهِ ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي ولَو آيَة»[٤].

قولُهُ: (في التَّوحُّدِ) إذ الكَلامُ فيه.

قولُهُ: (لمَعنَاهَا) في الحالِ.

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٥٣).

(٣) انظر: «الإتقان في علوم القرآن» (٣/ ٢٠٤).

(٤) رواه البخاري (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

٢٤ ـ ﴿حَتَّى إِذا رأَوا﴾ حتى: ابتدائيّة فيها معنى الغاية لمُقدّر قبلها، أي: لا يزالون على كُفرهم إلى أن يروا ﴿ما يُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿فسَيَعلَمُونَ﴾ عِند حُلوله بهم يوم بدر أو يوم القيامة: ﴿مَن أضعَفُ ناصِرًا، وأقَلُّ عَدَدًا﴾: أعوانًا؟ أهم أم المُؤمنون، على القول الأوّل؟ أو أنا أم هم، على الثاني؟ فقال بعضهم: متى هذا الوعد؟ فنزل:

٢٥ ـ ﴿قُلْ: إنْ﴾ أي: ما ﴿أدرِي: أقَرِيبٌ ما تُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿أم يَجعَلُ لَهُ رَبِّيَ أمَدًا﴾: غاية وأجلاً لا يعلمه إلاّ هو؟ ٢٦ ـ ﴿عالِمُ الغَيبِ﴾: ما غاب به عن العِباد، ﴿فلا يُظهِرُ﴾: يُطلِع ﴿علَى غَيبِهِ أحَدًا﴾ من الناس، ٢٧ ـ ﴿إلاّ مَنِ ارتَضَى مِن رَسُولٍ. فإنَّهُ﴾ مع إطلاعه على ما شاء منه مُعجزةً له ﴿يَسلُكُ﴾: يجعل ويُسيّر ﴿مِن بَينِ يَدَيهِ﴾ أي: الرسولِ ﴿ومِن خَلفِهِ رَصَدًا﴾: ملائكة يحفظونه حتّى يُبلّغه في جُملة الوحي، ٢٨ ـ ﴿لِيَعلَمَ﴾ الله عِلمَ ظُهور ﴿أنْ﴾: مُخففةٌ من الثقيلة أي: أنّه ﴿قَد أبلَغُوا﴾ أي: الرسلُ ﴿رِسالاتِ رَبِّهِم﴾ ـ رُوعي بجمع الضمير معنى «مَن» ـ ﴿وأحاطَ بِما لَدَيهِم﴾: عطفٌ على مُقدّر، أي: فعلم ذلك، ﴿وأحصَى كُلَّ شَيءٍ عَدَدًا﴾: تمييز. وهو مُحوّل عن المفعول، والأصل: أحصى عددَ كُلّ شيء.

قولُهُ: (عَلى القَولِ الأوَّلِ) لكن يُشكِلُ بقولِهِ: ﴿أَقَلُّ عَدَداً﴾.

قولُهُ: (أَو أَنا) أو هو، وهو الأظهَرُ.

قولُهُ: (غَايَةً) تَطولُ مُدَّتُها.

قولُهُ: (وأَجَلاً) أي: بَعيداً.

قولُهُ: (لا يَعلَمُهُ) استِئنافٌ، والضَّميرُ راجِعٌ إلى ما ذُكِر من القُربِ والبُعدِ.

قولُهُ: (مِنَ النَّاسِ) ولعَلَّ المرادَ من: ﴿غَيبِهِ﴾ وَحيُهِ الخاصُّ، فلا يُنافي الكَراماتِ.

قولُهُ: (مِنه) أي: من غَيبِهِ.

قولُهُ: (أي: الرَّسُولِ) أو المرتَضى، فإنَّ ﴿مِن﴾ بَيانٌ لـ﴿مَن﴾.

قولُهُ: (يَحفَظُونَهُ) من اختِطافِ الشَّياطينِ وتخاليطِهِم.

قولُهُ: (عِلمَ ظُهُورٍ) أي: ليتعَلَّقَ علمُهُ به مَوجوداً، كما تعَلَّقَ به مَعدوماً.

قولُهُ: (مَعنَى) كما رُوعيَ لفظُها في: ﴿مَنِ ارتَضَى﴾.

قولُهُ: (أي: فَعَلِمَ ذَلِكَ) وأحاطَ بما عِندَ الرُّسلِ.

قولُهُ: (أحصَى) أي: ضَبطَ وحَفِظَ.

قولُهُ: (عَدَدَ كُلِّ شَيءٍ) حتَّى القَطرَ والرَّملَ، والله تعالى أعلمُ.

سورة الجن

وتُسمَّى: «قل أوحِيَ إليَّ». وهي مكِّيَّة بالاتِّفاق، وآيها بلا خلاف ثمان وعشرون آيةً، ووجه اتِّصالها قال الجلال السيوطي[1]: فكَّرت فيه مدَّة، فلم يظهر لي سوى أنَّه سبحانه قال في سورة «نوح»: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾ وقال عزَّ وجلَّ في هذه السورة لكفَّار مكَّة: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ وهذا وجهٌ بيِّنٌ في الارتباط. انتهى. وفي قوله: لكفَّار مكَّة، شيءٌ ستعلمه إن شاء الله تعالى.

ويجوز أن يضمَّ إلى ذلك اشتمالُ هذه السورة على شيء ممَّا يتعلَّق بالسماء كالسورة السابقة، وذكر العذاب لمن يَعصي الله عزَّ وجلَّ في قوله سبحانه: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الآية: ٢٣] فإنَّه يناسب قوله تعالى: ﴿أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ [الآية: ٢٥] على وجه.

وقال أبو حيان[2] في ذلك: إنَّه تعالى لمَّا حكى تَمَاديَ قوم نوح في الكفر والعكوف على عبادة الأصنام، وكان أوَّلَ رسول إلى أهل الأرض كما أنَّ محمداً ﷺ آخرُ رسول إلى أهل الأرض، والعربُ الذين هو منهم ﷺ كانوا عبَّادَ أصنام كقوم نوح حتى إنَّهم عبدوا أصناماً مثل أصنام أولئك في الأسماء ـ أي: أو: عينها ـ وكان ما جاء به عليه الصلاة والسلام هادياً إلى الرشد وقد سمعته العربُ، وتوقَّف عن الإيمان به أكثرُهم، أنزل الله تعالى سورةَ «الجِنِّ» وجعلها إِثْر سورةِ «نوح»؛ تبكيتاً لقريش والعرب في كونهم تباطؤوا عن الإيمان، وكانت الجن خيراً

---

(١) في تناسق الدرر ص٨٩.

(٢) في البحر المحيط ٨/ ٣٤٦.

منهم إذ أقبل للإيمان مَن أقبل منهم، وهم مِن غير جنس الرسول عليه الصلاة والسلام حتى كادوا يكونون عليه لبداً، ومع ذلك التباطؤ فهم مكذِّبون له ولِمَا جاء به؛ حسداً وبغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده، فقال عزَّ مِن قائل:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ وقرأ ابن أبي عبلة والعَتَكي عن أبي عمرو وجويَّة[١] بن عائذ الأسدي: «وُحِيَ» بلا همزة[٢]، وهو بمعنى «أوحي» بالهمز، ومنه قول العجَّاج:

وَحَى لها القرارَ فاستقرَّت[٣]

وقرأ زيد بنُ عليٍّ وجوية[٤] - فيما روى عنه الكسائي - وابن أبي عبلة في رواية: «أُحِيَ» بإبدال واو «وُحِيَ» همزة[٥]، كما قالوا في وُعِد أُعِد، قال الزمخشريُّ[٦]: وهو من القلب المطلق جوازه في كلِّ واو مضمومة، وقد أطلقه المازنيُّ في المكسورة أيضاً كإشاح و«إعاء»[٧] وإسادة. وهذا أحد قولين للمازني، والقول الآخر قَصْرُ ذلك على السماع، وما ذكره من إطلاق الجواز في المضمومة تُعقِّب بأنَّ المضمومة قد تكون أوَّلاً وحشواً وآخِراً، ولكلٍّ منها أحكام، وفي بعضها خلافٌ وتفصيلٌ مذكور في كتب النحو فليراجع.

وزاد بعض الأجلَّة: قَلْبَ الواو المضموم ما قبلها، فقال: إنَّه أيضاً مقيس مطَّرد، وأنَّه قد يَرِدُ ذلك في المفتوحة ك : [وَحَد و][٨] أحد.

---

(١) في الأصل و(م): جؤبة. والمثبت هو الصواب. ينظر توضيح المشتبه ٢/ ٥٠٨.

(٢) البحر المحيط ٨/ ٣٤٦، وهي في القراءات الشاذة ص١٦٢ عن ابن أبي عبلة.

(٣) ديوان العجاج ص٢٦١.

(٤) في الأصل و(م): جؤبة. والمثبت هو الصواب.

(٥) المحتسب ٢/ ٣٣١، والبحر ٨/ ٣٤٦.

(٦) الكشاف ٤/ ١٦٦.

(٧) وهي قراءة سعيد بن جبير كما في القراءات الشاذة ص٦٥، والمحتسب ١/ ٣٤٨ من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ [يوسف: ٧٦].

(٨) ما بين حاصرتين من حاشية الشهاب ٨/ ٢٥٤.

وعلى جميع القراآت الجارُّ متعلِّق بما عنده، ونائب الفاعل ﴿أَنَّهُ﴾ إلخ، على أنَّه في تأويل المصدر، والضمير للشأن.

﴿اسْتَمَعَ﴾ أي: القرآن، كما ذكر في «الأحقاف»[1]، وقد حُذف؛ لدلالة ما بعده عليه.

﴿نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ النفر في المشهور: ما بين الثلاثة والعشرة. وقال الحريريُّ في «دُرَّته»[2]: إنَّ النَّفَرَ إنَّما يقع على الثلاثة من الرجال إلى العشرة. وقد وهم في ذلك فقد يُطلَق على ما فوق العشرة في الفصيح، وقد ذكره غيرُ واحد من أهل اللغة، وفي كلام الشعبي: حدَّثني بضعة عشر نفراً. ولا يختصُّ بالرجال بل ولا بالناس؛ لإطلاقه على الجنِّ هنا.

وفي «المجمل»: الرهط والنفر يستعمل إلى الأربعين[3]. والفرق بينهما أنَّ الرهطَ يرجعون إلى أبٍ واحد، بخلاف النفَر، وقد يُطلَق على القوم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: ٣٤] وقول امرئ القيس:

فهو لا تَنْمي[4] رَمِيَّتُه ... ما لَه لا عُدَّ مِن نَفَرِه[5]

وقال الإمام الكرماني[6]: للنفر معنى آخَرُ في العُرف وهو الرجل. وأراد بالعُرف عرف اللغة؛ لأنَّه فسّر به الحديث الصحيح[7]، فليحفظ.

---

(١) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ [الآية: ٢٩ وما بعدها].
(٢) درة الغواص ص٦٩.
(٣) حاشية الشهاب ٨/ ٢٥٤، وفي مجمل اللغة للفارسي ٢/ ٤٠٢ أن الرهط يستعمل إلى الأربعين، ولم يذكر النفر.
(٤) جاء في هامش الأصل و(م): يقال: أنمى. أي: توارى. انتهى منه.
(٥) ديوان امرئ القيس ص١٢٥، والرميَّة: الصيد الذي ترميه فتصرعه، وقوله: لا تنمي رميته: أي: لا ترتفع من مكانها الذي أصابها فيه السهم؛ لحذق الرامي. وقوله: لا عُدَّ من نفره: دعاء عليه على وجه التعجب منه.
(٦) في شرحه على صحيح البخاري ٢/ ٢٥.
(٧) وهو ما أخرجه البخاري (٦٦) عن أبي واقد الليثي: أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه، إذ أقبل ثلاثة نفر...، الحديث. وهو عند مسلم (٢٦٩٩).

والجِنُّ: واحده: جِنِّيّ، كـ : روم ورومي، وهم أجسام عاقلة تغلب عليها النارِيَّة، كما يشهد له قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن: ١٥] وقيل: الهوائية، قابلةٌ جميعها أو صِنْف منها للتشكُّل بالأشكال المختلفة، من شأنها الخفاء، وقد تُرى بصور غيرِ صورها الأصليَّة، بل وبصورها الأصليَّة التي خُلقت عليها كالملائكة عليهم السلام، وهذا للأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليه ومَن شاء الله تعالى من خواصِّ عباده عزَّ وجلَّ، ولها قوَّة على الأعمال الشاقَّة، ولا مانع عقلاً من أن تكون بعضُ الأجسام اللطيفة الناريَّة مخالفةً لسائر أنواع الجسم اللطيف في الماهية، ولها قبول لإفاضة الحياة والقدرة على أفعال عجيبة مثلاً، وقد قال أهل الحكمة الجديدة بأجسام لطيفة أثبتوا لها من الخواصِّ ما يُبهر العقول، فلتكن أجسامُ الجِنِّ على ذلك النحو من الأجسام، وعالَمُ الطبيعة أوسعُ مِن أن تحيط بحصر ما أُودع فيه الأفهامُ.

وأكثر الفلاسفة على إنكار الجِنِّ، وفي رسالة «الحدود» لابن سينا: الجِنِّيُّ حيوان هوائي متشكِّل بأشكال مختلفة.

وهذا شرح الاسم، وظاهره نفي أن يكون لهذه الحقيقة وجودٌ في الخارج، ونفيُ ذلك كفرٌ صريح كما لا يخفى. واعترف جمع عظيم مِن قدماء الفلاسفة وأصحاب الروحانيَّات بوجودهم ويسمُّونهم بالأرواح السفليَّة، والمشهور أنَّهم زعموا أنَّها جواهرُ قائمةٌ بأنفسها ليست أجساماً ولا جسمانيَّة، وهي أنواع مختلفة بالماهية، كاختلاف ماهيات الأعراض، فبعضها خيِّرة وبعضها شريرة، ولا يَعرِف عدد أنواعها وأصنافها إلا الله عزَّ وجلَّ، ولا يبعد على هذا أن يكون في أنواعها ما يقدر على أفعال شاقَّة عظيمة يَعجِزُ عنها البشر، بل لا يبعد أيضاً على ما قيل أن يكون لكلِّ نوع منها تعلُّق بنوع مخصوص من أجسام هذا العالم، ومن الناس مَن زعم أنَّ الأرواح البشريَّة والنفوس الناطقة إذا فارقت أبدانها ازدادت قوَّة وكمالاً بسبب ما في ذلك العالم الروحاني من انكشاف الأسرار الروحانيَّة، فإذا اتفق حدوث بَدَن آخرَ مشابهٍ لِمَا كان لتلك النفس المفارقة مِن البدن، تعلَّقت تلك النفس به تعلُّقاً ما، وتصير كالمعاونة لنفس ذلك البدن في أفعالها وتدبيرها لذلك البدن،

فإن اتفقت هذه الحالة في النفوس الخيِّرة سُمِّي ذلك المُعين مَلَكاً وتلك الإعانة إلهاماً، وإنِ اتفقت في النفوس الشريرة سُمِّي ذلك المُعين شيطاناً وتلك الإعانة وسوسة. والكُلُّ مخالف لأقوال السلف وظاهرِ الآيات والأحاديث، وجمهورُ أرباب الملل معترفون بوجودهم كالمسلمين وإن اختلفوا في حقيقتهم، وتمام الكلام في هذا المقام يُطلَب من «آكام المرجان»، وفي «التفسير الكبير»[1] طَرَف ممَّا يتعلَّق بذلك فارجع إليه إن أردته.

واختلف في عدد المستمعين، فقيل: سبعة، فعن زِرّ: ثلاثة من أهل حرَّان، وأربعة من أهل نَصِيبين. قرية باليمن غير القرية التي بالعراق. وعن عكرمة أنَّهم كانوا اثني عشر ألفاً مِن جزيرة الموصل. وأين سبعة أو تسعة من اثني عشر ألفاً؟! ولعلَّ النَّفَرَ عِليَةُ القوم. وفي «الكشاف»[2]: كانوا مِن الشَّيْصَبَان، وهم أكثر الجِنِّ عدداً، وعامَّة جنود إبليس منهم.

والآية ظاهرة في أنَّه ﷺ عَلِمَ استماعهم له بالوحي لا بالمشاهدة، وقد وقع في الأحاديث أنَّه عليه الصلاة والسلام رآهم، وجُمع ذلك بتعدُّد القصَّة، قال في «آكام المرجان» ما محصله: في الصحيحين[3] في حديث ابن عباس: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجِنِّ ولا رآهم، وإنَّما انطلق بطائفة من الصحابة لسوق عُكَاظ، وقد حيل بين الجِنِّ والسماء بالشُّهب، فقالوا: ما ذاك إلا لشيء حدث، فاضربوا مشارقَ الأرض ومغاربها، فمرَّ من ذهب لتهامة منهم به عليه الصلاة والسلام وهو يصلِّي الفجر بأصحابه بنخلة، فلما استمعوا له، قالوا: هذا الذي حال بيننا وبين السماء، ورجعوا إلى قومهم، وقالوا: يا قومنا. . إلخ، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿قُلْ أُوحِيَ﴾ إلخ. ثم قال: ونفيُ ابنِ عباس إنَّما هو في هذه القصَّة، واستماعُهم تلاوته ﷺ في الفجر في هذه القصَّة لا مطلقاً، ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ إلخ فإنَّها تدلُّ على أنَّه عليه الصلاة والسلام كلَّمهم ودعاهم وجعلهم رسلاً لمَن عَدَاهم، كما قاله البيهقيُّ.

---

(١) ٣٠/ ١٤٨ وما بعدها.

(٢) ٤/ ١٦٧.

(٣) صحيح البخاري (٧٧٣)، ومسلم (٤٤٩)، وسلف ٢٦/ ٣٠.

وروى أبو داود عن علقمة عن ابنِ مسعود عن النبيِّ ﷺ قال: «أتاني داعي الجنِّ، فذهبتُ معه وقرأتُ عليهم القرآن»، قال: وانطلق بنا وأرانا آثارهم وآثار نيرانهم.. إلخ[١]. وقد دلَّت الأحاديث على أنَّ وفادة الجنِّ كانت ستَّ مرَّات. وقال ابنُ تيمية: إنَّ ابن عباس عَلِمَ ما دلَّ عليه القرآن ولم يَعلم ما علمه ابن مسعود وأبو هريرة من إتيان الجِنِّ له ﷺ ومكالمتهم إيّاه عليه الصلاة والسلام، وقصَّة الجِنِّ كانت قبل الهجرة بثلاث سنين. وقال الواقديُّ: كانت سنة إحدى عشرة من النبوَّة. وابن عباس نَاهزَ الحُلُم في حجَّة الوداع، فقد علمتَ أنَّ قصَّة الجِنِّ وقعت ستَّ مرات.

وفي «شرح البيهقي» من طرق شتّى عن ابن مسعود أنَّ النبيَّ ﷺ صلَّى العشاء ثم انصرف، فأخذ بيدي حتى أتينا مكان كذا، فأجلسني وخطَّ عليَّ خطًّا، ثم قال: «لا تبرحنَّ خطَّك» فبينما أنا جالس إذ أتاني رجال منهم كأنَّهم الزُّطُّ[٢]، فذكر حديثاً طويلاً وأنَّه ﷺ ما جاءه إلى السَّحَر، قال: وجعلتُ أسمع الأصوات، ثم جاء عليه الصلاة والسلام، فقلت: أين كنتَ يا رسولَ الله؟ فقال: «أرسلتُ إلى الجِنِّ». فقلت: ما هذه الأصوات التي سمعتُ؟ قال: «هي أصواتهم حين ودَّعوني وسلَّموا عليَّ»[٣]، وقد يجمع الاختلاف في القلَّة والكثرة؛ بأنَّ ذلك لتعدُّد القصَّة أيضاً، والله تعالى أعلم.

واختلف فيما استمعوه، فقال عكرمة: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١]، وقيل: سورة «الرحمن».

﴿فَقَالُوٓاْ﴾ أي: لقومهم عند رجوعهم إليهم: ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا﴾ أي: كتاباً مقروءاً، على ما فسَّره به بعض الأجلَّة، وفسّر بذلك للإشارة إلى أنَّ ما ذكروه في

---

(١) سنن أبي داود (٨٥) مختصراً، وهو بتمامه لكن عند أبي داود الطيالسي (٢٨١)، وسلف ٢٦/ ٣١.

(٢) الزُّطُّ: جيل من الهند، معرَّب: جَتّ، والقياس فتح معربه. القاموس (الزط).

(٣) أخرجه بهذا اللفظ الطحاوي كما في نصب الراية ١/ ١٤٣، وأخرجه بنحوه ابن شاهين في ناسخ الحديث ومنسوخه (٩٦)، وهو عند الترمذي (٢٨٦١) في حديث طويل، لكن مقتصراً على طرفه الأول، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. اهـ. تنظر روايات الخبر في نصب الراية والكلام منقول من حاشية الشهاب ٨/ ٢٥٤-٢٥٥.

وصفه ممَّا يأتي وصفٌ له كلِّه دون المقروء منه فقط، والمراد أنَّه مِن الكتب السماويَّة، والتنوين للتفخيم، أي: قرآناً جليلَ الشأن.

﴿عَجَبًا ۝١﴾ بديعاً مبايناً لكلام الناس في حُسْن النظم ودقَّة المعنى، وهو مصدر وصف به للمبالغة.

﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ إلى الحقِّ والصواب، وقيل: إلى التوحيد والإيمان. وقرأ عيسى: «الرُّشُد» بضمتين، وعنه أيضاً فتحهما[١].

﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ أي: بذلك القرآن مِن غير ريث.

﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾ حسبما نطق به ما فيه مِن دلائل التوحيد، أو حسبما نطق به الدلائل العقليَّة على التوحيد. ولم تعطف هذه الجملة بالفاء، قال الخفاجيُّ: لأنَّ نفيهم للإشراك إمَّا لِمَا قام عندهم من الدليل العقليِّ، فحينئذٍ لا يترتَّب على الإيمان بالقرآن، وإمَّا لِمَا سمعوه من القرآن فحينئذٍ يكفي في ترتُّبها عليه عطفُ الأوَّل بالفاء، خصوصاً والباء في «به» تحتمل السببيَّة فيعمُّ الإيمانُ به الإيمانَ بما فيه، فإنَّك إذا قلت: ضربته فتأدَّب وانقاد لي، فُهم ترتُّب الانقياد على الضَّرْب، ولو قلت: فانقادَ، لم يترتَّب على الأوَّل، بل على ما قبله. وقيل: عطفت بالواو لتفويض الترتُّب إلى ذهن السامع. وقد يقال: إنَّ مجموع «فآمنا به ولن نشرك» مسبَّب عن مجموع: «إنا سمعنا» إلخ، فكونه قرآناً معجزاً يوجب الإيمانَ به، وكونه يهدي إلى الرشد يوجب قَلْع الشرك من أصله[٢]. والأوَّل أولى، وجوّز أن يكون ضمير «به» لله عزَّ وجلَّ؛ لأنَّ قوله سبحانه: «بربنا» يفسِّره، فلا تغفل.

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ اختلفوا قراءةً في «أنَّ» هذه وما بعدها إلى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ [الآية: ١٤] وتلك اثنتا عشرة: فقرأها ابنُ عامر وحمزة والكسائيُّ وخَلَف وحفص بفتح الهمزة[٣] فيهنَّ ووافقهم أبو جعفر في ثلاثة: ما هنا، و«أنه كان

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٣٤٧.

(٢) حاشية الشهاب ٨/ ٢٥٥.

(٣) التيسير ص٢١٥، والنشر ٢/ ٣٩١.

يقول»، و«أنه كان رجال»، وقرأ الباقون بكسرها في الجميع، واتَّفقوا على الفتح في «أنَّه استمعَ»، و«أنَّ المساجدَ» لأنَّ ذلك لا يصحُّ أن يكون مِن قول الجِنِّ، بل هو ممَّا أُوحيَ، بخلاف الباقي فإنَّه يصحُّ أن يكون مِن قولهم وممَّا أُوحي[1]، واختلفوا في «أنه لمَّا قام» فقرأ نافع وأبو بكر بكسر الهمزة والباقون بفتحها[2]، كذا فصَّله بعضُ الأجلَّة، وهو المعوَّل عليه.

ووجه الكسر في «إنَّ» هذه وما بعدها إلى: «وإنَّا منَّا المسلمون» ظاهرٌ كالكسر في «إنَّا سمعنا قرآناً» لظهور عطف الجمل على المحكي بعد القول ووضوح اندراجها تحته، وأمَّا وجه الفتح ففيه خفاءٌ، ولذا اختُلف فيه، فقال الفرَّاء والزجَّاج والزَمَخْشَريُّ: هو العطف على محلِّ الجارِّ والمجرور في «آمنَّا به» كأنَّه قيل: صدَّقناه وصدَّقنا أنَّه تعالى جَدُّ ربِّنا وأنَّه كان يقول سفيهنا، وكذلك البواقي[3]، ويكفي في إظهار المحلِّ إظهارُه مع المرادف، وليس من العطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجارِّ ـ الممنوع عند البصريين ـ في شيء، وإن قيل به هنا بناءً على مذهب الكوفيين المجوِّزين له، ولو قيل: إنَّه بتقدير الجارِّ لاطِّراد حذفه قبل «أنَّ» و«أنْ» لكان سديداً، كما في «الكشف».

وضعَّف مكِّيّ العطفَ على ما في حيِّز «آمنا» فقال: فيه بُعْدٌ في المعنى؛ لأنَّهم لم يخبروا أنَّهم آمنوا بأنَّهم لمَّا سمعوا الهدى آمنوا به، ولا أنَّهم آمنوا بأنه كان رجالٌ، إنَّما حكى اللهُ تعالى عنهم أنَّهم قالوا ذلك مخبرين عن أنفسِهم لأصحابهم[4].

وأجيب عن الذاهبين إليه بأنَّ الإيمان والتصديق يَحسُن في بعض تلك المعطوفات بلا شبهة، فيمضي في البواقي ويُحمَل على المعنى، على حدِّ قوله:

وزَجَّـجْـنَ الـحـواجـبَ والـعـيـونـا[5]

---

(١) النشر ٢/ ٣٩١.

(٢) التيسير ص٢١٥، والنشر ٢/ ٣٩٢، وحاشية الشهاب ٨/ ٢٥٥ والكلام منه.

(٣) الكشاف ٤/ ١٦٦ والكلام منه، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ١٩١، وللزجاج ٥/ ٢٣٤.

(٤) مشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٧٦٣.

(٥) حاشية الشهاب ٨/ ٢٥٦، والبيت سلف ٧/ ٧١.

فيُخرَّج على ما خرِّج عليه أمثاله، فيؤوَّل: صدَّقنا، بما يشمل الجميع، أو يقدَّر مع كلٍّ ما يناسبه.

وقال أبو حاتم: هو العطف على نائب فاعل: «أوحي» أعني «أنَّه استمع»، كما في «أنَّ المساجد» على أنَّ الموحى عينُ عبارة الجِنِّ بطريق الحكاية، كأنَّه قيل: قل أوحي إليَّ كيتَ وكيتَ وهذه العبارات. وتُعقِّب بأنَّ حكاية عباراتهم تقتضي أن تكون «أنَّ» في كلامهم مفتوحةَ الهمزة، ولا يظهر ذلك إلا أن يكون في كلامهم ما يقتضي الفتح كـ: اسمعوا، أو: اعلموا، أو: نخبركم، لكنَّه أسقط وقتَ الحكاية، ولا يظهر لإسقاطه وجه، وعلى تقدير الظهور فالفتح ليس لأجل العطف، فإنَّ النائبَ عن الفاعل عليه مجموعُ كلِّ جملة على إرادة اللفظ دون المنسبك مِن «أنَّ» وما بعدها، وإلَّا لما صحَّ أن يقال: الموحى كيت وكيت وهذه العبارات، فإنْ كانت «إنَّ» في كلامهم مكسورةَ الهمزة وصحَّت دعوى أنَّ الحكاية اقتضت فتحَها مع صحَّة إرادة هذه العبارات معه، فذاك، وإلا فالأمر كما ترى، فافهم وتأمَّل.

والجَدُّ: العظمة والجلال، يقال: جَدَّ في عيني، أي: عَظُمَ وَجَلَّ، أي: وصدَّقنا أنَّ الشأنَ ارتفع عظمةُ وجلال ربِّنا، أي: عظمت عظمته عزَّ وجلَّ، وفيه من المبالغة ما لا يَخفى. وقال أبو عبيدة والأخفش: المُلك والسلطان. وقيل: الغنى، وهو مرويٌّ عن أنس والحسن في الآية، والأوَّل مرويٌّ عن الجمهور.

والجَدُّ على جميع هذه الأوجه مستعارٌ من الجَدِّ الذي هو البَخْتُ، وقوله عز وجل: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ عليها تفسيرٌ للجملة وبيانٌ لحكمها، ولذا لم يعطف عليها، فالمراد وصفه عزَّ وجلَّ بالتعالي عن الصاحبة والولد؛ لعظمته أو لسلطانه أو لغناه سبحانه وتعالى، وكأنَّهم سمعوا مِن القرآن ما نبَّههم على خطأ ما اعتقده كَفَرةُ الجِنِّ من تشبيهه سبحانه بخَلْقه في اتِّخاذ الصاحبة والولد، فاستعظموه ونزَّهوه تعالى عنه.

وقرأ حميد بن قيس: «جُدُّ» بضمِّ الجيم، قال في «البحر»: ومعناه: العظيم،

حكاه سيبويه، وإضافته إلى «ربِّنا» من إضافة الصفة إلى الموصوف، والمعنى: تعالى ربُّنا العظيم[١].

وقرأ عكرمة: «جَدٌّ» منوَّناً مرفوعاً، «ربُّنا» بالرفع[٢]، وخُرِّج على أنَّ الجدَّ بمعنى العظيم أيضاً، و«ربُّنا» خبر مبتدأ محذوف، أي: هو ربُّنا، أو بدل مِن «جدّ».

وقرأ أيضاً «جَدًّا» منوَّناً منصوباً على أنَّه تمييزٌ محوَّل عن الفاعل[٣].

وقرأ هو أيضاً وقتادة: «جِدّاً» بكسر الجيم والتنوين والنصب، «ربُّنا» بالرفع[٤]، قال ابنُ عطية[٥]: نصب «جدّاً» على الحال، والمعنى: تعالى ربُّنا حقيقةً ومتمكِّناً. وقال غيره: هو صفةٌ لمصدر محذوف، أي: تعالياً جدًّا.

وقرأ ابنُ السَّمَيْفَع: «جَدَى ربِّنا»[٦] أي: جَدواهُ ونفعه سبحانه، وكأنَّ المراد بذلك الغنى، فلا تغفل.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ هو إبليس عند الجمهور، وقيل: مَرَدةُ الجِنِّ، والإضافة للجنس، والمراد: سفهاؤنا.

﴿عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾﴾ أي: قولاً ذا شطط، أي: بُعْد عن القصد ومجاوزة الحدِّ، أو هو في نفسه شطط؛ لفَرْط بُعده عن الحقِّ، وهو نسبة الصاحبة والولد إليه عزَّ وجلَّ، وتعلُّقُ الإيمان والتصديق بهذا القول ـ بناء على ما يقتضيه العطف على ما في حيِّز «فآمنا» ـ ليس باعتبار نفسه، فإنَّهم كانوا عالمين بقول سفيههم مِن قبل، بل باعتبار كونه شططاً، كأنَّه قيل: وصدَّقنا أنَّ ما كان يقول سفيهُنا في حقِّه سبحانه كان شططاً.

---

(١) البحر ٨/ ٣٤٧.

(٢) المحتسب ٢/ ٣٣٢، والبحر المحيط ٨/ ٣٤٧.

(٣) المحتسب ٢/ ٣٣٢، والبحر المحيط ٨/ ٣٤٧.

(٤) الكشاف ٤/ ١٦٧، والبحر المحيط ٨/ ٣٤٨

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٩.

(٦) تفسير القرطبي ٢١/ ٢٨٢، والبحر المحيط ٨/ ٣٤٨.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيههم، أي: كنَّا نظنُّ أن لن يَكذبَ على الله تعالى أحدٌ فينسبَ إليه سبحانه الصاحبة والولد، ولذلك اعتقدنا صحَّة قول السفيه، ولعلَّ الإيمان متعلِّق بما يُشعر به كلامهم هذا وينساق إليه من خطئهم في ظنِّهم، كأنَّه قيل: وصدَّقنا بخطئنا في ظنِّنا الذي لأجله اعتقدنا ما اعتقدنا.

و«كذباً» مصدر مؤكِّد لـ «تقول»؛ لأنَّه نوع من القول كما في: قعدت القرفصاء، أو: وصف لمصدر محذوف، أي: قولاً كذباً، أي: مكذوباً فيه؛ لأنَّه لا يتصوَّر صدور الكذب منه، وإن اشتهر توصيفه به كالقائل، وجوّز أن يكون من الوصف بالمصدر مبالغة، وهي راجعة للنفي دون المنفيِّ.

وقرأ الحسن والجحدري وعبد الرحمن بن أبي بكرة ويعقوب وابن مقسم: «تَقوَّلَ»[١] مضارع «تَقوَّلَ»، وأصله: تَتَقوَّلَ، بتاءين، فحذفت إحداهما، فـ «كذباً» مصدرٌ مؤكِّد، لأنَّ الكذب هو التقوُّل.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ كان الرجل مِن العرب إذا أمسى في وادٍ قَفْر وخاف على نفسه، نادى بأعلى صوته: يا عزيز هذا الوادي أعوذ بكَ مِن السفهاء الذين في طاعتك. يريد الجِنَّ وكبيرهم، فإذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا: سِدْنا الجِنَّ والإنسَ، وذلك قوله تعالى: ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ أي: زاد الرجال العائذون الجِنَّ ﴿رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ أي: تكبُّراً وعُتُوّاً، فالضمير المرفوع لرجال الإنس، إذ هم المحدَّث عنهم، والمنصوب لرجال الجِنِّ، وهو قول مجاهد والنخعيِّ وعبيد بنِ عمير وجماعة. إلا أنَّ من فسَّر الرَّهَقَ بالإثم، وأنشد الطبريُّ لذلك قولَ الأعشى:

لا شيءَ ينفعني مِن دونِ رؤيتها لا يشتفي وامقٌ ما لم يُصِبْ رَهَقاً[٢]

فإنَّه أرادَ: ما لم يَغْشَ محرَّماً، فالمعنى هنا: فزادت الإنسُ الجِنَّ مأثماً؛ لأنَّهم عظَّموهم فزادوهم استحلالاً لمحارم الله تعالى، أو: فزاد الجِنُّ العائذينَ غيّاً، بأن

(١) النشر ٢/ ٣٩٢ عن يعقوب، والقراءات الشاذة ص١٦٢، والبحر ٨/ ٣٤٨ والكلام منه.
(٢) تفسير الطبري ٢٣/ ٣٢٦، والبيت في ديوان الأعشى ص٤١٥، والوامق: المحبّ.

أضلُّوهم حتى استعاذوا بهم، فالضميران على عكس ما تقدَّم، وهو قول قتادة وأبي العالية والربيع وابنِ زيد. والفاء على الأوَّل للتعقيب، وعلى هذا؛ قيل: للترتيب الإخباري، وذهب الفرَّاء إلى أنَّ ما بعد الفاء قد يتقدَّم؛ إذا دلَّ عليه الدليل، كقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ [الأعراف: ٤] وجمهور النحاة على خلافه[١]. وقيل: في الكلام حذف، أي: فاتَّبعوهم فزادوهم.

والآية ظاهرة في أنَّ لفظ الرجال يُطلَق على ذكور الجِنِّ كما يطلق على ذكور الإنس. وقيل: لا يطلق على ذكور الجِنِّ، و«مِن الجن» في الآية متعلِّق بـ «يعوذون»، ومعناها: أنَّه كان رجال من الإنس يعوذون من شَرِّ الجِنِّ برجال من الإنس، وكان الرجل يقول مثلاً: أعوذ بحذيفة بنِ بدر مِن جِنِّ هذا الوادي. وهو قولٌ غريبٌ مخالفٌ لِمَا عليه الجمهورُ المؤيَّدِ بالآثار، ولعلَّ تعلُّق الإيمان بهذا باعتبار ما يُشعر به مِن كون ذلك ضلالاً موجباً لزيادة الرهق.

وقد جاء في بعض الأخبار ما يقال بدل هذه الاستعاذة، ففي حديث طويل أخرجه أبو نصر السجزيُّ في «الإبانة» من طريق مجاهد عن ابنِ عباس - وقال: غريبٌ جدّاً - أنَّه ﷺ قال: «إذا أصاب أحداً منكم وحشةٌ، أو نزل بأرض مجنَّة، فليقل: أعوذ بكلمات الله التامَّات التي لا يجاوزها بَرٌّ ولا فاجِر مِن شرِّ ما يَلِجُ في الأرض وما يَخرجُ منها، وما ينزل مِن السماء وما يَعرُج فيها، ومن فِتَن النهار، ومن طوارق الليل إلا طارقاً يطرق بخير»[٢].

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟﴾ أي: الإنس ﴿كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ أيُّها الجِنُّ، على أنَّه كلام بعضهم لبعض ﴿أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧﴾ أي: من الرسل على أحد من العباد. وقيل: أن لن يبعثَ سبحانه أحداً بعد الموت. وأيّاً ما كان فالمراد: وقد أخطؤوا وأخطأتم، ولعلَّه متعلّق الإيمان. وقيل: المعنى: أنَّ الجِنَّ ظنُّوا كما ظننتم أيُّها الكفرة أن لن.. إلخ، فتكون هذه الآية من جملة الكلام الموحى به، معطوفة على قوله تعالى: «أنَّه استمع»، وعلى قراءة الكسر تكون استئنافاً من كلامه تعالى، وكذا

---

(١) حاشية الشهاب ٨/ ٢٥٦.

(٢) الدر المنثور ٦/ ٢٧١-٢٧٢.

ما قبلها على ما قيل. وفي «الكشاف»[١]: قيل: الآيتان ـ يعني هذه وقوله تعالى: «وأنَّه كان رجال» إلخ ـ من جملة الموحى. وتَعقَّب ذلك في «الكشف» بأنَّ فيه ضعفاً؛ لأنَّ قوله سبحانه: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ إلخ من كلام الجنِّ، أو ممَّا صدَّقوه، على القراءتين؛ لا[٢] مِن الموحى إليه فتخلّل ما تخلّل، وليس اعتراضاً غير جائز إلا أن يؤوَّل بأنَّه يجري مجراه؛ لكونه يؤكِّد ما حدّث عنهم في تماديهم في الكفر أوّلاً، ولا يخفى ما فيه من التكلُّف. انتهى.

وأبو السعود[٣] اختار في جميع الجمل المصدَّرة بـ «أنَّا» العطفَ على «أنَّه استمع» على نحو ما سمعتَ عن أبي حاتم، وقد سمعتَ ما فيه آنفاً.

و«أنْ» مخفَّفة من الثقيلة، اسمها ضميرُ الشأن، والجملة بعدها خبر، وجملة «أن لن يبعث» إلخ، قيل: سادَّة مسدَّ مفعولَي «ظنُّوا»، وجوّز أن تكون سادَّة مسدَّ مفعولَي «ظننتم»، ويكون السادُّ مسدَّ مفعولَي الأوَّل محذوفاً كما هو المختار في أمثال ذلك، ورجّح الأوّل في الآية بأنَّ «ظنُّوا» هو المقصود فيها، فجعل المعمول المذكور له أحسن، وأمَّا «كما ظننتم» فمذكور بالتّبع، ومنه يُعلَم أنَّ كون المختار إعمال الثاني في باب التنازع ليس على إطلاقه.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ أي: طلبنا بلوغَها لاستماع كلام أهلها، أو: طلبنا خبرها.

واللمس قيل: مستعار من المَسِّ للطلب كالجَسِّ، يقول: لَمَسَهُ والتمسَهُ وتلمَّسه، كطلبه واطَّلبه وتطلَّبه، والظاهر أنَّ الاستعارة هنا لغويَّة؛ لأنَّه مجاز مرسل لاستعماله في لازم معناه، و«السماء»[٤] على ظاهرها.

﴿فَوَجَدْنَـٰهَا﴾ أي: صادفناها وأصبناها، فـ «وجد» متعدٍّ لواحد، وقوله تعالى: ﴿مُلِئَتْ﴾ في موضع الحال بتقدير «قد» أو بدونه، وإن كانت «وجد» من أفعال

---

(١) ٤/ ١٦٧.
(٢) في (م): لأن، والمثبت من الأصل وحاشية الشهاب ٨/ ٢٥٧.
(٣) في تفسيره ٩/ ٤٤.
(٤) في (م): والسماع.

القلوب، فهذه الجملة في موضع المفعول الثاني. وقرأ الأعرج: «مُلِيَتْ» بالياء دون همز[(١)].

﴿حَرَسًا﴾ أي: حرَّاساً، اسم جمع كخَدَم، كما ذهب إليه جمع؛ لأنَّه على وزنٍ يغلبُ في المفردات كبَصَر وقَمَر، ولذا نسب إليه، فقيل: حَرَسِيّ. وذهب بعضٌ إلى أنَّه جمعٌ، والصحيح الأوَّل؛ ولذا وُصفَ بالمفرد فقيل: ﴿شَدِيدًا﴾ أي: قويّاً، ونحوُه قوله:

بَـنَـيْـتُـه بِـعُـصْـبَـة مِـن مـالـيـا
أخـشـى رُجـيـلاً ورُكَـيْـبـاً عـاديـاً[(٢)]

ولو روعي معناه جُمع، بأن يقال: شِدَاداً، إلا أن يُنظَر لظاهر وزن فَعِيْل، فإنَّه يستوي فيه الواحد والجمع.

والمراد بالحَرَس: الملائكة عليهم السلام الذين يمنعونهم عن قُرْب السماء.

﴿وَشُهُبًا ۝٨﴾ جمع: شهاب، وقد مرَّ الكلام فيه. وجوَّز بعضهم أن يكون المراد بالحَرَس الشهبَ، والعطفُ مِثْلُه في قوله:

وهـنـدُ أتـى مِـن دونـهـا الـنَّـأْيُ والـبُـعْـدُ[(٣)]

وهو خلافُ الظاهر.

ودخول «أنَّا لمسنا» إلخ في حيِّز الإيمان ـ وكذا أكثر الجمل الآتية ـ في غاية الخفاء، والظاهر تقدير نحو: نخبركم، فيما لا يظهر دخوله في ذلك، أو تأويل «آمنَّا» من أوَّل الأمر بما ينسحب على الجميع.

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٣٤٩ وهي قراءة أبي جعفر كما في النشر ١/ ٣٩٦.

(٢) الرجز لأحيحة بن الجلاح، وهو في المنصف لابن جني ٢/ ١٠١، وشرح شواهد الإيضاح لابن بري ص٥٦٣، وشرح الشافية للأستراباذي ٢/ ٢٠٣، وشرح المفصل لابن يعيش ٥/ ٧٧، وخزانة الأدب ٣/ ٣٥٩.

(٣) عجز بيت للحطيئة وهو في شرح ديوانه ص١٤٠، وصدره:

ألا حـبَّـذا هـنـد وأرض بـهـا هـنـد

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ﴾ قبل هذا ﴿مِنْهَا﴾ أي: من السماء ﴿مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ أي: مقاعد كائنة للسمع خالية عن الحَرَس والشُّهُب، أو: صالحة للترصُّد والاستماع، و«للسمع» متعلِّق بـ «نقعد» أي: لأجل السمع، أو بمضمرٍ هو صفةٌ لـ «مقاعد». وكيفيَّةُ قعودهم على ما قيل: ركوبُ بعضِهم فوق بعض، وروي في ذلك خبر مرفوع[1]، وقيل: لا مانع من أن يكون بعروج مَن شاء منهم بنفسه إلى حيث يسمع منه الكلام.

﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ﴾ قال في «شرح التسهيل»: «الآن» معناه هنا: القُرب مجازاً، فيصحُّ مع الماضي والمستقبل[2]. وفي «البحر»[3]: إنَّه ظرف زمان للحال، و«يستمع» مستقبل، فاتُّسع في الظرف واستعمل للاستقبال كما قال:

سأسعى الآن إذ بلغت أناها[4]

فالمعنى: فمن يقع منه استماع في الزمان الآتي ﴿يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩﴾ أي: يجد شهاباً راصداً له ولأجله يصدُّه عن الاستماع بالرَّجْم، فـ «رصدًا» صفة «شهاباً»، فإن كان مفرداً فالأمر ظاهر، وإن كان اسمَ جمع للراصد كحرس، فوَصْفُ المفرد به لأنَّ الشهاب لشدَّة مَنْعِه وإحراقه جُعل كأنَّه شهب، ونظير ذلك وصف المِعَى ـ وهو واحد الأمعاء ـ بجياع في قول القتامي:

كأنَّ قيود رجلي حين ضَمَّتْ حَوالب غُرَّزاً ومعًى جياعاً[5]

(١) أخرج البخاري (٤٨٠٠) عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: إن نبيَّ الله ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، . . . فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ـ ووصف سفيان بكفِّه فحرفها، وبدَّد بين أصابعه ـ فيسمع الكلمة. . .» الحديث.

(٢) حاشية الشهاب ٨/ ٢٥٧.

(٣) ٨/ ٣٤٩.

(٤) عجز بيت لعنترة، وهو في ديوانه ص٧٧، وصدره:

فإني لست خاذلكم ولكن

وأناها: منتهاها.

(٥) سلف ١٦/ ٤٠٠.

وجوِّز كونُه مفعولاً به، أي: لأجل الرصد، وقيل: يجوز أن يكون اسمَ جمع صفة لما قبله، بتقدير: ذوي شهاب، فكأنَّه قيل: يجد له ذوي شهاب راصدين بالرجم، وهم الملائكة عليهم السلام الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع، وفيه بُعْدٌ.

وفي الآية ردٌّ على من زعم أنَّ الرجم حدث بعد مبعثِ رسولِ الله ﷺ وهو إحدى آياته عليه الصلاة والسلام حيث قيل فيها: «ملئت» وهو ـ كما قال الجاحظ[1] ـ ظاهرٌ في أنَّ الحادث هو الملْءُ والكثرة. وكذا قوله سبحانه: ﴿نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ﴾ على ما في «الكشاف»[2]، فكأنَّه قيل: كنَّا نجد فيها بعضَ المقاعد خاليةً من الحرس والشهب، والآن مُلِئَت المقاعد كلُّها، فمن يستمع.. إلخ، ويدلُّ على وجود الشهب قَبْلُ ذِكْرُها في شعر الجاهلية، قال بشر بنُ أبي خازم:

والعَيْرُ يُرهِقها الغبارُ وجَحْشُها ... يَنقضُّ خَلْفهما انقضاضَ الكوكبِ[3]

وقال أوس بن حجر:

وانقضَّ كالدُّرِّيِّ يَتْبعه ... نَقْعٌ يثور تَخاله طُنُباً[4]

وقال عوف بن الخَرِع[5] يصف فرساً:

يردُّ علينا العَيْرَ من دون إلفِهِ ... أو الثورَ كالدُّرِّيِّ يَتْبعه الدَّمُ[6]

فإنَّ هؤلاء الشعراء كلّهم كما قال التبريزيُّ: جاهليون ليس فيهم مخضرم[7].

---

(١) ونقله عنه أبو حيان في البحر المحيط ٨/ ٣٤٩، وكلام الجاحظ في الحيوان ٦/ ٢٧٢-٢٧٣.
(٢) ٤/ ١٦٨.
(٣) ديوان بشر بن أبي خازم ص٨١، والكشاف ٤/ ١٦٨، وفيهما: الخَبَار، بدل: الغبار. والخَبَار: أرض لينة رخوة تسوخ فيها القوائم. شبَّه الجحش بالكوكب المنقضّ في سرعته وبياضه.
(٤) سلف ١٣/ ٤٢٦.
(٥) جاء في هامش الأصل: بالخاء معجمة، وراء يروى مفتوحة ومكسورة. انتهى منه.
(٦) الحيوان للجاحظ ٦/ ٢٧٥، والمعاني الكبير للدينوري ٢/ ٧٣٩، وورد في الحيوان: أنفه، بدل: إلفه.
(٧) البحر المحيط ٨/ ٣٤٩.

وما رواه الزهريُّ، عن عليِّ بنِ الحسين ﵄، عن ابنِ عباس: بينما رسولُ الله ﷺ جالس في نَفَرٍ من الأنصار إذ رمي بنجم، فاستنار فقال: «ما كنتم تقولون في مثلِ هذا في الجاهلية». قالوا: كنَّا نقول: يموت عظيم، أو: يولد عظيم[1]. وروي عن معمر: قلت للزهريِّ: أكان يُرمَى بالنجوم في الجاهلية؟ قال: نعم. قلت: أرأيتَ قولَه تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ﴾؟ فقال: غُلِّظت، وشُدِّد أمرُها حين بُعثَ النبيُّ ﷺ[2]. وكأنَّه أخذ ذلك من الآية أيضاً.

وقال بعضهم: إنَّ الرميَ لم يكن أوَّلاً، ثم حدث للمنع عن بعض السماوات، ثم كَثُرَ ومنع به الشياطين عن جميعها يوم تنبّأ النبيُّ عليه الصلاة والسلام.

وجوّز أن تكون الشهب مِن قَبْلُ لحوادث كونيَّة لا لمنع الشياطين أصلاً، والحادث بعد البعثة رميُ الشياطين بها على معنى أنَّهم إذا عَرجوا للاستماع رُمُوا بها، فلا يلزم أيضاً أن يكون كلّ ما يحدث من الشهب اليوم للرمي، بل يجوز أن يكون لأمور أُخَرَ بأسباب يعلمها الله تعالى، ويجاب بهذا عن حدوث الشهب في شهر رمضان مع ما جاء من أنَّه تُصفَّد مردةُ الشياطين فيه[3]، ولمن يقول: إنَّ الشهب لا تكون إلا للرمي، جواب آخر مذكور في موضعه.

وذِكْرُ وجدانهم المقاعد مملوءةً من الحراس ومنعِ الاستراقِ بالكليَّة، قيل: بيانٌ لِمَا حملهم على الضرب في البلاد حتى عثروا على رسولِ الله ﷺ واستمعوا قراءَته عليه الصلاة والسلام، وقولهم: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بحراسة السماء ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ أي: خيراً، كالتَّتمَّة لذلك، فالحامل في الحقيقة تغيُّر الحال عمَّا كانوا أَلِفوه، والاستشعارُ أنَّه لأمرٍ خطير، والتشوُّقُ إلى الإحاطة به خبراً.

ولا يخفى ما في قولهم: «أشرٌّ أُريدَ» إلخ من الأدب حيث لم يُصرِّحوا بنسبة

(١) أخرجه مسلم (٢٢٢٩)، والترمذي (٣٢٢٤)، وأحمد (١٨٨٢).

(٢) أورده البيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٢٣٧-٢٣٨.

(٣) أخرج البخاري (١٨٩٩)، ومسلم (١٠٧٩) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين».

الشَّرِّ إلى الله عزَّ وجلَّ كما صرَّحوا به في الخير، وإن كان فاعل الكُلِّ هو الله تعالى، ولقد جمعوا بين الأدب وحُسْن الاعتقاد.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ أي: الموصوفون بصلاح الحال في شأن أنفسهم وفي معاملتهم مع غيرهم، المائلون إلى الخير والصلاح حسبما تقتضيه الفطرةُ السليمة، لا إلى الشَّرِّ والفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة.

﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: قوم دون ذلك المذكور، ويطَّرد حذف الموصوف إذا كان بعضَ اسم مجرور بـ «من» مقدَّم عليه، والصفة ظرف ـ كما هنا ـ أو جملة، كما في قوله: منَّا أقام ومنَّا ظعن. وأرادوا بهؤلاء القوم: المقتصدين في صلاح الحال على الوجه السابق، لا في الإيمان والتقوى كما قيل، فإنَّ هذا بيانٌ لحالِهم قبل استماع القرآن كما يُعرِب عنه قوله تعالى: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾ وأمَّا حالهم بعد استماعه فستُحكى بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ إلخ [الآيتان: ١٣-١٤]. وجوَّز بعضهم كون «دون» بمعنى «غير»، فيكون «دون ذلك» شاملاً للشرير المحض. وأيّاً ما كان فجملة «كنَّا» إلخ تفسيرٌ للقسمة المتقدِّمة، لكن قيل: الأنسب عليه كون «دون» بمعنى «غير».

والكلام على حذف مضاف، أي: كنَّا ذوي طرائق، أي: مذاهب، أو: مثل طرائق في اختلاف الأحوال، أو: كانت طرائقنا طرائقَ قدداً، وكون هذا مِن تلقِّي الركبان لا يُلتفت إليه، وعدم اعتبار التشبيه البليغ ليستغنى عن تقدير مثل، قيل: لأنَّ المحلَّ ليس محلَّ المبالغة. وجوَّز الزمخشريُّ(١) كون «طرائق» منصوباً على الظرفيَّة بتقدير «في»، أي: كنَّا في طرائق، وتعقِّب بأنَّ الطريق اسمٌ خاصٌّ لموضع يُستَطرق فيه، فلا يقال للبيت أو المسجد: طريق، على الإطلاق، وإنَّما يقال: جعلت المسجد طريقاً، فلا ينتصب مثله على الظرفيَّة إلا في الضرورة، وقد نصَّ سيبويه على أنَّ قولَه:

... كما عَسَلَ الطريقَ الثعلبُ

(١) الكشاف ٤/ ١٦٩.

شاذٌّ[(١)]، فلا يُخرَّج القرآنُ الكريم على ذلك. وقال بعض النحاة: هو ظرف عامٌّ؛ لأنَّ كلَّ موضع يُستَطرَق: طريقٌ.

والقِدَد: المتفرِّقة المختلفةُ، قال الشاعر:

القابضُ الباسطُ الهادي بطاعتِه ... في فتنة الناس إذ أهواؤهم قِدَدُ[(٢)]

جمع: قِدَّة، مِن قَدَّ إذا قطع، كأنَّ كلَّ طريق لامتيازها مقطوعةٌ مِن غيرها.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ أي: علمنا الآن ﴿أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ﴾ أي: أنَّ الشأنَ لن نُعجِز الله تعالى كائنين ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أينما كنَّا مِن أقطارها ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾ أي: هاربين منها إلى السماء، فالأرض محمولة على الجملة، ولمَّا كان «ولن» إلخ في مقابلة ما قَبلُ، لزم أن يكون الهربُ إلى السماء، وفيه تَرَقٍّ ومبالغة، كأنَّه قيل: لن نُعجِزَه سبحانه في الأرض ولا في السماء.

وجوّز أن لا ينظر إلى عموم ولا خصوص كما في: أرسلها العراك، ويجعل الفوت على قسمين أخذاً من لفظ الهرب، والمعنى: لن نُعجِزه سبحانه في الأرض إن أراد بنا أمراً، ولن نُعجِزه عزَّ وجلَّ هرباً إن طلبنا، وحاصله: إن طلبنا لم نَفُتْه، وإن هربنا لم نخلص منه سبحانه، وفائدة ذِكْر الأرض تصوير أنَّها مع هذه البسطة والعراضة ليس فيها مَنْجًى منه تعالى ولا مهرب؛ لشدَّة قدرته سبحانه، وزيادةِ تمكُّنه جلَّ وعلا، ونحوه قول القائل:

وإنَّكَ كالليل الذي هو مُدرِكي ... وإنْ خِلْتُ أنَّ المنتأى عنكَ واسِعُ[(٣)]

وقيل: فائدة ذِكْر الأرض تصوير تمكُّنهم عليها، وغاية بعدها عن مِحلِّ استوائه سبحانه وتعالى. وليس بذاك.

---

(١) الكتاب ١/ ٣٥-٣٦، وتمام البيت:

لَدْنٌ بهزِّ الكفِّ يعسل متنه ... فيه كما عسل الطريقَ الثعلب

وسلف ٩/ ٥١.

(٢) البيت للراعي النميري، وهو في ديوانه ص٦٣.

(٣) البيت للنابغة الذبياني، وهو في ديوانه ص٨١.

وكون «في الأرض» و«هرباً» حالين كما أشرنا إليه هو الذي عليه الجمهور، وجوّز في «هرباً» كونه تمييزاً محوَّلاً عن الفاعل، أي: لن يُعجزه سبحانه هَربُنا.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ أي: القرآن الذي هو الهدى بعينه ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ مِن غير تَلَعْثم وتردُّد ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ﴾ وبما أنزله عزَّ وجلَّ ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ جواب الشرط، ومِثْلُه من المنفي بـ «لا» يصحُّ فيه دخول الفاء وتَركُها، كما صرَّح به في «شرح التسهيل» إلا أنَّ الأحسن تَرْكُها، ولذا قدّر هاهنا مبتدأ لتكون الجملة اسميَّة، ولزومُ اقترانها بالفاء إذا وقعت جواباً، إلا فيما شذَّ من نحو:

مَن يفعلِ الحسناتِ اللهُ يَشكرُها[1]

معلوم. وبعضهم أوجب التقدير؛ لزعمه عدم صحَّة دخول الفاء في ذلك، أي: فهو لا يخاف ﴿بَخْسًا﴾ أي: نقصاً في الجزاء، وقال الراغب: البَخْس: نَقْصُ الشيءِ على سبيل الظلم[2]. ﴿وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾﴾ أي: غشيان ذلَّة مِن قوله تعالى: ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٧] وأصله: مُطلَق الغشيان، وقال الراغب: رَهِقَه الأمرُ، أي: غَشِيَه بقَهْر[3]. وفي «الأساس»: رهقه: دنا منه، وصبيٌّ مُراهق: مُدانٍ للحُلُم[4]. وفي «النهاية»: يقال: رجل فيه رَهَق: إذا كان يَخِفُّ إلى الشَّرِّ ويغشاه[5].

وحاصل المعنى: فلا يخاف أن يبخسَ حقّه ولا أن ترهقه ذلَّة، فالمصدر - أعني «بخساً» - مقدَّر باعتبار المفعول، وليس المعنى على أنَّ غيرَ المؤمن يُبْخَسُ حقّه، بل النظر إلى تأكيد ما ثبت له من الجزاء وتوفيره كملاً، وأما غيره فلا نصيبَ له فضلاً عن الكمال، وفيه أنَّ ما يُجزَى به غير المؤمن مبخوسٌ في نفسه، وبالنسبة إلى هذا الحقِّ فيه كلُّ البخس وإن لم يكن هناك بخس حقٍّ. كذا في «الكشف».

---

(١) وتمامه: والشَّرُّ بالشَّرِّ عند الله مِثْلان. وسلف ٦/ ١٥٢.
(٢) المفردات (بخس).
(٣) المفردات (رهق).
(٤) أساس البلاغة (رهق).
(٥) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (رهق).

أو: فلا يخاف بخساً ولا رهقاً؛ لأنَّه لم يبخس أحداً حقًّا ولا رهقه ظلماً، فلا يخاف جزاءهما، وليس من إضمار مضاف ـ أعني الجزاء ـ بل ذلك بيان لحاصل المعنى وأنَّ ما ذكر في نفسه مخوف، فإنَّه يصحُّ أن يقال: خفتُ الذنب، و: خفتُ جزاءَه؛ لأنَّ ما يتولَّد منه المحذورُ محذورٌ، وفيه دلالة على أنَّ المؤمن لاجتنابه البخس والرهق لا يخافهما، فإنَّ عدمَ الخوف من المحذور، إنَّما يكون لانتفاء المحذور، وجاز أن يُحمَل على الإضمار، وأصل الكلام: فمن لا يبخسُ أحداً ولا يرهق ظلمه، فلا يخاف جزاءهما، فوضع ما في النظم الجليل موضعه؛ تنبيهاً بالسبب على المسبّب. والأوَّل كما قيل أظهر وأقرب مأخذاً.

وأخرج ابنُ المنذر وابنُ أبي حاتم عن ابنِ عباس أنَّه قال في الآية: لا يخاف نقصاً من حسناته ولا زيادةً في سيئاته[1]. وأخرج عبد بن حميد عن قتادة أنه قال: «فلا يخاف بخساً»: ظلماً، بأن يُظلَمَ من حسناته فينتقصَ منها شيء، «ولا رهقاً»: ولا أن يُحمَل عليه ذنبُ غيره. وأخرج نحوه عن الحسن. ولعلَّ المعنى الأوَّل أنسبُ بالترغيب بالإيمان وبلفظ الرهق أيضاً، نظراً إلى ما سمعت مِن قوله تعالى: ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٧].

وقرأ ابنُ وثاب والأعمش: «فلا يَخَفْ» بالجزم[2] على أن «لا» ناهية لا نافية؛ لأنَّ الجوابَ المقترن بالفاء لا يصحُّ جزمه. وقيل: الفاء زائدة، و«لا» للنفي، وليس بشيء، وأيًّا ما كان فالقراءة الأولى أدلُّ على تحقُّق أنَّ المؤمن ناجٍ لا محالةَ، وأنَّه هو المختصُّ بذلك دون غيره، وذلك لتقدير «هو» عليها، وبناء الفعل عليه نحو: هو عرف، ويجتمع فيه التقوّي والاختصاص إذا اقتضاهما المقام.

وقرأ ابن وثاب: «بَخَساً» بفتح الخاء المعجمة[3].

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾ الجائرون عن طريق الحقِّ الذي هو الإيمان والطاعة، يقال: قَسَطَ الرجلُ: إذا جار، وأنشدوا:

---

(١) الدر المنثور ٦/ ٢٧٤، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٣٣٢.
(٢) القراءات الشاذة ص١٦٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٢.
(٣) القراءات الشاذة ص١٦٣، والبحر المحيط ٨/ ٣٥٠.

قــومٌ هــمُ قـتـلـوا ابـنَ هـنـدٍ عَـنْـوةً ... عَـمْراً وهـم قَسَطُوا على النعمانِ[١]

﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الإشارة إلى مَن أسلم، والجمع باعتبار المعنى ﴿تَحَرَّوْاْ﴾ توخَّوا وقصدوا ﴿رَشَدًا ١٤﴾ عظيماً بلَّغهم إلى الدار للثواب، وقرأ الأعرج: «رُشْداً» بضمِّ الراء وسكون الشين[٢].

﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ الجائرون عن سَنَن الإسلام ﴿فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ١٥﴾ تُوقَد بهم كما تُوقَد بكفرة الإنس، واستُظْهِر أنَّ «فمن أسلم» إلخ مِن كلام الجِنِّ. وقال ابنُ عطيَّة: الوجه أن يكون مخاطبةً من الله تعالى لنبيِّه ﷺ، ويؤيِّده ما بعد مِن الآيات[٣]. وفي «الكشاف»: زعم مَن لا يرى للجِنِّ ثواباً أنَّ الله تعالى أَوعدَ قاسطيهم وما وعد مسلميهم، وكفى به وعداً أنْ قال سبحانه: (فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا) فذكر سببَ الثواب، والله عزَّ وجلَّ أعدل مِن أن يعاقب القاسطَ ولا يثيبَ الراشد[٤]. وهو ظاهر في أنَّه مِن كلامه عزَّ وجلَّ.

وقوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ إلخ معطوف قطعاً على قوله سبحانه: «أنَّه استمعَ» ولا يضرُّ تقدُّم المعطوف على غيره على القول به؛ لظهور الحال وعدم الالتباس، و«أنْ» مخفَّفة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن. وقرأ الأعمش وابن وثاب بضمِّ واو «لو»[٥].

والمعنى: وأُوحيَ إليَّ أنَّ الشأن لو استقام الإنس والجِنُّ أو كلاهما ﴿عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ التي هي ملَّة الإسلام ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ١٦﴾ أي: كثيراً، وقرأ عاصم في رواية الأعمش بكسر الدال[٦]، والمراد: لوسَّعنا عليهم الرزقَ، وتخصيص الماء

---

(١) البيت للفرزدق، وهو في الشعر والشعراء ١/ ٢٣٥، والأغاني ١١/ ٥٤، والخزانة ٦/ ٩.

(٢) القراءات الشاذة ص١٦٣، والبحر المحيط ٨/ ٣٥٠.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٢.

(٤) الكشاف ٤/ ١٦٩.

(٥) القراءات الشاذة ص١٦٣، والمحتسب ٢/ ٣٣٣.

(٦) القراءات الشاذة ص١٦٣، والبحر المحيط ٨/ ٣٥٢، وورد في مطبوعهما: الأعشى، بدل: الأعمش.

الغَدَق بالذِّكْر؛ لأنَّه أصلُ المعاش، وكثرته أصل السعة، فقد قيل: المالُ حيث الماء، ولعزَّة وجوده بين العرب.

﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي: لنختبرهم كيف يشكرونه، أي: لنعاملهم معاملةَ المختبر، وقيل: لو استقام الجِنُّ على الطريقة المثلى، أي: لو ثبت أبوهم الجانُّ على ما كان عليه مِن عبادة الله تعالى وطاعته سبحانه ولم يتكبَّر عن السجود لآدمَ ولم يَكفُر وتَبِعَه ولدُه على الإسلام، لأنعمنا عليهم ووسَّعنا رزقهم لنختبرهم، ويجوز على هذا رجوع الضمير إلى «القاسطين» وهو المرويُّ عن ابنِ عباس وقتادة ومجاهد وابن جبير، واعتبار المثلى، قيل: لأنَّ التعريف للعهد، والمعهود طريقة الجِنِّ المفضلة على غيرها، وقيل: لأنَّ جعلها طريقةً وما عداها ليس بطريقة يُفهَم منه كونها مفضَّلة.

وقيل: المعنى أنَّه لو استقام الجِنُّ على طريقتهم - وهي الكفر - ولم يُسلِموا باستماع القرآن لوسَّعنا عليهم الرزق استدراجاً لنوقعهم في الفتنة ونعذِّبهم في كفران النعمة. وروي نحو هذا عن الضَّحَّاك والربيع بنِ أنس وزيد بنِ أسلم وأبي مجلز، بَيْدَ أنَّهم أعادوا الضمير على مَن أسلم، وقالوا: أي: لو كفر مَن أسلم من الناس لأسقيناهم.. إلخ، وهو مخالف للظاهر؛ لاستعمال الاستقامة على الطريقة في الاستقامةِ على الكفر وكون النعمة المذكورة استدراجاً مِن غير قرينة عليه مع أنَّ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا﴾ [الأعراف:٩٦] إلخ يؤيِّد الأوَّل. وزعم الطيبي أنَّ التذييل بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ﴾ إلخ ينصر ما قيل، قال: لأنَّه توكيد لمضمون السابق مِن الوعيد، أي: لنستدرجهم فيتَّبعوا الشهواتِ التي هي موجبة للبَطَر والإعراض عن ذِكْر الله تعالى، وفيه نظر.

والذِّكْر مصدر مضاف لمفعوله تُجُوِّز به عن العبادة، أو هو بمعنى التذكير مضاف لفاعله، ويفسَّر بالموعظة. وقال بعضهم: المراد بالذِّكْر الوحي، أي: ومَن يُعرِض عن عبادة ربِّه تعالى، أو: عن موعظته سبحانه، أو: عن وحيه عزَّ وجلَّ.

﴿يَسْلُكْهُ﴾ مضمَّن معنى: ندخله، ولذا تعدَّى إلى المفعول الثاني، أعني: قوله تعالى: ﴿عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ بنفسه دون «في»، أو هو من باب الحذف

والإيصال. والصَّعَد مصدر وصف به مبالغة أو تأويلاً، أي: ندخله عذاباً يَعلو المعذَّب ويغلبه، وفسِّر بشَاقٍّ، يقال: فلان في صَعَد مِن أمره، أي: في مشقَّة، ومنه قول عمر رضي الله عنه: ما تَصعَّدني شيءٌ كما تَصعَّدني خطبةُ النكاح. أي: ما يشقُّ عليَّ[1]، وكأنَّه إنَّما قال ذلك؛ لأنَّه كان مِن عادتهم أن يذكروا جميعَ ما كان في الخاطب من الأوصاف الموروثة والمكتسبة، فكان يشقُّ عليه ارتجالاً، أو كان يشقُّ أن يقول الصدقَ في وجه الخاطب وعشيرتِه، وقيل: إنَّما شَقَّ مِن الوجوه ونَظَرِ بعضهم إلى بعض.

وقال أبو سعيد الخدري وابن عباس: صَعَد: جبلٌ في النار. قال الخدريُّ: كلَّما وضعوا أيديهم عليه ذابت. وقال عكرمة: هو صخرة ملساء في جهنم يُكلَّف صعودها، فإذا انتهى إلى أعلاها حُدرَ[2] إلى جهنم. فعلى هذا قال أبو حيَّان: يجوز أن يكون بدلاً مِن عذاب، على حذف مضاف، أي: عذاب صعد، ويجوز أن يكون مفعولَ «نسلكه»، و«عذاباً» مفعول من أجله[3].

وقرأ الكوفيون: «يسلكه» بالياء وباقي السبعة بالنون[4]، وابن جندب بالنون مِن أَسْلَكَ[5]، وبعض التابعين بالياء كذلك[6]، وهما لغتان: سَلَكَ وأَسْلَكَ، قال الشاعر يصف جيشاً مهزومين:

حتى إذا أَسلكُوهم في قُتَائِدةٍ[7] شَلًّا كما تَطْرُدُ الجمَّالةُ الشُّرُدا[8]

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٣٥٢، وورد فيه هكذا: ما يتصعد بي شيء كما يتصعد في خطبة النكاح.
(٢) في(م): جدر.
(٣) البحر المحيط ٨/ ٣٥٢.
(٤) التيسير ص٢١٥، والنشر ٢/ ٣٩٢.
(٥) القراءات الشاذة ص١٦٣.
(٦) البحر المحيط ٨/ ٣٥٢ وما بعده منه أيضاً.
(٧) جاء في هامش الأصل و(م): قتائدة: ثنيَّة معروفة. انتهى منه.
(٨) البيت في ديوان الهذليين ٢/ ٤٢، وأدب الكاتب ص٤٣٤، وخزانة الأدب ٣/ ١٧٠، ١٧٤ (دار صادر) منسوب لعبد مناف بن ربع الهذلي. والشَّل: الطرد. والشُّرُد: الإبل التي تفرُّ من الشيء إذا رأته.

وقرأ قوم: «صُعُداً» بضمَّتين[(١)]، وابن عباس والحسن: بضمِّ الصاد وفتح العين[(٢)]. قال الحسن: معناه: لا راحةَ فيه.

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ عطف على «أنَّه استمع» فهو من جملة الموحى، والظاهر أنَّ المراد بالمساجد المواضعُ المعدَّة للصلاة والعبادة، أي: وأوحيَ إليَّ أنَّ المساجد مختصَّة بالله تعالى شأنه ﴿فَلَا تَدْعُوا۟﴾ أي: فلا تعبدوا فيها ﴿مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ غيره سبحانه. وقال الحسن: المراد كلُّ موضع سُجِدَ فيه مِن الأرض، سواء أُعدَّ لذلك أم لا، إذ الأرض كلُّها مسجدٌ لهذه الأمَّة. وكأنَّه أخذ ذلك ممَّا في الحديث الصحيح: «جُعلت ليَ الأرض مسجداً وطهوراً»[(٣)]، واشتهر أنَّ هذا من خصائص نبيِّنا ﷺ، أي: شريعته، فيكون له ولأمته عليه الصلاة والسلام، وكان مِن قَبْلُ إنَّما تباح لهم الصلاة في البِيَع والكنائس. واستُشكل بأنَّ عيسى عليه السلام كان يُكثِر السياحةَ، وغيره من الأنبياء عليهم السلام يسافرون، فإذا لم تَجز لهم الصلاةُ في غيرِ ما ذُكر، لزم تَرْكُ الصلاة في كثير مِن الأوقات، وهو بعيدٌ لا سيما في الخَضِر عليه السلام، ولذا قيل: المخصوص كونها مسجداً وطهوراً، أي: المجموع، ويكفي في اختصاصه اختصاص التيمُّم. وأُجيب بأنَّ المرادَ الاختصاصُ بالنسبة إلى الأمم السالفة دون أنبيائها عليهم السلام، والخَضِر إن كان حيًّا اليوم فهو من هذه الأمَّة سواء كان نبيًّا أم لا؛ لخبر: «لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا اتِّباعي»[(٤)]، وحكمه قَبْلَه نَبِيًّا ظاهر، والأمر فيه غير نبيٍّ سهل.

وقيل: المراد بها المسجد الحرام، أي: الكعبة نفسُها، أو الحرم كلُّه على ما قيل، والجمع لأنَّ كلَّ ناحية منه مسجدٌ له قِبْلة مخصوصة، أو لأنَّه لمَّا كان قِبْلةَ المساجد ـ فإنَّ كلَّ قِبلة متوجِّهة نحوه ـ جُعل كأنَّه جميعُ المساجد مجازاً.

وقيل: المراد هو وبيتُ المقدس، فقد أخرج ابنُ أبي حاتم عن ابنِ عباس: لم

(١) البحر المحيط ٨/ ٣٥٢.
(٢) جاء في هامش الأصل: أي: طرداً. انتهى منه. والقراءة في البحر المحيط ٨/ ٣٥٢.
(٣) سلف ٢/ ٤٠٣.
(٤) سلف ٢/ ١٤٢.

يكن يوم نزلت: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ إلخ في الأرض مسجد إلا المسجد الحرام ومسجد إيليا بيت المقدس[١]. وأَمْرُ الجمع عليه أظهرُ منه على الأوَّل، إلا أنَّه كالأوَّل خلافُ الظاهر، وما ذكر لا يتمُّ دليلاً له.

وقال ابن عطاء وابن جبير والزجَّاج والفرَّاء[٢]: المراد بها الأعضاء السبعة التي يُسجَد عليها، واحدها: مَسْجَد ـ بفتح الجيم ـ وهي القدمان والرُّكبتان والكفَّان والوجه، أي: الجبهة والأنف، وروي أنَّ المعتصم سأل أبا جعفر محمد بنَ عليِّ بنِ موسى الكاظم رضي الله عنهم عن ذلك، فأجاب بما ذكر[٣].

وقيل: السجدات، على أنَّ المسجَد ـ بفتح الجيم ـ مصدر ميميٌّ.

ونقل عن الخليل بنِ أحمد أنَّ قولَه تعالى: «وأنَّ المساجدَ» بتقدير لام التعليل، وهو متعلِّق بما بَعْدُ، و«المساجد» بمعناها المعروف، أي: لأنَّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً، ولمَّا لم تكن الفاء في جواب شرط محقَّق كانت في الحقيقة زائدة، فلا يمتنع تقديمُ معمولِ ما بعدها عليها، نعم قال غير واحد: جِيءَ بها لتضمُّن الكلام معنى الشرط، والمعنى: إنَّ الله تعالى يُحبُّ أن يُوحَّد ولا يُشركَ به أحدٌ، فإن لم توحِّدوه في سائر المواضع، فلا تدعوا معه أحداً في المساجد؛ لأنَّ المساجد له سبحانه مختصَّة به عزَّ وجلَّ، فالإشراك فيها أقبحُ وأقبح، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟﴾ [قريش:١-٣] على وجهٍ، ولا يُعدُّ ذلك من الشرط المحقَّق، ويندفع بما ذكر لزوم جعل الفاء لغواً؛ لأنَّها للسببيَّة، ومعناها مستفاد من اللام المقدَّرة، وقيل في دفعه أيضاً: إنها تأكيدٌ للَّام أو زائدة جِيءَ بها للإشعار بمعناها، وأنَّها مقدَّرة.

والخطاب في «تدعوا» قيل: للجنِّ، وأُيِّد بما روي عن ابنِ جبير قال: إنَّ الجنَّ قالوا: يا رسول الله، كيف نشهدُ الصلاةَ معك على نَأْينا عنك؟ فنزلت الآية ليخاطبهم، على معنى: إنَّ عبادتكم حيث كانت مقبولةٌ إذا لم تُشركوا فيها.

---

(١) الدر المنثور ٦/ ٢٧٤.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٣٦، وللفراء ٣/ ١٩٤.

(٣) مجمع البيان ٢٩/ ٨٥.

وقيل: هو خطاب عامٌّ، وعن قتادة: كان اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبِيَعهم أشركوا بالله عزَّ وجلَّ، فأُمرنا أن نُخلِص لله تعالى الدعوةَ إذا دخلنا المساجد. يعني بهذه الآية. وعن ابنِ جريج بدل: فأُمرنا.. إلخ: فأمرهم أن يُوحِّدوه. وسيأتي إن شاء الله تعالى ما يتعلَّق بذلك أيضاً.

وقرأ ـ كما في «البحر»(١) ـ ابنُ هرمز وطلحة: «وإِنَّ المساجدَ» بكسر همزة «إنَّ»، وحمل ذلك على الاستئناف.

﴿وَأَنَّهُۥ﴾ بفتح الهمزة عند الجمهور على أنَّه عطف على «أنَّه استمع» كالذي قبله، فهو من كلامه تعالى، أي: وأوحيَ إليَّ أنَّ الشان ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ أي: النبيُّ ﷺ، وقوله تعالى: ﴿يَدْعُوهُ﴾ حال من «عبد»، أي: لما قام عابداً له عزَّ وجلَّ، وذلك قيامه عليه الصلاة والسلام لصلاة الفجر بنخلة كما مرَّ.

﴿كَادُواْ﴾ أي: الجِنُّ، كما قال ابن عباس والضَّحَّاك ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ متراكمين مِن ازدحامهم عليه تعجُّباً ممَّا شاهدوا مِن عبادته وسمعوا مِن قراءته، واقتداءِ أصحابه به، قياماً وركوعاً وسجوداً؛ لأنَّهم رَأَوا ما لم يَرَوا مِثْلَه، وسمعوا ما لم يسمعوا نظيره، وهذا كالظاهر في أنَّهم كانوا كثيرين لا تسعةً ونحوها.

وإيراده عليه الصلاة والسلام بلفظ العبد دون لفظ النبيِّ أو الرسول أو الضمير؛ إمَّا لأنَّه مقول على لسانه ﷺ، لأنَّه أُمِرَ أن يقولَ: أُوحي كذا، فجيء به على ما يقتضيه مقامُ العبودية والتواضع، أو لأنَّه تعالى عدل عن ذلك تنبيهاً على أنَّ العبادة مِن العبد لا تستبعد، ونقل عليه الصلاة والسلام كلامَه سبحانه كما هو رفعاً لنفسه عن البَيْن، فلا وجود للأثر بعد العين، وحيث كان هذا العدول منه جلَّ وعلا إمَّا لكذا أو لكذا، لا أنَّه تصرُّف مِن رسول الله ﷺ، لم يمتنع كما قال بعض الأجلَّة الجمع بين الحُسْنَيين.

وقال الحسن وقتادة: ضمير «كادوا» لكفَّار قريش والعرب، فيراد بالقيام القيام بالرسالة، وبالتلبُّد التلبُّد للعداوة، والمعنى: وأنَّه لما قام عبدُ الله بالرسالة يَدعو الله

(١) ٨/ ٣٥٢، وينظر إملاء ما من به الرحمن ٤/ ٤٢٢.

تعالى وحدَه ويَذَرُ ما كانوا يدعون مِن دونه كادوا لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمونَ عليه متراكمين. وجوّز أن يكون الضمير على هذا للجِنِّ والإنس، وعن قتادة أيضاً ما يقتضيه، قال: تلبَّدت الإنس والجِنُّ على هذا الأمر ليطفئوه، فأبى الله تعالى إلا أن ينصرَه ويُظهِره على مَن نَاوَأه.

وفي «البحر»[١] أَبْعَدَ مَن قال: عبد الله هنا نوحٌ عليه السلام، كاد قومُه يقتلونه حتى استنقذَه اللهُ تعالى منهم. قاله الحسن، وأبعدُ منه قولُ مَن قال: إنَّه عبد الله بنُ سلام. اهـ.

ولعمري إنَّه لا ينبغي القول بذلك، ولا أظنُّ له صحَّة بوجهٍ من الوجوه. وقرأ نافع وأبو بكر ـ كما قدَّمنا ـ وابنُ هرمز وطلحة كما في «البحر»: «وإنَّه» بكسر الهمزة[٢]، وحُملَ على أنَّ الجملة استئنافية مِن كلامه عزَّ وجلَّ، وجوّز أن تكون من كلام الجِنِّ معطوفة على جملة: «إنَّا سمعنا» حكوا فيها لقومهم لمَّا رجعوا إليهم ما رَأَوا مِن صلاته ﷺ وازدحامِ أصحابه عليه في ائْتِمامهم به، وحكي ذلك عن ابنِ جبير، وجوّز نحو هذا على قراءة الفتح بناءً على ما سمعتَ عن أبي حاتم، أو بتقدير: ونخبركم بأنَّه، أو نحوه.

هذا وفي «الكشف»: الوجه على تقدير أن يكون «وأنَّ المساجدَ» من جملة الموحى، أن يكون «فلا تدعوا» خطاباً للجِنِّ محكيًّا، إن جعل قوله تعالى: «وإنَّه لما قام» على قراءة الكسر من مقول الجِنِّ؛ لئلا ينفكَّ النظم لو جُعل ابتداءَ قصَّةٍ ووحياً آخَر منقطعاً عن حكاية الجِنِّ، وكذلك لو جعل ضمير «كادوا» للجِنِّ على قراءة الفتح أيضاً، والأصل: أنَّ المساجدَ لله فلا تدعوا أيُّها الجِنُّ مع الله أحداً، فقيل: قل يا محمد لمشركي مكَّة: أُوحيَ إليَّ كذا. وإذا كان كذلك فيجيءُ في ضمن الحكاية إثبات هذا الحكم بالنسبة إلى المخاطبين أيضاً لاتِّحاد العلَّة، وأما لو جعل خطاباً عامًّا فالوجه أن يكون ضمير «كادوا» راجعاً إلى المشركين أو إلى الجِنِّ والإنس، وأن يكون على قراءة الكسر جملةً استئنافيَّة ابتداءَ قصَّةٍ منه جلَّ شأنه في

---

(١) ٨/ ٣٥٣.

(٢) التيسير ص٢١٥، والنشر ٢/ ٣٩٢، والبحر المحيط ٨/ ٣٥٢، والكلام منه.

الإخبار عن حالِ رسول الله ﷺ، وهو تمهيد لما يأتي مِن بَعْدُ وتوكيدٌ لما ذكر مِن قبل، فكأنَّه قيل: قل لمشركي مكَّة ما كان من حديث الجِنِّ وإيمانِ بعضهم وكفرِ آخرين منهم؛ ليكون حكايةُ ذلك لطفاً لهم في الانتهاء عمَّا كانوا فيه، وحثًّا على الإيمان، ثم قيل: وأنَّه لما قام عبدُ الله يَدعوه ويوحِّده كاد الفريقان من كفرة الجِنِّ والإنس يكونون عليه لِبَداً دلالة على عدم ارتداعهم مع هذه الدلائل الباهرة والآيات النيِّرة، وما أحسن التقابل بين قوله تعالى: «وأنَّ المساجدَ» وبين هذا القول، كأنَّهم نُهوا كلُّهم عن الإشراك ودُعُوا إلى التوحيد، فقابلوا ذلك بعداوة مَن يوحِّد الله سبحانه ويَدعوه، ولم يَرضَوا بالإباء وحده. وهذا من خواصِّ الكتاب الكريم وبديعِ أسلوبه إذا أخَذَ في قصَّة غبَّ قصَّة جعلهما متناصفتين فيما سِيق له الكلام، وزاد عليه التآخي بينهما في تناسب خاتمة الأولى وفاتحةِ الثانية، ولعلَّ هذا الوجه مِن الوجاهة بمكان.

وأمَّا لو فسِّر بما حكي عن الخليل: ولأنَّ المساجدَ لله فلا تدعوا.. إلخ، فالوجه أن يكون استطراداً ذكر عقيب وعيد المُعرِض، والحمل على هذا على الأعضاء السبعة أظهرُ؛ لأنَّ فيه تذكيراً لكونه تعالى المنعِم[(١)] بها عليهم، وتنبيهاً على أنَّ الحكمة في خَلْقها خدمةُ المعبود من حيث العدولُ عن لفظ الأعضاء وأسمائها الخاصَّة إلى «المساجد»، ودلالةً على أنَّ ذلك ينافي الإشراك، وحينئذٍ لا يبقى إشكال في ارتباط ما بعده بما قبله على القراءتين والأوجه، والله تعالى أعلم. اهـ. فتأمَّل.

واللِّبَد بكسر اللام وفتح الباء ـ كما قرأ الجمهور ـ جمع: لِبْدَة ـ بالكسر ـ نحو كِسْرة وكِسَر: وهي الجماعات شُبِّهت بالشيء المتلبِّد بعضه فوق بعض، ويقال للجراد، ومنه ـ كما قال الجبائيُّ ـ قولُ عبد مناف بن رِبْع الهُذَليِّ:

صافوا بستَّةِ أبياتٍ وأربعةٍ ... حتَّى كأنَّ عليهم جابياً لبداً[(٢)]

---

(١) تحرفت في (م) إلى: المنع.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٤، والبحر المحيط ٨/ ٣٥٣، والبيت في ديوان الهذليين ٢/ ٤٠ بلفظ: صابوا، بدل: صافوا، ومعنى صابوا: وقعوا. والجابي: الجراد. اللِّبَد: المتراكب بعضه على بعض.

وقرأ مجاهد وابن محيصن وابن عامر ـ بخلاف عنه ـ: «لُبَداً» بضمِّ اللام[(١)]، جمع لُبْدة، كزُبْرَة وزُبَر. وعن ابن محيصن أيضاً تسكين الباء وضمُّ اللام[(٢)].

وقرأ الحسن والجحدريُّ وأبو حيوة وجماعة عن أبي عمرو: بضمَّتين[(٣)]، جمع لَبْد كرَهْن ورُهُن، أو جمع لَبُود كصَبُور وصُبُر.

وقرأ الحسن والجحدري أيضاً بخلاف عنهما: «لُبَّداً» بضمِّ اللام وتشديد الباء[(٤)]، جمع: لابِد، وأبو رجاء: بكسرها وشدِّ الباء المفتوحة[(٥)].

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ﴾ أعبد ﴿رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ﴾ في العبادة ﴿أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾ فليس ذلك بِبِدْعٍ ولا مُستنكَر يوجب التعجُّب أو الإطباق على عداوتي.

وقرأ الأكثرون: «قال»[(٦)] على أنَّه حكاية منه تعالى لقوله ﷺ للمتراكمين عليه، أو حكاية من الجِنِّ له عند رجوعهم إلى قومهم، فلا تغفل.

وقراءة الأَمْرِ ـ وهي قراءة عاصم وحمزة وأبي عمرو بخلاف عنه[(٧)] ـ أظهرُ وأوفق لقوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾ أي: ولا نفعاً، تعبيراً باسم السبب عن المسبَّب، والمعنى: لا أستطيع أن أضرَّكم ولا أنفعكم، إنَّما الضارُّ والنافع هو الله عزَّ وجلَّ. أو: لا أَملكُ لكم غَيًّا ولا رَشَداً، على أنَّ الضَّرَّ مرادٌ به الغَيُّ تعبير باسم المسبَّب[(٨)] عن السبب، ويدلُّ عليه قراءةُ أُبَيٍّ:

---

(١) التيسير ص٢١٥، والنشر ٢/ ٣٩٢ عن هشام، والكلام من البحر ٨/ ٣٥٣.
(٢) القراءات الشاذة ص١٦٣، والبحر المحيط ٨/ ٣٥٣.
(٣) المحتسب ٢/ ٣٣٤، والبحر المحيط ٨/ ٣٥٣، والكلام منه، وهي في القراءات الشاذة ص١٦٣ عن مجاهد.
(٤) القراءات الشاذة ص١٦٣، والمحتسب ٢/ ٣٣٤، والبحر المحيط ٨/ ٣٥٣.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٤، والدر المصون ١٠/ ٤٩٩ وقال: وهي غريبة جدًّا.
(٦) التيسير ص٢١٥، والنشر ٢/ ٣٩٢ عن أبي عمرو وابن عامر ونافع وابن كثير والكسائي وخلف ويعقوب.
(٧) التيسير ص٢١٥، والنشر ٢/ ٣٩٢ عن أبي جعفر وعاصم وحمزة، والبحر المحيط ٨/ ٣٥٣ والكلام منه.
(٨) في (م): السبب.

«غيًّا» بدل «ضرًّا»[١]، والمعنى: لا أستطيع أن أقسركم على الغَيِّ والرّشد، إنَّما القادرُ على ذلك هو الله سبحانه وتعالى. وجوّز أن يكون في الآية الاحتباك، والأصل: لا أملك لكم ضرًّا ولا نفعاً ولا غيًّا ولا رَشَداً، فتُرك مِن كلا المتقابلين ما ذُكرَ في الآخر.

وقرأ الأعرج: «رُشُداً» بضمَّتين[٢].

﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ إن أرادني سبحانه بسوء ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ أي: معدلاً ومنحرفاً. وقال الكلبيُّ: مدخلاً في الأرض. وقال السُّدِّيُّ: حِرْزاً. وأصله المدخلُ مِن اللَّحد، والمراد ملجأ يركنُ إليه، وأنشدوا:

يا لهف نفسي ونفسي غيرُ مجديةٍ ... عنِّي وما مِن قضاء الله مُلْتَحدُ[٣]

وجوَّز فيه الراغب[٤] كونه اسمَ مكان وكونه مصدراً.

وهذا على ما قيل: بيانٌ لعَجْزه عليه الصلاة والسلام عن شؤون نفسه بعد بيانِ عَجْزه ﷺ عن شؤون غيره.

وقيل: في الكلام حذف، وهو: قالوا: اترُك ما تَدعو إليه ونحن نُجيرُك. فقيل له: قل: «إنِّي لن يجيرني» إلخ. وقيل: هو جواب لقول وَرْدان سيِّد الجِنِّ وقد ازدحموا عليه: أنا أَزْجُلهم[٥] عنك. فقال: «إنِّي لن يجيرني» إلخ، ذكره الماورديُّ، والقولان ليسا بشيء.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٤.
(٢) البحر المحيط ٨/ ٣٥٣.
(٣) البحر المحيط ٨/ ٣٥٣، والبيت في النكت والعيون ٦/ ١٢١، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٠٥، وفتح القدير ٥/ ٣١٠، دون نسبة، ونسبه في الدر المنثور ٤/ ٢١٨ لخصيب الضمري، وورد في المصادر كلها عدا «البحر»: ولهفا، بدل: ونفسي.
(٤) المفردات (لحد).
(٥) في الأصل و(م): أرحلهم. وكذا وردت في مطبوع البحر المحيط ٨/ ٣٥٣، والنقل منه، والمثبت من النكت والعيون للماوردي ٦/ ١٢١، وتفسير القرطبي ٢١/ ٣٠٥: ومعنى أزجلهم: أدفعهم. القاموس (زجل).

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ استثناء من مفعول «لا أملك» كما يشير إليه كلام قتادة، وما بينهما اعتراض مؤكِّد لنفي الاستطاعة، فلا اعتراضَ بكثرة الفصل المبعِدة لذلك، فإنْ كان المعنى: لا أملك أن أضرَّكم ولا أنفعكم، كان استثناء متَّصلاً، كأنَّه قيل: لا أملك شيئاً إلا بلاغاً، وإن كان المعنى: لا أملك أن أقسركم على الغَيِّ والرشد، كان منقطعاً، أو من باب:

لا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ سيوفهم[1]

كما في «الكشف»، وظاهرُ كلام بعض الأجلَّة أنَّه إمَّا استثناء متصل من «رشداً» فإنَّ الإبلاغ إرشاد ونفع، والاستثناء من المعطوف دون المعطوف عليه جائز، وإمَّا استثناء منقطع من «ملتحداً»، قال الرازيُّ: لأنَّ البلاغ من الله تعالى لا يكون داخلاً تحت قوله سبحانه: ﴿مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ لأنَّه لا يكون مِن دون الله سبحانه، بل منه جلَّ وعلا وبإعانته وتوفيقه[2].

وفي «البحر»: قال الحسن: هو استثناء منقطع، أي: لن يجيرني أحدٌ، لكن إنْ بَلَّغتُ رحمني[3] بذلك، والإجارة مستعارة للبلاغ إذ هو سبب إجارة الله تعالى ورحمته سبحانه، وقيل: هو على هذا المعنى استثناء متصل، والمعنى: لن أجد شيئاً أميل إليه وأعتصم به إلَّا أن أبلِّغ وأطيعَ فيجيرَني، فيجوز نصبه على الاستثناء مِن «ملتحداً» أو على البدل وهو الوجه؛ لأنَّ قبله نفياً، وعلى البدل خرَّجه الزجَّاج[4]. انتهى. والأظهر ما تقدَّم.

وقيل: إنَّ «إلَّا» مركَّبة مِن «إنْ» الشرطيَّة و«لا» النافية، والمعنى: إن لا أُبَلِّغْ بلاغاً، وما قبله دليل الجواب، فهو كقولك: إلَّا قياماً فقعوداً. وظاهره: أنَّ المصدر سدَّ مسدَّ الشرط كمعمول «كان»، ولهم في حذف جملة الشرط مع بقاء الأداة كلام، والظاهر أنَّ اطِّراد حذفه مشروطٌ ببقاء «لا»، كما في قوله:

---

(١) صدر بيت للنابغة، وسلف ٥/ ٤٠٧.

(٢) تفسير الرازي ٣٠/ ١٦٥.

(٣) في (م): رحمتي.

(٤) البحر المحيط ٨/ ٣٥٤، وكلام الزجاج في معاني القرآن ٥/ ٢٣٧.

فَطَلِّقْهَا فَلَسْتَ لَهَا بِكُفْءٍ وإلَّا يَعْلُ مَفْرِقَكَ الحُسامُ[(١)]

ما لم يسدَّ مسدَّه شيء مِن معمول أو مفسِّر كـ : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾ [التوبة:٦] و: الناس مجزيُّون بأعمالهم إنْ خيراً فخير. وهذا الوجه خلاف المتبادر كما لا يخفى.

وقوله تعالى: ﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ عطف على «بلاغاً»، و«من الله» متعلِّق بمحذوف وقع صفة له، أي: بلاغاً كائناً مِن الله، وليس بصلة له؛ لأنَّه يستعمل بـ «عن» كما في قوله ﷺ: «بلِّغوا عنِّي ولو آية»[(٢)] والمعنى على ما علمتَ أوَّلاً في الاستثناء: لا أملكُ لكم إلَّا تبليغاً كائناً منه تعالى ورسالاته التي أرسلني عزَّ وجلَّ بها.

وفي «الكشف»: في الكلام إضمار، أي: بلاغ رسالاته، وأصل الكلام: إلَّا بلاغ رسالات الله، فعدلَ إلى المنزَّل ليدلَّ على التبليغين مبالغة، وأنَّ كلًّا من المعنيين، أعني: كونه مِن الله تعالى وكونه بلاغ رسالاته، يقتضي التشمُّر لذلك. انتهى.

وفي عبارة «الكشَّاف»[(٣)] رمزٌ مّا إليه، لكن قيل عليه: لا ينبغي تقدير المضاف فيه، أعني: بلاغ، فإنَّه يكون العطف حينئذٍ من عطف الشيء على نفسه، إلا أن يوجَّه بأنَّ البلاغ مِن الله تعالى فيما أخذه عنه سبحانه بغير واسطة، والبلاغ للرسالات فيما هو بها، وهو بعيد غايةَ البعد، فافهم.

واستظهر أبو حيَّان عطفَه على الاسم الجليل، فقال: الظاهر عطف «رسالاته» على «الله»، أي: إلَّا أنْ أُبلِّغ عن الله وعن رسالاته[(٤)]. وظاهره جعل «من» بمعنى «عن» وقد تقدَّم منه أنَّها لابتداء الغاية. وقرئ: «قال لا أملك» أي: قال عبدُ الله للمشركين أو للجِنِّ[(٥)]. وجوّز أن يكون مِن حكاية الجِنِّ لقومهم.

---

(١) سلف ١٤/ ١٥٨.

(٢) أخرجه أحمد (٦٤٨٦)، والبخاري (٣٤٦١)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) ٤/ ١٧١-١٧٢.

(٤) البحر المحيط ٨/ ٣٥٤.

(٥) الكشاف ٤/ ١٧١.

هذا ووَجْهُ ارتباط الآية بما قبلها قيل بناءً على أنَّ التلبُّد للعداوة: إنَّهم لما تلبَّدوا عليه ﷺ متظاهرين للعداوة، قيل له عليه الصلاة والسلام: «قل إنِّي لا أملكُ لكم ضرًّا ولا رشداً» أي: ما أردتُ إلَّا نفعكم وقابلتموني بالإساءة، وليس في استطاعتي النفع الذي أردتُ ولا الضَّرُّ الذي أكافئكم به، إنَّما ذانِ إلى الله تعالى، وفيه تهديد عظيم وتوكيل إلى الله جلَّ وعلا، وأنَّه سبحانه هو الذي يجزيه بحُسن صنيعه وسوءِ صنيعهم، ثم فيه مبالغة من حيث إنَّه لا يَدَعُ التبليغَ لتظاهرهم هذا، فإنَّ الذي يستطيعه عليه الصلاة والسلام هو التبليغ ولا يَدَعُ المستطاع، ولهذا قال: «إلا بلاغاً» وجعله بدلاً من «ملتحداً» شديد الطباق على هذا، والشرط قريب منه، وأمَّا إن كان الخطاب للجِنِّ والتلبُّد للتعجُّب، فالوجه أنهم لما تلبَّدوا لذلك قيل له عليه الصلاة والسلام: قل لهم: ما لكم ازدحمتم عليَّ متعجِّبين منِّي ومِن تطامن أصحابي على العبادة، إنِّي ليس إليَّ النفع والضَّرُّ، إنَّما أنا مبلِّغ عن الضارِّ النافع، فأقبلوا أنتم مثلنا على العبادة، ولا تُقبلوا على التعجُّب، فإنَّ العَجَب ممَّن يُعرِض عن المنعم المنتقم الضارِّ النافع، ولعلَّ اعتبار قوَّة الارتباط يقتضي أولويَّة كون التلبُّد كان للعداوة ومعصية الرسول عليه الصلاة والسلام.

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي: في الأمر بالتوحيد، إذ الكلام فيه، فلا يصحُّ استدلال المعتزلة ونحوهم بالآية على تخليد العصاة في النار.

وجوّز أن يراد بالرسول رسولُ الملائكة عليهم السلام دون رسولِ البشر، فالمراد بعصيانه أن لا يبلِّغ المرسَل إليه ما وصل إليه كما وصل، وهو خلاف الظاهر.

﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ أي: في النار، أو: في جهنَّم، وجمع «خالدين» باعتبار معنى «مَن» كما أنَّ الإفراد قَبْلُ باعتبار لفظها، ولو روعي هنا أيضاً لقيل: خالداً. ﴿أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ بلا نهاية.

وقرأ طلحة: «فأنَّ» بفتح الهمزة(١)، على أنَّ التقدير، كما قال ابنُ الأنباري وغيره: فجزاؤه أنَّ له.. إلخ، وقد نصَّ النحاة على أنَّ «أنَّ» بعد فاء الشرط يجوز

---

(١) القراءات الشاذة ص١٦٣، والبحر المحيط ٨/ ٣٥٤.

فيها الفتح والكسر، فقول ابنِ مجاهد: ما قرأ به أحد، وهو لحن؛ لأنَّه بعد فاء الشرط[1] = ناشئٌ مِن قلَّة تتبُّعه وضعفِه في النحو.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا ۝٢٤﴾ جملة شرطيَّة مقرونة بـ «حتى» الابتدائية، وهي ـ وإن لم تكن جارَّة ـ فيها معنى الغاية، فمدخولها غايةٌ لمحذوف دلَّت عليه الحال مِن استضعاف الكفَّار لأنصاره عليه الصلاة والسلام واستقلالِهم لعدده، كأنَّه قيل: لا يزالون يَستضعِفون ويَستهزِؤون حتى إذا رأوا ما يُوعَدون من فنون العذاب في الآخرة تبيَّن لهم أنَّ المستضعَفَ مَن هو، ويدلُّ على ذلك أيضاً جواب الشرط، وكذا ما قيل على ما قيل؛ لأنَّ قوله سبحانه: «قل إنَّما أدعو ربِّي» تعريضٌ بالمشركين كيفما قدِّر، بل السورةُ الكريمة من مفتتحها مسوقةٌ للتعريض بحال مشركي مكَّة، وتسلية لرسولِ الله ﷺ، وتسرية عنه عليه الصلاة والسلام، وتعيير لهم بقصُور نظرهم عن الجِنِّ مع ادِّعائهم الفطانة، وقلَّة إنصافهم ومبادهتهم بالتكذيب والاستهزاء، بدل مبادهة الجِنِّ بالتصديق والاستهداء.

ويجوز جعل ذلك غايةً لقوله تعالى: «يكونون عليه لِبَداً» إن فسِّر بالتلبُّد على العداوة، ولا مانعَ من تخلُّل أمور غيرِ أجنبيَّة بين الغاية والمغيَّا، فقول أبي حيان: إنَّه بعيد جدًّا؛ لطول الفصل بينهما بالجمل الكثيرة[2]، ليس بشيء، كجَعْلِه إيَّاه غايةً لِمَا تضمَّنته الجملة قَبْلُ ـ يعني فإنَّ له نارَ جهنَّم ـ من الحُكْم بكينونة النار له، ومثل ذلك ما قيل مِن أنَّه غاية لمحذوف، والتقدير: دعهم حتى إذا رَأَوا.. إلخ.

والظاهر أنَّ «مَن» استفهاميَّة كما أشرنا إليه، وهي مبتدأ، و«أضعف» خبر، والجملة في موضع نصب بما قبلها، وقد علِّق عن العمل؛ لمكان الاستفهام. وجوِّز كونها موصولة في موضع نصب بـ «يعلمون»، و«أضعف» خبر مبتدأ محذوف، والجملة صلة لـ «من»، والتقدير: فسيعرفون الذي هو أضعف. وحَسَّنَ حَذْفَ صدرِ الصلة طولُها بالتمييز.

---

(١) نقله عن ابن مجاهد تلميذه ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٣.

(٢) البحر المحيط ٨/ ٣٥٥.

وجوّز تفسير «ما يوعدون» بيوم بدر، ورجّح الأوّل بأنَّ الظاهر أنَّ قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِيَ﴾ أي: مـــا أدري ﴿أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾﴾ ردٌّ لما قاله المشركون عند سماعهم ذلك، ومقتضى حالهم أنَّهم قالوا إنكاراً واستهزاء: متى يكون ذلك الموعود؟ بل روي عن مقاتل أنَّ النضر بن الحارث قال ذلك، فقيل: قل: إنَّه كائنٌ لا محالةَ، وأمَّا وقته فما أدري متى يكون. والأحرى بسؤالهم وهذا الجوابِ إرادةُ ما في يوم القيامة، المنكرين له أشدَّ الإنكار، والخفيِّ وقتُه عن الخلائق غايةَ الخفاء، والمراد بالأمد الزمان البعيد؛ بقرينة المقابلة بالقريب، وإلَّا فهو وضعاً شاملٌ لهما، ولذا وصف ببعيداً في قوله تعالى: ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠]. وقيل: إنَّ معنى القرب يُنبئُ عن مشارفة النهاية، فكأنَّه قيل: لا أدري أهو حال متوقَّع في كلِّ ساعة أم هو مؤجَّل ضُرب له غاية، والأوَّل أَولى وأقرب.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ بالرفع، على أنَّه خبر مبتدأ محذوف، أي: هو سبحانه عالم الغيب، وجوَّز أبو حيَّان(١) كونَه بدلاً من «ربِّي»، وغيرُه أيضاً كونَه بياناً له، ويأبى الوجهين الفاء في قوله تعالى: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ إذ يكون النظم حينئذٍ: أم يجعل له عالم الغيب أمداً، فلا يظهر على غيبه أحداً، وفيه من الإخلال ما لا يَخفى.

وإضافة «عالم» إلى «الغيب» محضة؛ لقصد الثبات فيه، فيفيد تعريفُ الطرفين التخصيصَ، وتعريفُ «الغيب» للاستغراق، وفي الرضي: إنَّ اسم الجنس، أعني: الذي يقع على القليل والكثير بلفظ الواحد، إذا استعمل ولم تقم قرينة تخصِّصه ببعض ما يَصدُق عليه، فهو في الظاهر لاستغراقِ الجنس أخذاً من استقراء كلامهم، فمعنى: التراب يابس والماء بارد، أن كلّ ما فيه هاتان الماهيتان حاله كذا، فلو قلت في قولهم: النومُ ينقض الطهارةَ: النوم مع الجلوس لا ينقضها، لكان مناقضاً لذلك اللفظ. انتهى. وهو يؤيِّد إرادة ذلك هنا؛ لأنَّ الغيب كالماء يقع على القليل والكثير بلفظ واحد، ولا يضرُّ في ذلك جمعه على غيوب كما لا يضرُّ فيه جمع

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٣٥٥.

الماء على مياه. وكذا المراد بـ «غيبه» جميعُ غيبه، وقد نصَّ عليه عزمي زاده معلِّلاً له بكون اسم الجنس المضاف بمنزلة المعرَّف باللام سيَّما إذا كان في الأصل مصدراً، وعزي إلى «شرح المقاصد» ما يقتضيه.

وربَّما يقال: يفهم ذلك أيضاً من اعتبار كون الإضافة للعهد وأنَّ المعهود هو الغيبُ المستغرق، أو مِن اعتبارها للاختصاص وأنَّ الغيب المختصّ به تعالى بمعنى المختصّ علمه سبحانه به هو كلُّ غيب، واعتناءً بشأن الاختصاص جيء بالمظهَر موضع المضمَر.

والجملة استئناف لدفع توهُّم نقصٍ مِن نَفْي الدرايةِ، والفاء لترتيب عدم الإظهار على تفرُّده تعالى بعلم الغيب، والمراد بالإظهار المنفيِّ الاطِّلاعُ الكامل الذي تنكشف به جليَّة الحال على أتمِّ وجه، كما يرشد إليه حرف الاستعلاء، فكأنَّه قيل: ما عليَّ إذا قلت: ما أدري قُرْبَ ذلك الموعد ـ الغيب ـ ولا بُعْدَه، فالله سبحانه وتعالى عالم كلِّ غيب وحده، فلا يُطلِعُ على ذلك المختصِّ عِلْمُه به تعالى إطْلاعاً كاملاً أحداً مِن خلقه ليكون أليقَ بالتفرُّد وأبعدَ عن توهُّم مساواة عِلْم خِلْقه لعلمه سبحانه، وإنَّما يُطلِع جلَّ وعلا ـ إذا أطلع ـ مَن شاء على بعضه ممَّا تقتضيه الحكمة التي هي مدار سائر أفعاله عزَّ وجلَّ، وما نفيت عنِّي العلم به ممَّا لم يطلعني اللهُ تعالى عليه؛ لِمَا أنَّ الاطِّلاع عليه ممَّا لا تقتضيه الحكمة التشريعيَّة التي يدور عليها فَلَك الرسالة، بل هو مخلٌّ بها. وإن شئتَ فاعتبر الجملة واقعة موقعَ التعليل لنفي الدراية السابقة.

ولمَّا كان مساقُ الكلام ممَّا قد يتوهَّمون منه أنَّه عليه الصلاة والسلام لم يَطَّلع على شيء من الغيب عقَّب عزَّ وجلَّ الكلام بالاستثناء المنقطع ـ كما روي في «البحر»(١) عن ابنِ عباس ـ الذي هو بمعنى الاستدراك؛ لدَفْع ذلك على أبلغ وجه، حيث عمَّم الأمر في الرسل المرتَضَيْنَ، وأقام كيفيَّة الإظهار مقامَ الإظهار مع الإشارة إلى البعض الذي اطَّلَعوا عليه المناسب لمقام الدعوة، فقال عزَّ مِن قائل:

---

(١) ٨/ ٣٥٥.

﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ أي: لكن الرسول المرتَضى يُظهِره جلَّ وعلا على بعضِ الغيوب المتعلِّقة برسالته ـ كما يُعرِب عنه بيان «من ارتضى» بالرسول ـ تعلُّقاً ما؛ إمَّا لكونه من مباديها بأن يكون معجزةً، وإمَّا لكونه مِن أركانها وأحكامها كعامَّة التكاليف الشرعيَّة، وكيفيات الأعمال وأجزيتها، ونحو ذلك من الأمور الغيبيَّة التي بيانها مِن وظائف الرسالة، بأن يَسلُكَ مِن جميع جوانبه عند إطْلاعه على ذلك حرساً من الملائكة عليهم السلام يَحرُسونه مِن تعرُّض الشياطين لِمَا أُريد إطْلاعه عليه اختطافاً أو تخليطاً.

﴿لِّيَعْلَمَ﴾ متعلِّق بـ «يسلك» وعلَّة له، والضمير لـ «مَن» أي: لأجل أن يَعلم ذلك المرتَضى الرسولَ ويُصدِّقَ تصديقاً جازماً ثابتاً مطابقاً للواقع ﴿أَن قَدْ أَبْلَغُواْ﴾ أي: الشأن قد أَبْلَغَ إليه الرَّصَدُ، وهو من قبيل: بنو تميم قتلوا زيداً، فإن المبلِّغ في الحقيقة واحد معهم وهو جبريل عليه السلام كما هو المشهور مِن أنَّه المبلِّغ مِن بين الملائكة عليهم السلام إلى الانبياء ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ وهي الغيوب المظهَر عليها كما هي مِن غير اختطاف ولا تخليط، وعلى هذا فليكن «مَن» مبتدأ، وجملة «إنَّه يسلك» خبره، وجيءَ بالفاء لكونه اسمَ موصول.

وقوله تعالى: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي: بما عند الرصد ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ﴾ أي: ممَّا كان وممَّا سيكون ﴿عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾ أي: فرداً فرداً = حالٌ مِن فاعل: «يسلك» بتقدير «قد» أو بدونه، جيء به لمزيد الاعتناء بأَمْرِ عِلْمه تعالى بجميع الأشياء وتفرُّده سبحانه بذلك على أتمِّ وجه بحيث لا يشاركه سبحانه في ذلك الملائكة الذين هم وسائطُ العلم، فكأنَّه قيل: لكن المرتضى الرسول يُعلِّمه اللهُ تعالى بواسطة الملائكة بعضَ الغيوب ممَّا له تعلُّقٌ مّا برسالته، والحالُ أنَّه تعالى قد أحاط علماً بجميع أحوال أولئك الوسائط، وعلم جلَّ وعلا جميعَ الأشياء بوجه جزئي تفصيلي، فأين الوسائط منه تعالى؟!

أو حال مِن فاعل «أبلغوا» جيءَ به للإشارة إلى أنَّ الرصدَ أنفسهم لم يزيدوا ولم يَنقصوا فيما بلَّغوا، كأنَّه قيل: ليَعلم الرسولُ أن قد أبلغ الرصدُ إليه رسالاتِ ربِّه في حال أنَّ الله تعالى قد علم جميعَ أحوالهم وعَلِمَ كلَّ شيء، فلو أنَّهم زادوا أو نَقصوا عند الإبلاغ لعَلِمَه سبحانه، فما كان يختارهم للرصديَّة والحفظ.

هذا ما سنح لذهني القاصر في تفسير هذه الآيات الكريمة ولستُ على يقين مِن أمره، بيدَ أنَّ الاستدلالَ بقوله سبحانه: (فَلَا يُظْهِرُ) إلخ على نفي كرامة الأولياء بالاطِّلاع على بعضِ الغيوب لا يتمُّ عليه؛ لأنَّ قوله تعالى: (فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا) في قوَّة قضيةٍ سالبةٍ جزئيَّة؛ لدخول ما يفيد العمومَ في حيِّز السَّلْب، وأكثر استعمالاته لسَلْب العموم - وصرَّح به فيما هنا في «شرح المقاصد»[1] - لا لعموم السلب، وهو سلب جزئيٌّ فلا ينافي الإيجابَ الجزئيَّ، كأن يُظهِر بعضَ الغيب على وليٍّ على نحو ما قال بعضُ أهل السنة في قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

ولا يَردُ أنَّ الاستثناء يقتضي أن يكون المرتضَى الرسولُ مُظهَراً على جميع غيبه تعالى بناءً على أنَّ الاستثناء مِن النفي يقتضي إيجابَ نقيضه للمستثنى ونقيضُ السالبة الجزئيَّة الموجبةُ الكليَّة مع أنَّه سبحانه لا يُظهِر أحداً كائناً مَن كان على جميع ما يَعلمُه عزَّ وجلَّ مِن الغيب؛ وذلك لانقطاع الاستثناء المصرَّح به ابن عباس.

وكذا لا يَردُ أنَّ الله تعالى نفى إظهارَ شيء مِن غيبه على أحد إلا على الرسول فيلزم أن لا يُظهِر سبحانه أحداً من الملائكة على شيء منه؛ لأنَّ الرسول هنا ظاهر في الرسول البَشَري، لقوله تعالى: (فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ) إلخ، وذلك ليس إلا فيه، كما لا يخفى على مَن علم حكمةَ ذلك. ويلزم أن لا يُظهِر أيضاً أحداً من الأنبياء الذين ليسوا برسل بناءً على إرادة المعنى الخاصِّ مِن الرسول هنا؛ وذلك لِمَا ذكرنا أوَّلاً.

وكذا لا يَردُ أنَّه يلزم أنْ لا يُظهِر المرتضى الرسولَ على شيء مِن الغيوب التي لا تتعلَّق برسالته ولا يُخِلُّ الإظهارُ عليها بالحكمة التشريعيَّة؛ إذ لا حَصْر للبعض المظهَر فيما يتعلَّق بالرسالة، وإنَّما أُشير إلى المتعلِّق بها لاقتضاء المقام لذلك، وكونُ كلّ غيب يظهر عليه الرسول لا يكون إلا متعلِّقاً برسالته محلُّ توقُّف.

وللمفسِّرين هاهنا كلام لا بأس بذِكْره بما له وما عليه حسَب الإمكان، ثم الأمر بعد ذلك إليك، فنقول: لـمَّا كان مذهبُ أكثر أهل السنة القولَ بكرامة الولي

---

(١) ٥/ ٧٦-٧٧.

بالاطِّلاع على الغيب، وكان ظاهرُ قوله تعالى: (عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ) إلخ دالًّا على نفيها ـ ولذا قال الزمخشريُّ: إنَّ في هذا إبطال الكرامات، أي: في الجملة، وهي ما كان من الإظهار على الغيب؛ لأنَّ الذين تُضاف إليهم وإن كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل، وقد خصَّ اللهُ تعالى الرسلَ من بين المرتضين بالاطِّلاع على الغيب وإبطال الكهانة والتنجيم؛ لأنَّ أصحابَهما أبعد شيء مِن الارتضاء وأدخله في السخط(١). انتهى ـ أنجدوا وأتهموا وأيمنوا وأشأموا في تفسير الآية على وجهٍ لا ينافي مذهبهم ولا يتمُّ عليه استدلال المعتزلي على مذهبه، فقال الإمام: ليس في قوله تعالى: «على غيبه» صيغة عموم، فيكفي في العمل بمقتضاه أنْ لا يُظْهِرَ تعالى خَلْقَه على غيبٍ واحدٍ مِن غيوبه، فنحمله على وقتِ وقوعِ القيامة، فيكون المراد مِن الآية أنَّه تعالى لا يُظهِر هذا الغيب لأحد، فلا يبقى في الآية دلالة على أنَّه سبحانه لا يُظهِر شيئاً مِن الغيوب لأحد، ويؤكِّد ذلك وقوع الآية بعد قوله تعالى: (قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ)، والمراد به وقوع يوم القيامة.

ثم قال: فإن قيل: إذا حَملتم ذلك على القيامة فكيف قال سبحانه: (إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ) مع أنَّه لا يُظهِر هذا الغيب لأحد مِن رسله، قلنا: بل يُظهِره عند القُرب من إقامة القيامة، وكيف لا وقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥] ولا شكَّ أنَّ الملائكة يعلمون في ذلك الوقت، وأيضاً يحتمل أن يكون هذا الاستثناء منقطعاً، كأنَّه قيل: عالمُ الغيب فلا يُظهِر على غيبِه المخصوص ـ وهو قيامُ القيامة ـ أحداً، ثم قيل: إلَّا مَن ارتضى مِن رسول فإنَّه يسلك مِن بين يديه ومِن خلفه حفظةً يحفظونه من شرِّ مَرَدةِ الإنس والجِنِّ(٢). انتهى.

وتُعقِّب بأنَّ في «غيبه» ما يدلُّ على العموم كما سمعتَ أوَّلاً، والسياق لا يأباه، اللَّهمَّ إلا أن يطعن في ذلك، وأيضاً ظاهر جوابه الأوَّل عن القيل كونُ المراد بالرسول في الآية الرسولَ المَلَكي، ويَأباه ما بَعْدُ مِن قوله تعالى: (فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ) إلخ،

---

(١) الكشاف ٤/ ١٧٢-١٧٣.

(٢) تفسير الرازي ٣٠/ ١٦٨.

على أنَّ عِلْم الملائكة بوقت الساعة يوم تشقَّق السماء ليس من الإظهار على الغيب، بل هو من إظهار الغيب وإبرازه للشهادة، كإظهار المطر عند نزوله، وما في الأرحام عند وضعه، إلى غير ذلك. وأيضاً الانقطاع على الوجه الذي ذكره بعيدٌ جدًّا إذ فيه قَطْع المناسبة بين السابق واللاحق بالكليَّة، اللَّهمَّ إلا أن يقال: مثله لا يضرُّ في المنقطع.

وقيل: إنَّ الإظهار على الغيب بمعنى الإطْلاع عليه على أتمِّ وجه بحيث يحصل به أعلى مراتب العلم، والمراد عموم السلب، ولا يضرُّ في ذلك دخول ما يفيد العموم في حيِّز النفي؛ لأنَّ القاعدة أكثريَّة لا مطَّردة؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد:٢٣]، وقوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة:٢٧٦] وقد نصَّ على ذلك العلامة التفتازانيُّ(١)، فيكون المعنى: فلا يُظهِر على شيء مِن غيبه أحداً، إلا مَن ارتضى مِن رسول فإنَّه سبحانه يُظهِره على شيء مِن غيبه بأن يَسلك.. إلخ. ولا يرد كرامة الولي، إذ ليست مِن الإظهار المذكور، إذ لا يحصل له أعلى مراتب العلم بالغيب الذي يُخبر به، وإنَّما يحصل له ظنون صادقة أو نحوها، وكذا شأن غيره مِن أرباب الرياضات مِن الكفرة وغيرهم.

وتُعقِّب بأنَّ من الصوفيَّة مَن قال كالشيخ محيي الدين ـ قدِّس سرُّه(٢) ـ بنزول المَلَك على الوليِّ، وإخباره إيَّاه ببعض المغيَّبات أحياناً، ويرشد إلى نزوله عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ الآية [٣٠ من سورة فصلت] وكون ما يحصل له إذ ذاك ظنٌّ أو نحوه لا عِلْمٌ كالعلم الحاصل للرسول بواسطة المَلَك = لا يخلو عن بحث، بل قد يحصل له بواسطة الإلهام والنَّفث في الرُّوع نحو ما يحصل للرسول. وأيضاً يلزم أنْ لا يُظهَر المَلَكُ على الغيب، إذ الرسول المستثنى رسولُ البشر على ما هو الظاهر، والتزام أنَّه لا يُظهَر بالمعنى السابق ويُظهر بواسطته، ممَّا لا وجهَ له أصلاً. وأيضاً يلزم أنَّ ما يحصل للنبيِّ غير الرسول بالمعنى الأخصِّ المتبادر هنا ليس بعِلْمٍ بالمعنى المذكور، وهو كما ترى.

---

(١) شرح المقاصد ٥/ ٧٦-٧٧.

(٢) الفتوحات المكية ٣/ ٣١٦، الباب الرابع والستون وثلاث مئة.

وقيل: المراد بالغيب في الموضعين الجنس، والإظهارُ عليه على ما سمعت، وكذا عدم ورودِ الكرامة، والبحث فيه كالبحث في سابقه وزيادة.

وقال صاحب «الكشف» في الردِّ على الزمخشريِّ: الغيب إن كان مفسَّراً بما فسَّره في قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] فالآية حجَّة عليه؛ لأنَّه جوَّز هنالك أن يَعلم بإعلامه تعالى أو بنصبه الدليل، وهذا الثاني ـ أعني القسم العقليَّ ـ تنفيه الآية وتُرشِد إلى أنَّ تهذيبَ طرق الأدلَّة أيضاً بواسطة الأنبياء عليهم السلام، والعقل غيرُ مستقلٍّ، وأهل السنة عن آخِرهم على أنَّ الغيب بذلك المعنى لا يطَّلع عليه إلا رسول أو آخِذٌ منهم، وليس فيه نفي الكرامة أصلاً وإن أراد الغائب عن الحسِّ في الحال مطلقاً، فلا بُدَّ من التخصيص بالاتفاق، فليس فيه ما ينفيها أيضاً، وإن فسّر بالمعدوم كما ذكره في قوله تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣] فلا بُدَّ أيضاً من التخصيص، وكذلك لو فسّر بما غاب عن العباد أو بالسِّرِّ، على أنَّ ظاهر الآية أنَّه تعالى عالمُ كلِّ غيب وحده لا يُظهِر على غيبه المختصِّ به ـ وهو ما يتعلَّق بذاته تعالى وصفاته عزَّ وجلَّ بدلالة الإضافة ـ إلا رسولاً، وهو كذلك فإنَّ غيبَه تعالى لا يُطَّلع عليه إلا بالإعلام من رسول مَلَكيٍّ أو بشريٍّ ولا كلُّ غيبه تعالى الخاصِّ مُطَّلَع عليه بل بعضه وأقلُّ القليل منه، فدلَّ المفهوم على أنَّ غيرَ هذا النوع الخاصِّ مِن الغيب لا منع من إطْلاع الله تعالى غيرَ الرسول عليه، فهذا ظاهر الآية دون تعسُّف. ثم لو سُلِّم فالثاني إمَّا مستغرق، وإذا قال سبحانه: لا يُطلِع على جميعه أحداً إلا مَن ارتضى مِن رسول، لم يدلَّ على أنَّه لا يجوز إطْلاع غيرِ الرسول على البعض، وإمَّا مُطلَق ينزل على الكامل منه، فيرجع إلى ما اخترناه وتتعاضد[1] دلالتا تشريف الإضافة والإطلاق، فلا وجه لتعليقه بهذه الآية، ومنه يظهر أنَّ الاستدلال من الآية على إبطال الكهانة والتنجيم غيرُ ناهض، وإن كان إبطالهما حقًّا لا ننكره، فضلاً عن تكفير مَن قال بدلالته على حياة أو موت؛ لأنَّه كفر بهذه الآية، كما نقله شيخنا الطيبي عن الواحديِّ[2]، والزجَّاج[3]، وصاحب «المطلع». انتهى.

---

(١) في (م): وتعاضد.
(٢) الوسيط ٤/ ٣٦٩.
(٣) معاني القرآن ٥/ ٢٣٧.

ويُحث فيه بأنَّ حمل «غيبه» على الغيب الخاصّ بمعنى ما يتعلَّق بذاته تعالى وصفاته عزَّ وجلَّ ممَّا لا يناسبُ السياق، وبأنَّ ظاهر ما قرَّره على احتمال الاستغراق يقتضي على تقدير اتصال الاستثناء وإيجاب ضدِّ ما نفي للمستثنى أن يُظهِر الرسولَ على جميع غيبه تعالى إلى ما يظهر بالتأمُّل.

وذكر العلَّامة البيضاوي[1] أوّلاً ما يفهم منه ـ على ما قيل ـ حَمْل «غيبِه» على العموم مع الاختصاص، أي: عموم الغيب المخصوص به علمه تعالى، وحَمْل: «فلا يظهر»، على سَلْب العموم، وحَمْل الرسول، على الرسول البشري، واعتبار الاستثناء منقطعاً على أنَّ المعنى: فلا يُظهِر على جميع غيبِه المختصّ به عِلْمُه تعالى أحداً إلا مَن ارتضى مِن رسول فيظهره على بعضِ غيبه حتى يكون إخباره به معجزةً، فلا يتمُّ الاستدلال بالآية على نفي الكرامة، وفسّر الاختصاص بأنَّه لا يعلمه بالذات والكُنْه علماً حقيقيًّا يقينيًّا بغير سبب ـ كإطْلاع الغير ـ إلا هو سبحانه، وأمَّا عِلْم غيره سبحانه لبعضه فليس علماً للغيب إلا بحسب الظاهر وبالنسبة لبعض البشر، وقيل: أراد بالغيب المخصوص به تعالى ما لم يُنصَب عليه دليل، ولا يَقدَح في الاختصاص عِلْمُ الغير به بإعلامه تعالى، إذ هو إضافيٌّ بالنسبة إلى مَن لم يعلم.

وقال ثانياً في الجواب عن الاستدلال ـ ولعلَّه أراد الجوابَ عند القوم ـ ما نصُّه: وجوابُه تخصيصُ الرسول بالمَلَك، والإظهار بما يكون بغير توسُّط، وكرامات الأولياء على المغيَّبات إنَّما تكون تلقِّياً مِن الملائكة[2]، أي: بالنفث في الرُّوع ونحوه. وحاصله أنَّ الاستدلالَ إنَّما يتمُّ أنْ لو تحقَّق كونُ المراد بالرسول رسول البشر والمَلَك جميعاً، أو رسول البشر فقط، وبالإظهار الإظهار بواسطةٍ أوْ لا، والكُلُّ ممنوع؛ إذ يجوز أن يخصَّ الرسول برسول المَلَك، وأن يُراد بالإظهار الإظهار بلا واسطة، ويكون المعنى: فلا يُظهِر بلا واسطة على غيبه إلَّا رسل الملائكة، ولا ينافي ذلك إظهار الأولياء على غيبه؛ لأنَّه لا يكون إلا بالواسطة،

(١) تفسير البيضاوي ٨/ ٢٦١ مع حاشية الشهاب.
(٢) تفسير البيضاوي ٨/ ٢٦١ مع حاشية الشهاب.

وهو جواب بمنع المقدِّمتين، وإن كان يكفي فيه منع إحداهما كما فعل الإمام والتفتازانيُّ في «شرح المقاصد»[١].

وتعقّب بأنَّ رسلَ البشر قد يطَّلعون بغير واسطة أيضاً، وفي قصَّة المعراج وتكليم موسى عليه السلام ما يكفي في ذلك، على أنَّه قد قيل عليه بَعْدُ ما قيل.

وأغربُ ما قيل في هذا المقام كون «إلا» في قوله تعالى: «إلا مَن ارتضى» للعطف، والمعنى: فلا يُظهِر على غيبه أحداً ولا مَن ارتضى مِن رسول. وحاله لا يخفى.

ثم إنَّ تفسير قوله تعالى: (فَإِنَّهُ يَسْلُكُ) إلخ بما سمعت، هو الذي عليه جمهور المفسِّرين، وكانت الحفَظَةُ الذين ينزلون مع جبريل عليه السلام على نبيِّنا ﷺ - على ما أخرج ابنُ المنذر وجماعة عن ابن جبير - أربعةً[٢]، وأخرج ابنُ مردويه عن ابنِ عباس قال: ما أنزل الله تعالى على نبيِّه ﷺ آيةً مِن القرآن إلَّا ومعها أربعة مِن الملائكة يحفظونها حتى يؤدُّونها إلى النبيِّ ﷺ، ثم قرأ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ الآية[٣].

وقد يكون مع الوحي أكثر مِن ذلك، ففي بعض الأخبار أنَّه نزل مع سورة الأنعام سبعون ألفَ مَلَك[٤]، وجاء في شأن آية الكرسيِّ ما جاء[٥].

وقال ابن كمال: لاحت دقيقة بخاطري الفاتِر، قلَّما يوجد مثلها في بطون الدفاتر، وهي أنَّ المراد مِن «بين يديه» في الآية القِوَى الظاهرة، و«من خلفه» القوى الباطنة، ولذلك قال سبحانه: «يسلك» إلخ، أي: يدخل حفظةً مِن الملائكة يحفظون قِواه الظاهرة والباطنة مِن الشياطين ويعصمونه مِن وساوسهم من تَيْنك الجهتين، ولو كان المراد حفظةً مِن الجوانب كي لا يَقْربه الشياطين عند إنزال الوحي فتُلقي غيرَ الوحي، أو تسمعه فتلقيه إلى الكَهَنة فتخبر به قبل إخبار الرسول - كما ذهب إليه

(١) التفسير الكبير للرازي ٣٠/ ١٦٨، وشرح المقاصد للتفتازاني ٥/ ٧٦-٧٧.

(٢) الدر المنثور ٦/ ٢٧٥، وتفسير الطبري ٢٣/ ٣٥٥-٣٥٦، والعظمة (٣٥٩).

(٣) الدر المنثور ٦/ ٢٧٥.

(٤) تنظر هذه الأخبار في بداية تفسير سورة الأنعام.

(٥) تنظر في سورة البقرة، الآية (٢٥٥).

صاحب «التيسير» وغيره ـ لَمَا كان نظم الكلام على الوجه المذكور، فإنَّ عبارة «يسلك» وتخصيص الجهتين المذكورتين إنَّما يناسب ما ذكرناه لا ما ذكروه. انتهى.

ولا يخفى أنَّه نحوٌ من الإشارة، ولعلَّ التعبير بـ «يسلك» على تفسير الجمهور لتصوير الجهات التي تأتي منها الشياطين بالثغور الضيِّقة والمسالك الدقيقة، وفي ذلك مِن الحُسن ما فيه.

وذهب كثير إلى أنَّ ضمير «ليعلم» لله تعالى، وضمير «أبلغوا» إمَّا للرصد، أو «لمن ارتضى»، والجمع باعتبار معنى «مَن»، كما أنَّ الإفراد في الضميرين قَبْلُ باعتبار لفظها، والمعنى: أنَّه تعالى يسلكهم ليعلمَ أنَّ الشأنَ قد أَبلغوا رسالاتِ ربِّهم عِلْماً مستتبعاً للجزاء، وهو أن يعلمه تعالى موجوداً حاصلاً بالفعل كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ﴾ [محمد:٣١] فالغاية في الحقيقة هو الإبلاغ والجهاد، وإيراد علمه تعالى لإبرازِ اعتنائه تعالى بأمرِهما، والإشعارِ بترتُّب الجزاء عليهما، والمبالغةِ في الحثِّ عليهما، والتحذيرِ عن التفريط فيهما.

وقوله تعالى: «وأحاط» إلخ، إمَّا عطف على «لا يظهر»، أو حال مِن فاعل «يسلك» جِيْءَ به لدفع التوهُّم وتحقيق استغنائه تعالى في العلم بالإبلاغ عمَّا ذكر مِن سلك الرصد على الوجه المذكور، أو عطف ـ كما زعم بعضٌ ـ على مُضمَر؛ لأنَّ «ليعلم» متضمِّن معنى علم، فصار المعنى: قد علم ذلك وأحاط.. إلخ.

وجوَّز أن يكون ضمير «يعلم» للرسول الموحى إليه، وضمير «أبلغوا» للرصد النازلين إليه بالوحي، وروي عن ابن جبير ما يؤيِّده، أو للرسل سواه، «وأحاط» إلخ عطف على «أبلغوا»، أو على «لا يظهر».

وعن مجاهد: ليعلم مَن كذَّبَ وأشْركَ أنَّ الرسل قد أَبلغوا. وفيه من البُعْد ما فيه، وعليه لا يقع هذا العلم ـ على ما في «البحر»(١) ـ إلا في الآخرة.

وقيل: ليعلم إبليس أنَّ الرسل قد أَبلغوا. وقيل: ليعلم الجِنُّ أنَّ الرسلَ قد أَبلغوا ما أنزل إليهم ولم يكونوا هم المتلقِّين باستراق السمع. وكلا القولين كما ترى.

---

(١) ٨/ ٣٥٧.

ونصب «عدداً» عند جمع على أنَّه تمييز محوَّلٌ عن المفعول به، والأصل: أحصى عددَ كلِّ شيءٍ، إلا أنَّه قال أبو حيان: في كونه ثابتاً مِن لسان العرب خلافٌ[1]. وأنتَ تعلم أنَّ التحويل في مثله تقديري.

وجوِّز أن يكون حالاً، أي: معدوداً محصوراً، ولا يضرُّ تنكيرُ صاحبها؛ للعموم. وأن يكون نصباً على المصدر، بمعنى إحصاء.

فتأمَّل جميعَ ذلك، والله تعالى الموفِّق لسلوك أحسنِ المسالك.

وقرئ: «عالمَ» بالنصب[2] على المدح. و: «عَلِمَ» فعلاً ماضياً «الغيبَ» بالنصب[3].

وقرأ ابنُ عباس وزيد بنُ عليٍّ: «لِيُعْلَم» بالبناء للمفعول[4]، والزهري وابن أبي عبلة: «لِيُعْلِم» بضمِّ الياء وكسر اللام[5]، من الإعلام، أي: لِيُعْلِم اللهُ تعالى مَن شاء أن يُعلمه أنْ قد أَبلغوا.. إلخ.

وقرأ أبو حيوة: «رسالة» بالإفراد[6].

وقرأ ابنُ أبي عبلة: «وأُحِيطَ» و«أُحصِيَ» كلٌّ بالبناء للمفعول في الفعلين، ورفع «كلّ» على النيابة[7]، والفاعل هو اللهُ عزَّ وجلَّ، فهو سبحانه المحيط بالأحوال عِلْماً والمحصي لكلِّ شيء عدداً.

انتهى بعون الله تعالى الجزء السابع والعشرون من روح المعاني
ويليه إن شاء الله الجزء الثامن والعشرون ويبدأ
بسورة المزمل

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٣٥٧.
(٢) البحر المحيط ٨/ ٣٥٥.
(٣) القراءات الشاذة ص١٦٣، والبحر المحيط ٨/ ٣٥٥.
(٤) النشر ٢/ ٣٩٣ عن رويس، والبحر ٨/ ٣٥٧ والكلام منه.
(٥) القراءات الشاذة ص١٦٣، والبحر ٨/ ٣٥٧.
(٦) القراءات الشاذة ص١٦٣، والبحر ٨/ ٣٥٧.
(٧) القراءات الشاذة ص١٦٣، والبحر ٨/ ٣٥٧.